



جَامِعَةُ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السَّنُوسِيِّ

مَجَلَّةُ الْمَحْوَثِ الْعِلْمِيَّةِ

مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات العلمية
بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

العدد السادس

2018

مَجَلَّةُ الْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ

مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات العلمية
بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

ترسل البحوث إلى العنوان التالي

رئيس تحرير مجلة البحوث والدراسات العلمية

مركز البحوث والدراسات العلمية

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

البيضاء - ليبيا

srj@ius.edu.ly

البريد الإلكتروني

00218 - 913261146

الهاتف

00218 - 923755152

www.ius.edu.ly

موقع الجامعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة البحوث العلمية
مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات
جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

المشرف العام
د. عبدالسلام فرج علي

رئيس تحرير المجلة
د. الأمين عمر أبووفارس

مدير مكتب التحرير
عماد سليمان بو الخنة

هيئة التحرير
د. محمد حامد خالد
د. علي محمد عيسى الشاطوف
د. محمد سليمان آدم

الهيئة الاستشارية
د. محمد عبدالحميد جارالله
د. فرج محمد طيب
د. حسين نوح بدر
د. سعد صالح عوض
أ.د. محمد حسين المرتضي
د. يونس عبد المولى الهنداوي
أ.د. ابوبكر إدريس حمد
أ.د. مفتاح الصالحين عبد القادر

الإخراج الفني
مفتاح ميلود

رقم الإيداع (2017 /37) دار الكتب الوطنية

تقوم مجلة مركز البحوث العلمية التي تصدر عن جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية علي بحوث أساتذة فضلاء من جُل الجامعات الليبية، تخضع الأبحاث المقدمة إلي التقييم العلمي، والتحكيم المنهجي من قبل أساتذة من ذوي الكفاءة في تخصصاتهم الدقيقة، ويوماً بعد يومٍ سار الإعداد لإصدار العدد السادس لهذه المجلة التي أخذت لجنة الإشراف وهيأة تحرير المجلة الوقت والجهد الثمينين؛ ليكون اليوم بين أيدي القراء والباحثين مستويًا علي سوقه بحلته الجديدة، ونحسب أن هذه المجلة قد ساهمت إسهاماً ملحوظاً في النهوض ببعض الأفكار التي صارت أبحاثاً دعمت سبل التقدم العلمي في جُل التخصصات العلمية.

والله من وراء القصد

هيأة التحرير

المحتويات

	(شواهد سيبويه من شعر الأخطل)
10	د. إبراهيم سعد مجيد صالح / أ. عبد السلام مفتاح الفطيسي
	بحث في شعر فاطمة الرقعي
37	أ.عبد الباسط صالح يونس مصطفى
	البصمة الوراثية D . N . A كدليل في الإثبات الجنائي
59	د.علي محمود خير الله
	عملات روما خلال العصر الجمهوري
78	د. محمد مفتاح فضيل
	دور الرحالة العرب والأجانب في التعريف بآثار برقة الإسلامية
105	د. ونيس عمر بولطبعة
	الحركة الثقافية في إقليم برقة وطرابلس في العصر الفاطمي
128	د. حنان العجيل الغويل
	النظام الاجتماعي في برقة خلال العهد العثماني الثاني (1835 - 1911م)
142	أ. مريم الصادق جمعة
	الخصائص الشخصية والمهارات الأساسية المساعدة في نجاح رواد الأعمال
161	د. محمد سليمان محمد اكريم
	أثر تطوّر المعرفة على تغيّر دلالة المفاهيم "مفهوم الزمان بين بعض التصورات الفلسفية والنظرية النسبية أمودجاً"
188	د. صالح سعد صالح

(شواهد سيبويه من شعر الأخطل)

د. إبراهيم سعد مجيد صالح . جامعة عمر المختار

أ. عبد السلام مفتاح الفطيسي . جامعة عمر المختار

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، هو الذي علّم الكتابَ عبْدَه، وصدّق في ما قال وعَدَه..

وبعدّ،،،

فإنّ من روائع العربية أن يغوص الباحث في معانيها ليُخرج من دَرْرِها الجواهر المكنونة؛ فيزداد بذلك حُبّه لها ومُتأبّرته على البحث العميق. ولا سيّما إذا كان هذا في الشعر الذي هو ديوان العرب وسِحْرهم وبيّانهم، وفيه ما لَدَّ وطاب من لغتهم بطرائفها وجَمَمها وأمثالها ونوادرها.. ممّا جعل العلماء يضعون الشعر العربي ثاني مصادر اللغة - بعد القرآن الكريم - حتى جاءت مُصنّفاتهم غنيّة بهذا النوع من الكلام، فتباروا في ذلك حقّ المُباراة، وعلى رأس هؤلاء العالم المعروف صاحب قرآن النحو الذي اصطلح على مُصنّفه هذا باسم الكتاب على الإطلاق؛ فكان دَسَمًا بالشعر الفصيح دوَمًا مُنازع، بل واقتفى أثره جميع من صنّف تاليًا في هذا المضمار، فلا تكاد كتب النحو بعده تَحِيدُ عن شواهده التي أوردها.

لِذا وقع اختيار عنوان هذا البحث تحت اسم: (شواهد سيبويه من شعر الأخطل)، زِدْ على ذلك مكانة الشعر الأموي البارزة من الاحتجاج النحوي والذي كان على رأس شعرائه من الفحول: جرير والفرزدق والأخطل؛ تأثيراً في أوساط اللغويين والثّقَاد وكل الدارسين بحثًا وشرحًا واستشهادًا، فجاء البحث في جُملة أبيات الأخطل الواردة في الكتاب، كما اكتفينا بنسبة النصوص إلى قائلها في المصادر القديمة التي تُعتبر من مصادر التوثيق؛ كالمقتَضِب ومعاني القرآن وحتى في كتاب سيبويه ولم نَنسُبها إلا نادرًا تجنّبًا للإكثار غير المفيد. وقد حاولنا أن نُثبِت كلام أعلام المدرستين في كل المسائل كي يظهر الخلاف إن وُجد. ولم نَرَ أن نُوردَ لسيبويه ترجمة لأننا حسبنا ذلك من باب (التعريف بالشمس).

وقد استقصينا هذه الشواهد فكانت خمسة عشر شاهداً؛ رأينا أن نرتبها حسب مجيئها في الكتاب أولاً فأولاً، وأطلقنا على بداية تناوُل كل بيت: الشاهد الأول، الشاهد الثاني.. أوردنا الشاهد وموضع الاستشهاد به في الكتاب، ثم أقوال بعض العلماء في هذا الموضوع اتِّفاقاً أو اختلافاً والتعليق كلما أمكن، ثم تلونا ذلك بخاتمة ونتائج ثم قائمة المصادر والفهرس.

والله نَسألُ أنْ نكونَ قد وُفِّقنا في هذا العمل الذي نرجو أن نستفيدَ منه ونُفيدَ..

الباحثان.

الشاهد الأول:

قول الأخطل (الطويل)(1):

وَكِرَارٍ خَلْفِ الْمُجْعَرِينَ جَوَادَهُ إِذَا لَمْ يُحَامِ دُونَ أَنْتَى حَلِيلِهَا

بإضافة (كِرَارٍ) إلى (خَلْفِ)، ونصب (جَوَادَهُ) به.

استشهد به سيبويه على التوسُّع في الظروف المتصرِّفة وإضافة المصدر والصفة إليها(2)؛ فقال(3): (هذا بابٌ جرى مجرى الفاعل الذي يتعداه فعلُهُ إلى مفعولين في اللفظ لا في المعنى، وذلك قولك:

يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارِ

وتقول على هذا الحد: (سرقَتُ الليلةَ أهلَ الدارِ)؛ فتُجْري الليلةَ على الفعل في سَعَةِ الكلام، كما قال: (صِيَدَ عَلَيْهِ يَوْمَانِ)، و(وُلِدَ لَهُ سِتُونَ عَامًا)، فاللفظ يَجْري على قوله: (هذا مُعْطِي زَيْدٍ دَرَهْمًا)، والمعنى: إنما هو في الليلةِ، وصِيَدَ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمَيْنِ، غيرَ أَنَّهُمْ أَوْقَعُوا الْفِعْلَ عَلَيْهِ فِي سَعَةِ الْكَلَامِ. وكذلك لو قلت: (هذا مُخْرِجُ الْيَوْمِ الدَرَهْمَ، وَصَائِدُ الْيَوْمِ الْوَحْشَ).. وقال الأخطل: وَكِرَارٍ خَلْفِ...؛ فَإِنْ قلتَ كِرَارٍ وَطَبَاخٍ صَارَ بِمَنْزِلَةِ طَبَخْتُ وَكَررتَ؛ تُجْرِيهَا مجرى السَّارِقِ حينَ نَوَّنتَ على سَعَةِ الْكَلَامِ).

قال الفراء(4): (وقوله: «فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفًا وَعْدِهِ رُسلُهُ» (إبراهيم:47) أضفت (مُخْلِيفًا) إلى الوعد، ونصبت الرسل على التأويل(5). وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين مثل: (كسوتك الثوب، وأدخلتك الدار) فابدأ بإضافة الفعل إلى الرجل فتقول: (هو كاسي عبدِ اللَّهِ ثوبًا، ومُدْخِلُهُ الدارَ). ويجوز: (هو كاسي الثوبِ عبدَ اللَّهِ، ومدْخُلُ الدارِ زَيْدًا، جاز ذلك لأن الفعل قد يأخذ(6) الدار كأخذه عبد الله؛ فتقول: (أدخلتُ الدارَ، وكسوتُ الثوبَ). ومثله قول الشاعر (الطويل)(7):

ترى الثورَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رأسَهُ وسائرُهُ بادٍ إلى الشمسِ أجمَعُ

أما السيرافي فقد قال(8): (قال سيبويه في باب جرى مجرى الفاعل الذي يتعداه فعلُهُ إلى مفعولين في اللفظ لا في المعنى؛ قال الأخطل (الطويل)(9):

جَوَادٌ إِذَا مَا أَمَحَلَ النَّاسُ مُمْرِعُ كَرِيمٌ لَجَوَاعَتِ الشَّتَاءِ قَتُولُهَا

ثم ذكر الأخطل بعد هذا البيت بيتين ثم عطف فقال: .. - وذكر بيت الأخطل السابق - ثم قال: والشاهد فيه أنه أضاف كِرَارٍ إلى خَلْفِ، وجعل خلف المُجْعَرِينَ مفعولا على السَعَةِ).

قول الأخطل (الكامل)(10):

أَبْنَى كَلْبٍ إِنْ عَمَى اللَّذَا سَلَبَا الْمُلُوكَ وَقَكَّا الْأَغْلَالَ

بحذف النون من (اللذان)..

استشهد به سيبويه على حذف النون لغير الإضافة؛ فقال(11): (ولكن حذفوها كما حذفوها من (اللذين والذين) حيث طال الكلام؛ وكان الاسم الأول مُنتهاه الاسم الآخر، وقال الأخطل: أَبْنَى كَلْبٍ...؛ لأن معناه معنى الذين فعلوا وهو مع المفعول بمنزلة اسم مُفْرَدٍ لم يَعْمَلْ في شيء كما أن الذين فعلوا مع صلته بمنزلة اسم).

قال المبرد(12): (وقال الأنصاري (المنسرح)(13):

الْحَافِظُ عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ وَرَائِنَا نَطْفٌ

فهذا لم يرد الإضافة فحذف النون بغير معنى فيه، ولو أراد غير ذلك لكان غير الجر خطأ ولكنه حذف النون لطول الاسم؛ إذ صار ما بعد الاسم صلة له، والدليل على ذلك حذفهم النون مما لم يشتق من فعل ولا تجوز فيه الإضافة؛ فيحذفون لطول الصلة، فمن ذلك قول الأخطل: أَبْنَى كَلْبٍ.. فحذف النون من اللذين، وقال الأشهب بن رميلة (الطويل):

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِقَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ

وهذا رأي البصريين، أما الكوفيون فَيَرَوْنَهُ لُغَةً؛ قال ابن السجري(14): (فإن تَنَبَّتَ (الذي) ففيه ثلاث لغات: اللذان بتخفيف النون، اللذان بتشديدها، والتشديد لغة قريش، واللذان بحذف النون؛ قال الأخطل: أَبْنَى كَلْبٍ... هذا قول الكوفيين، وقال البصريون: إِمَّا حَذَفَ النُّونَ لَطُولِ الصَّلَةِ).

كما يقول البغدادي عند ذكر هذا البيت(15): (وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الأربعمئة على أن حذف النون من قوله (اللذا)، وأصله (اللذان) تخفيفاً لاستطالة الموصول بالصلة. هذا قول البصريين، وأما الكوفيون فحذف النون عندهم لغة في إثباتها؛ أطالت الصلة أم لم تَطُلْ).

وهناك مَنْ يراه ضرورةً؛ فقال(16): (ومِمَّا يجوز له: حذف النون التي هي غير أصلية في الجمع المُسَلَّم والتثنية بغير إضافة؛ فمن ذلك ما ذكرته من قول الشاعر: أَبْنَى كَلْبٍ... وإنما جاز هذا عند قوم لأن اللذين لا يتم اسماً إلا بصلة، فطال فحذف منه لطوله).

الشاهد الثالث:

قول الأخطل (البيسط)(17):

إلى إمام تُغَادِينَا فَوَاضِلُهُ أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلْيَهِنُنِي لَهُ الظَّفَرُ

استشهد به سيبويه؛ فقال(18): (هذا باب ما أُجْرَى مُجْرَى الْمَصَادِرِ الْمَدْعُوعِ بِهَا مِنَ الصِّفَاتِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: (هَيْنِيئاً مَرِيئاً)؛ كَأَنَّكَ قُلْتَ: (تَبَّتْ لَكَ هَيْنِيئاً مَرِيئاً، وَهِنَاهُ ذَلِكَ هَيْنِيئاً)، وَإِنَّمَا نَصَبْتَهُ لِأَنَّهُ ذَكَرَ لَكَ خَيْراً أَصَابَهُ رَجُلٌ فَقُلْتَ: (هَيْنِيئاً مَرِيئاً)، كَأَنَّكَ قُلْتَ: (تَبَّتْ ذَلِكَ لَهُ هَيْنِيئاً مَرِيئاً، أَوْ هِنَاهُ ذَلِكَ هَيْنِيئاً)؛ فَاخْتَزَلَ (19) الْفِعْلُ لِأَنَّهُ صَارَ بَدَلاً مِنَ اللَّفْظِ بِقَوْلِكَ: (هِنَاكَ)، وَبَدُلْتُكَ عَلَى أَنَّهُ عَلَى إِضْمَارٍ (هِنَاكَ ذَلِكَ هَيْنِيئاً) قَوْلُ الشَّاعِرِ وَهُوَ الْأَخْطَلُ: إِلَى إِمَامٍ...، كَأَنَّهُ إِذَا قَالَ: (هَيْنِيئاً لَهُ الظَّفَرُ) فَقَدْ قَالَ: (لِيَهِنُنِي لَهُ الظَّفَرُ)، وَإِذَا قَالَ: (لِيَهِنُنِي لَهُ الظَّفَرُ) فَقَدْ قَالَ: (هَيْنِيئاً لَهُ الظَّفَرُ)، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَدَلٌ مِنْ صَاحِبِهِ، فَلِذَلِكَ اخْتَزَلُوا الْفِعْلَ هُنَا كَمَا اخْتَزَلُوهُ فِي قَوْلِهِمْ: (الْحَدْرُ)، فَالظَّفَرُ وَالْهِنُّ عَمِلَ فِيهِمَا الْفِعْلُ، وَالظَّفَرُ بِمَنْزِلَةِ الْاسْمِ فِي قَوْلِهِ: هِنَاهُ ذَلِكَ حِينَ مُثِّلَ).

وقد فسّر الشنتمري ذلك بقوله(20): (وليس في الباب غير هذين الحرفين، وإنما أفرد لهما باباً لأنهما صفتان يُدْعَى بهما، ألا ترى أنك تقول: (هذا شيء هنيئٌ مريئٌ) كما تقول: هذا رجلٌ صبيحٌ جميلٌ). واستدل سيبويه على أنهما بدلٌ من الفعل باستعمال الفعل مكانهما.

يقول العكبري في قوله تعالى: «كُلُّوهُ هَيْنِيئاً مَرِيئاً» (النساء: 4): (هينئاً: مصدر جاء على فَعِيلٍ، وهو نعت لمصدر محذوف؛ أي: أكلاً هينئاً. وقيل هو مصدر في موضع الحال من الهاء، والتقدير: مهئاً أو طيباً) (21).

ويقول السمين الحلبي في الآية السابقة(22): (قوله: «هينئاً مريئاً»؛ في نصب (هينئاً) أربعة أقوال: أحدها: أنه منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف؛ تقديره: أكلاً هينئاً. الثاني أنه منصوب على الحال من الهاء في (فكلوه)؛ أي مهئاً؛ أي: سهلاً. الثالث: أنه منصوب على الحال بفعل لا يجوز إظهاره البتة، لأنه قصد بهذه الحال النيابة عن فعلها؛ نحو: (أقائمًا وقد قعد الناس؟)، كما ينوب المصدر عن فعله؛ نحو: (سقيًا له ورعيًا). الرابع: أنهما صفتان قامتا مقام المصدر المقصود به الدعاء النائب عن فعله).

الشاهد الرابع:

- وهو قول الأخطل (المتقارب):

وَأَنْتَ مَكَانُكَ مِنْ وَائِلٍ مَكَانُ الْقُرَادِ مِنْ إِسْتِ الْجَمَلِ

لم أجد هذا البيت في ديوان الأخطل، وقد نسبه إليه أبو الفرج الأصفهاني في قصة هجاء بين الأخطل وكعب بن جعيل التغلبيين، وقبله قوله(23):

سُمِّيَتْ كَعْبًا بِشَرِّ الْعِظَامِ وَكَانَ أَبُوكَ يُسَمَّى الْجُعْلُ

كما نسبهما البغدادي مرة إلى الأخطل(24) ومرة إلى عتبة بن الوغل التغلبي(25).

استشهد به سيبويه في (باب ما شُبِّهَ من الأماكن الْمُخْتَصَّةَ بِالْمَكَانِ غَيْرِ الْمُخْتَصِّ..): فقال(26): (وذلك قول العرب - سمعناه منهم - هو مَنِيَّ مَنْزِلَةَ الشَّغَافِ(27)، وهو مَنِيَّ مَنْزِلَةَ الْوَكْدِ. ويدلُّك على أنه ظرفٌ قولك: هو مَنِيَّ مَنْزِلَةَ الْوَلَدِ.. ومن ذلك قول العرب هو مَنِيَّ دَرَجِ السَّيْلِ؛ أي مكانَ درج السيل من السيل.. وأما ما يرتفع من هذا الباب فقولك: هو مَنِيَّ فَرَسَخَانَ وهو مَنِيَّ عَدْوَةَ الْفَرَسِ.. وقد زعم يونسُ أن ناسا يقولون: هو مَنِيَّ مَرْجَرِ الْكَلْبِ؛ يجعلونه بمنزلة مَرَأَى ومسمع، وكذلك مَفْعَدٌ وَمَنَاطٌ يجعلونه هو الأوَّلُ فَيُجْرَى كقول الشاعر: وَأَنْتَ مَكَانُكَ... وإِذَا حَسُنَ الرَّفْعُ هَهُنَا لِأَنَّهُ جَعَلَ الْآخِرَ هُوَ الأوَّلُ؛ كقولك: له رأسُ رأسِ الحِمَارِ، ولو جَعَلَ الْآخِرَ ظَرْفًا جاز، ولكنَّ الشاعر أراد أن يشبَّه مكانه بذلك المكان).

فقد رَجَّحَ الرَّفْعَ.. في حين ذهب المبرِّد إلى الرَّفْعِ؛ فقال في (باب إضافة الأزمنة إلى الجمل) بعد أن ذكر هذا الشاهد(28): (فإنه لم يجعل أحدهما ظرفاً للآخر وإنما شبه مكاناً مكاناً كقولك مكانك مثلُ مكان زيد)، ولم يُشِرْ إلى النصب فيه.

الشاهد الخامس:

- قول الأخطل (الطويل)(29):

حَمِينُ الْعِرَاقِيبِ الْعِصَا، وَتَرَكَتَهُ بِهِ نَفْسٌ عَالٍ مُخَالِطُهُ بُرُّهُ

استشهد به سيبويه في (باب ما يجري عليه صفة ما كان من سببه..): فقال(30): (وذلك قولك مررت برجلٍ ضاربٍ أبوه رجلاً، ومررت برجلٍ ملازمٍ أبوه رجلاً. ومن ذلك أيضاً: مررتُ برجلٍ ملازمٍ أباه رجلاً ومررت برجلٍ مخالطٍ أباه داءً؛ فالمعنى فيه على وجهين: إن شئت جعلته يلازمه ويخالطه فيما يُستقبل، وإن شئت جعلته عملاً كائناً في حالٍ مرورك. وإن ألقيت التنوين وأنت تريد معناه جرى مثله إذا كان مُتَوَنِّئًا. ويدلُّك على ذلك أنك تقول: مررتُ برجلٍ ملازمك؛ فَيَحْسُنُ، ويكون صفةً للنكرة بمنزلة إذا كان مُتَوَنِّئًا. وحين قلتُ مررتُ برجلٍ ملازمٍ أباه رجلاً، وحين قلتُ مررتُ برجلٍ ملازمٍ أبيه رجلاً، فكأنك قلتُ في جميع هذا: مررتُ برجلٍ ملازمٍ أباه، ومررتُ برجلٍ ملازمٍ أبيه؛ لأن هذا يجري مجرى الصفة التي تكون خالصةً للأول. وتقول: مررتُ برجلٍ مخالطٍ بدنه أو جسده داءً، فإن ألقيت التنوين جرى مجرى الأول إذا أردت ذلك المعنى، ولكنك تُلقِي التنوينَ تخفيفاً). وبعد أن استشهد بيت لابن ميادة قال: (وأُنشِدُ غَيْرَهُ مِنَ الْعَرَبِ بَيْتًا آخَرَ فَأَجْرُوهُ هَذَا الْمَجْرَى وَهُوَ قَوْلُهُ: حَمِينُ الْعِرَاقِيبِ..).

وذلك كما قال السيرافي(31): (الشاهد فيه أنه أضاف مُخَالِطَهُ وَأَجْرَاهُ نَعْتًا لِلأول، وليس بفعل(32) للموصوف؛

إفما هو فعل سببه، ولم ينصبه على الحال لأن المخالطة فاعلها البهرُ، ومخالطه مرفوعٌ صفةً لنفس).

وقد ضبط ذلك الرضي فأوضحه أكثر؛ فقال(33): (هذا كله إذا أردت إعمال اسم الفاعل عمل الفعل، أما إذا لم ترد ذلك وجعلته اسماً فليس فيه إلا الرفع على كل حال؛ نحو: مررتُ برجلٍ ملازمه رجلٌ؛ أي صاحبٍ ملازمته رجلٌ، جعلت (ملازمه) بمنزلة ما لم يؤخذ من الفعل، كما تجعل: صاحبه كذلك. فعلى هذا تقول في المثني والمجموع: برجلٍ ملازمه الزيدان، وملازموه بنو فلان).

لكن سيبويه - رحمه الله - بيّنَ خلافاً بين عالمين (34) من البصريين في ذلك فقال(35): (وإفما ذكرنا هذا لأن ناساً من النحويين يُفرّقون بين التنوين وغير التنوين، ويفرقون إذا لم يُتّونوا بين العمل الثابت الذي ليس فيه علاج يروونه؛ نحو: الأخذ واللازم والمخالط وما أشبهه، وبين ما كان علاجاً يروونه؛ نحو: الضارب والكاسر؛ فيجعلون هذا رفعاً على كل حال، ويجعلون اللازم والمخالط وما أشبهه نصباً إذا كان واقعاً، ويُجرونه على الأول إذا كان غير واقع. وبعضهم يجعله نصباً إذا كان واقعاً، ويجعله على كل حال رفعاً إذا كان غير واقع، وهذا قولُ يونس، والأول قولُ عيسى).

وقد ناقش البغدادي ذلك؛ فقال(36): (وفي البيت ردُّ على يونس في زعمه أن الصفة إذا كانت للحال وجب نصبها على الحال؛ فإن الرواية برفع مخالطه على الإتيان مع أنه للحال لا للاستقبال. قال سيبويه: وأنشد غيره - أي غير ابن ميادة(37) - من العرب بيتاً آخر فأجروه هذا المجرى وهو قوله: (حمينُ العراقيبِ العصا..)، والعمل الذي لم يقع والواقع الثابت في هذا الباب سواء، وهو القياس وقولُ العرب).

الشاهد السادس:

قول الأخطل (البسيط)(38):

نفسى فداءً أمير المؤمنين إذا أبدى التّواجدَ يومٍ باسلاً دَكَرُ

الخائضُ الغمَرُ والميمونُ طائرُهُ خَلِيفَةُ اللهِ يُسْتَسْقَى به المَطَرُ

استشهد به سيبويه؛ فقال(39): (هذا باب ما ينتصب على التعظيم والمدح، وإن جعلته صفةً فجزى على الأول، وإن شئتُ قطعته فابتدأته. وذلك قولك: الحمدُ لله الحميدُ هو، والحمد لله أهلُ الحمد، والمُلكُ لله أهلُ المُلكِ. ولو ابتدأته فرفعته كان حسناً، كما قال الأخطل: الخائضُ الغمَرُ...).

قال السيرافي(40): (والشاهدُ فيه أنه رفع الخائض الغمَر. وما بعده على أنه خبر ابتداء محذوف. أو على أنه مبتدأ وخبره محذوف... ويجوز فيه الخائضُ بالنصب، ويجوز فيه الجرُّ على الصفة).

وقال الشنتمري(41): (كأنه قال: هو الخائضُ الغمَر.. ثم قال: وأعلم أن التعظيم يحتاج إلى معنيين في المُعظَم؛

أحدهما: أن يكون المعنى الذي عَظُمَ به صفة مدحٍ وثناءٍ ورفعةٍ، والآخر: أن يكون المُعْظَمُ قد عرفه المخاطبٌ وشهره عنده بما عَظُمَ به، أو يتكلم المتكلم بصفة ينفرد بها المُخْبِرُ عنه عند المخاطب ويعرفه بها، ثم يأتي بعدُ بصفات يُعْظِمُه بها؛ كقولك: مررتُ بعبدِ اللهِ الكريمِ الفاضلِ، فتنصب الفاضل على التعظيم؛ لأنك لما قدّمتَ الكريمَ صار كأنه قد عُرِفَ وشهرَ).

وقال السهيلي(42): (وأما إذا كان المنعوت غير مُتميِّز عند المخاطب إلا بنعته، فلا بد حينئذٍ أن يكون تابعًا للمنعوت، ثم يكون تكرار النعوت شرطًا في جواز القطع.. وفائدة القطع من الأول أنهم أرادوا تجديد مدح أو ذم غير المذكور في أول الكلام؛ لأن تجددَ لفظ غير الأول دليل على تجددِ معنى، وكلما كثرت المعاني وتجددَ المدح كان أبلغ).

الشاهد السابع:

قول الأخطل (الكامل)(43):

ولقد أبيت من الفتاة بمنزلٍ فأبيت لا حرج ولا محروم

استشهد سيويه بهذا البيت في موضعين:

الأول: قوله في (باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة)(44): وذلك قولك: هذا عبد الله مُنْطَلِقٌ، حدّثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمّن يُوثَقُ به من العرب. وزعم الخليل - رحمه الله - أنّ رفعه يكون على وجهين: فوجهُ أنك حين قلت: هذا عبدُ الله أضمرتَ هذا أو هو، كأنك قلت: هذا مُنْطَلِقٌ أو هو مُنْطَلِقٌ. والوجه الآخر أن تجعلهما جميعًا خبرًا لهذا؛ كقولك: هذا حُلُوٌ حامضٌ، لا تريد أن تنقِصَ الحلاوة؛ لكنك تزعم أنه جمع الطعمين، وأما قول الأخطل: ولقد أبيت... فزعم الخليل - رحمه الله - أن هذا ليس على إضمار أنا، ولو جاز هذا على إضمار أنا لجاز: كان عبدُ الله لا مُسَلِّمٌ ولا صالح على إضمار هو، ولكنه فيما زعم الخليل - رحمه الله - : فأبيتُ بمنزلة الذي يُقال له لا حرج ولا محروم).

قال السيرافي(45): (ومذهب سيويه أنّ رفع لا حرج ولا محروم بمنزلة: أنا ابنُ قيسٍ لا برأح، ويجعل لا بمنزلة ليس، ويرفعه بها ويحذف الخبر).

وقال الزجاج في قوله تعالى: «ثُمَّ لَنُنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْهَمُّ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا» (مريم:69): (فأما رفعُ أَيْهَمُّ فهو القراءة، ويجوز أَيْهَمُّ بالنصب؛ حكاها سيويه، وذكر سيويه أن هارون الأعمور القارئ(46) قرأ بها(47). وفي رفعها ثلاثة أقوال: قال سيويه عن يونس: إن قوله جل وعزّ: «لَنُنزِعَنَّ» مُعَقَّلَةٌ لم تعمل شيئًا، فكان قول يونس: «ثُمَّ لَنُنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ» ثم استأنف فقال: «أَيْهَمُّ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا». وأما الخليل فحكى عنه سيويه أنه على معنى الذين يُقال: «أَيْهَمُّ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا»، ومثله عنده قول الشاعر: ولقد أبيت...المعنى:

فَأَبَيْتُ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: لَا هُوَ حَرَجٌ وَلَا هُوَ مَحْرُومٌ(48).

وقال ابن مكي بن أبي طالب(49): (قوله: «أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا»؛ قرأ هارون القارئ: بنصب أيهم؛ أَعْمَلَ فِيهَا لَنَنْزَعَنَّ، والرفع في أيهم؛ عند الخليل على الحكاية، فهو ابتداءً، وخبره: أَشَدُّ؛ تقديره: ثُمَّ لَنَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ الَّذِي مِنْ أَجْلِ عُنُوهُ يُقَالُ: أَيُّ هَؤُلَاءِ أَشَدُّ عِتِيًّا، وهو كقول الشاعر: فَأَبَيْتُ لَا حَرَجًا..أي بمنزلة الذي يُقَالُ لَهُ: لَا حَرَجٌ وَلَا مَحْرُومٌ).

قال أبو حيان(50): (وقرأ طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء وزائدة عن الأعمش: أَيُّهُمْ؛ بالنصب مفعولاً بـ (لَنَنْزَعَنَّ)، وهاتان القراءةان تدلان على أن مذهب سيبويه أنه لا يتحتم فيها البناء إذا أضيف وحذف صدر صلتها، وقد نُقِلَ عَنْهُ تَحْتَمُّ الْبِنَاءِ، وينبغي أن يكون فيه على مذهبه البناء والإعراب. قال أبو عمرو الجرمي: خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكة أحداً يقول: لَأَضْرِبَنَّ أَيُّهُمْ قائم. بالضم؛ بل بنصبها. وقال أبو جعفر النحاس: وما علمت أحداً من النحويين إلا وقد خطأ سيبويه، وسمعت أبا إسحاق يعني الزجاج يقول: ما تبين أن سيبويه غلط في كتابه إلا في موضعين؛ هذا أحدهما. قال: وقد أعرب سيبويه أياً وهي مفردة؛ لأنها تضاف، فكيف يبنيتها وهي مضافة؟).

كما يقول ابن يعيش في كلامه على (أي) في الآية الكريمة السابقة وأحد وجوه الرفع فيها(51): (والوجه الثالث أن يكون رفعاً على الحكاية، والمعنى: ثُمَّ لَنَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ فَرِيقٍ تَشَايَعُوا الَّذِي يُقَالُ فِيهِ: أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا، وهو رأي الخليل، وشبهه بقول الأخطل: ولقد أبيت... وهذا باب الشعر، وفي حال الاختيار عنه مندوحة، ويونس يجعله من قبيل: أشهد إنك لرسول الله، في تعليق الفعل عن العمل سواء كان من أفعال القلب أولاً يكون، ويجوز: لَأَضْرِبَنَّ أَيُّهُمْ هو أفضل. ويُعَلَّقُ الضرب، وهذا ضعيف؛ لأن التعليق ضرب من الإلغاء، ولا يجوز أن يُعَلَّقَ مِنَ الْأَفْعَالِ عَنِ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يَجُوزُ الْغَاوَهُ، والذي يجوز إلغاؤه أفعال القلب).

الثاني: قوله في (باب أي) (52): (وحدثنا هارون أن ناساً - وهم الكوفيون - يقرؤونها: «ثُمَّ لَنَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا»، وهي لغة جيدة؛ نصبها(53) كما جرّوها حين قالوا: أَمُرُّ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ، فأجراها هؤلاء مجرى الذي إذا قلت: اضرب الذي أفضل؛ لأنك تُنْزِلُ أَيًّا وَمَنْ مَنَزَلَةَ الَّذِي فِي غَيْرِ الْجَزَاءِ وَالاسْتِفْهَامِ. وزعم الخليل أن أَيُّهُمْ إِمَّا وَقَعَ فِي: اضرب أَيُّهُمْ أَفْضَلُ، على أَنَّهُ حِكَايَةٌ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: اضربِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: أَيُّهُمْ أَفْضَلُ، وشبهه بقول الأخطل: ولقد أبيت..).

وقال الرماني(54): (فهذا - أي الرفع - على الحكاية، ولولا ذلك لَنَصَبَ بـ (أبيت)؛ فقال: لَا حَرَجًا وَلَا مَحْرُومًا، فهو مُتَضَمِّنٌ بِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ، ولو لم يكن على الحكاية؛ لم يكن مُضْمَنًا).

كما قال أبو البركات الأنباري(55): (ذهب الكوفيون إلى أن أيهم إذا كان بمعنى الذي وحذف العائد من الصلة معرب؛ نحو قولهم: لَأَضْرِبَنَّ أَيُّهُمْ أَفْضَلُ. وذهب البصريون إلى أنه مبني على الضم، وأجمعوا على أنه إذا ذكر العائد أنه معرب؛ نحو قولهم: لَأَضْرِبَنَّ أَيُّهُمْ أَفْضَلُ. وذهب الخليل بن أحمد إلى أن أيهم مرفوع بالابتداء

وأفضل خبره، ويجعل أيهم استفهاماً، ويحمله على الحكاية بعد قول مقدر، والتقدير عنده: لأَضْرِبَنَّ الذي يُقال له أَيُّهُمْ أَفْضَلُ).

الشاهد الثامن:

- قول الأخطل (البيسط) (56):

أَيَّامَ جُمْلٍ خَلِيلاً لَوْ يَخَافُ لَهَا صُرْمًا لَخَوْلَطَ مِنْهُ الْعَقْلُ وَالْجَسَدُ

هذا البيت لا يوجد في ديوان الأخطل مع أن السيرافي أورده وقبله بيت لا يوجد في الكتاب بقوله (57): (قال سيبويه: (قال الأخطل:

وقد أراها وَسَعْبُ الْحَيِّ مُجْتَمِعٌ وَأَنْتَ صَبٌّ مِمَّنْ عُلِقَتْ مُعْتَمِدٌ

أَيَّامَ جُمْلٍ خَلِيلاً لَوْ يَخَافُ لَهَا صُرْمًا لَخَوْلَطَ مِنْهُ الْعَقْلُ وَالْجَسَدُ)

برفع (جُمْلٍ)..

استشهد به سيبويه على أَنَّ نصب (خَلِيلاً) ليس من نصب الاسم الْمُخْتَصَّ بفعل محذوف وجوباً تقديره: أعني أو أَخْصُ؛ في (باب من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء) فقال (58): (فيجيء لفظه على موضع النداء نصبا؛ لأن موضع النداء نصب ولا تجري الأسماء فيه مجراها في النداء لأنهم لم يجروها على حروف النداء ولكنهم أجروها على ما حُمِلَ عليه النداء، وذلك قولك: إنا - معشر العرب - نفعل كذا وكذا، كأنه قال: أعني، ولكنه فعلاً لا يظهر ولا يستعمل كما لم يكن ذلك في النداء؛ لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب.. وزعم الخليل - رحمه الله أَنَّ هذا البيت مثل ذلك؛ للأخطل: أَيَّامَ جُمْلٍ..). فقوله: (زعم) يُظْهِرُ أَنَّ سيبويه لا يرى ذلك.

كما بيّن ذلك الرّماني بقوله (59): (فليس هذا على اختصاص النداء؛ لأنه نكرة، ولكنه كأنه قال: أَيَّامَ جُمْلٍ حَسْبُكَ بها خليلاً، لو يخاف خليلها لها صُرْمًا؛ لَخَوْلَطَ مِنْهُ الْعَقْلُ وَالْجَسَدُ، فعلى هذا معنى الكلام).

إلا أَنَّ السيرافي يرى أن المحذوف فعل التعجب؛ فيقول (60): (الشاهد فيه أنه نصب (خليلاً) بفعل مُضْمَرٍ، وذلك الفعل هو فعل التعجب؛ كأنه قال: أَيَّامَ جُمْلٍ أَكْرَمُ بها خليلاً..).

والمعلوم أن لكل من التعجب والاختصاص باباً؛ فأول مثال ضربه سيبويه قوله: (وذلك قولك: إنا - معشر العرب - نفعل كذا وكذا..). كما بيّن الفرق بين الاختصاص والنداء بأن الاختصاص تدخله ال التعريف بينما المنادى لا تدخله؛ فقال (61): (ألا ترى أنه لا يجوز لك أن تقول: يا العرب..). كما أشار إلى ذلك ابن عقيّل؛ فقال (62): (الاختصاص يشبه النداء لفظاً ويخالفه من ثلاثة أوجه: أحدها أنه لا يستعمل معه حرف نداء. والثاني أنه لا بد أن يسبقه شيء. والثالث أن تصاحبه الألف واللام).

يقول الأعلام الشنتمري(63): (النصب في هذا الباب على مذهب ما يوجه النداء من النصب بفعل غير مُستعملٍ إظهاره، والدليل على ذلك أن الاسم المفرد الذي يقع فيه لا يُبنى على الضم كما يُبنى الاسم المفرد في النداء على الضم، ولا يجوز أن يدخل عليه حرف النداء كما يدخل في المنادى. ومعنى قول سيبويه: فيجيء لفظه على موضع النداء نصبا.. يريد أن موضع النداء فعل تقصد به في التقدير إلى المنادى الغافل عنك فتختصه لتعطفه على نفسك وكذلك له. والمنصوب في هذا الباب يعمل فيه فعل يقصد به الاختصاص على جهة الافتخار به والتفضيل له).

والأقرب في هذا قول أبي العباس الذي نقله الأعلام الشنتمري؛ إذ قال(64): (قال أبو العباس: في هذا قولان: أحدهما أن خليلا مفعول به وتقديره: أعني خليلا، والآخر أن يكون حالا، وتجعل أيام مُضافة إلى جمل..).

الشاهد التاسع:

- قول الأخطل (الكامل)(65):

لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ وتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

اختُلف في نسبة هذا البيت؛ فرواه قوم للأخطل، ورواه آخرون للمتوكل الليثي، وغيرهم لأبي الأسود الدؤلي والأخيرة أثبت الروايات(66). لكن ما يعنينا هنا هو الجانب النحوي..

وقد استشهد به سيبويه على نصب الفعل بعد الواو؛ فقال في باب الواو(67): (اعلم أن الواو يَنْتَصِبُ ما بعدها في غير الواجب؛ من حيث انتصب ما بعد الفاء، وأنها قد تُشْرِكُ بين الأول والآخر كما تُشْرِكُ الفاء، وأنها يُسْتَقْبَحُ فيها أن تُشْرِكُ بين الأول والآخر، كما استقبح ذلك في الفاء، وأنها يجئ ما بعدها مرتفعاً منقطعاً من الأول كما جاء ما بعد الفاء. واعلم أن الواو - وإن جَرَّتْ هذا المجرى - فإن معناها ومعنى الفاء مختلفان؛ ألا ترى الأخطل قال: لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ...؟ فلو دخلت الفاء ههنا لأفسدت المعنى، وإما أراد لا يجتمعنَّ النهي والإتيان؛ فصار تأتي على إضمار أن، ومما يدلُّك أيضاً على أن الفاء ليست كالواو قولك: مررت بزيد وعمرو، ومررت بزيد فعمرو؛ تريد أن تُعْلِمَ بالفاء أن الآخر مرَّ به بعد الأول، وتقول: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، فلو أدخلت الفاء ههنا فسدت المعنى، وإن شئت جزمت على النهي في غير هذا الموضوع). كما استشهد ببعض الآيات؛ منها قوله تعالى: «وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (البقرة:42)، وقوله: «وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ» (آل عمران:142)، وقوله: «يَا لَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (الأنعام:27). والنصب في (ولا نُكَدِّبُ... ونكون) قراءة ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم. كتاب السبعة: (193).

فقوله: (وإن شئت جزمت على النهي في غير هذا الموضوع) يعني جواز النصب. وهذا بابٌ معروف في العربية لوُزِدَ النصوص العربية الفصيحة بذلك، ويُسمَّيه الكوفيون (الصرف)؛ يقول الفرَّاء في آية البقرة السابقة(68): (وإن شئت جعلت هذه الأحرف المعطوفة بالواو نصبا على ما يقول النحويون من الصرف، فإن قلت: وما

الصَّرْف؟ قلت: أَنْ تَأْتِيَ بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصَّرْف؛ كقول الشاعر: لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ.. ألا ترى أنه لا يجوز إعادة لا فيتأتي مثله، فلذلك سُمِّيَ صرفًا؛ إذ كان معطوفًا ولم يستقم أن يُعاد فيه الحادث الذي قبله).

يقول الرَّجَاجِي(69): (اعلَمْ أَنَّ الواو تنصِب الفعل المُستقبل(70) إذا أردتَ بها معنَى غيرَ معنى العطف، وذلك قولك: لا تَأْكُلِ السَّمَكَ وتشربِ اللَّبَنَ، إذا أردتَ أَنْ تنهَاه عن الجمع بينهما. ولو أردتَ أن تنهَاه عنهما على كل حال لَعَطَفْتَ فجزمتَ فقلتَ: لا تَأْكُلِ السَّمَكَ وتشربِ اللَّبَنَ. ومنه قول الشاعر لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ..).

ويقول الرماني(71): (فمثلُ هذا لا يجوز بالجزم عَطْفًا على الأول، ولا يجوز الفاء؛ لأنه يجعل النهيَ عن خُلُقٍ سَبَبًا لِإِتيانِ مِثْلِهِ. وتقول: لا تَأْكُلِ السَّمَكَ وتشربِ اللَّبَنَ، فهذا نَهْيٌ عن الجمع، ولو كان: وتشربِ اللَّبَنَ؛ لكان قد نهَاه عن كَلِّ واحدٍ منهما).

كما يقول ابن هشام(72): (الواو تصريفُ بها الفعل المُستقبل إذا أردتَ بها غيرَ معنى العطف، وتُسَمَّى واو الصَّرف لأنها تصريفُ آخِرِ الكلام على أوله، وذلك قولك: لا تَأْكُلِ السَّمَكَ وتشربِ اللَّبَنَ. قال الشاعر: لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ..). وقال في مغني اللبيب(73): (وقوله: لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ..؛ والحقُّ أنَّ هذه الواو واو العطف).

الشاهدان العاشر والحادي عشر: وهما في باب واحد:

العاشر: قول الأخطل (البيسط)(74):

وقال رائدُهم أَرَسُوا نَزَاوِلُهَا فَكُلُّ حَتْفِ امرئٍ يَمْضِي لِمُقَدَّارِ

استشهد به سيبويه في (باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل إذا كان جوابًا لأمر أو نهي أو استفهام أو تَمَنُّ أو عَرَضُ؛ فأما ما انجزم بالأمر فقولك: ائْتِنِي آتِكَ..)، فقال(75): (وتقول: ائْتِنِي آتِكَ، فتجزم على ما وصَفْنَا، وإن شئتَ رفَعْتَ على أَنْ لا تجعله مُعلِّقًا بالأول، ولكنك تبتدئه وتجعل الأول مستغنيًا عنه، كأنه يقول: ائْتِنِي أنا آتِكَ. ومثل ذلك قول الشاعر وهو الأخطل: وقال رائدُهم..).

وقد ذهب إلى ذلك الرماني بقوله(76): (الذي يجوز في الجواب بالجزم لما لم يُدْكَر فيه حرف الشرط إجراؤه على ما فيه معنى الطلب بتعليق الفعل؛ لأنه يكون بمنزلة الجزاء في الشرط وجوابه؛ وذلك لأن ما فيه معنى الطلب يقتضي الجزاء. ولا يجوز الجواب بالجزم إلَّا لما فيه معنى الجزاء.. وقال الأخطل: وقال رائدُهم أَرَسُوا نَزَاوِلُهَا.. هذا رَفَعٌ على الاستئناف).

كما يقول السيرافي(77): (وقد يجوز في جواب الأمر الرفع على الاستئناف، وعلى الحال والاستئناف؛ نحو قولك: ائْتِنِي آتِكَ. كأنه قال: أنا آتِكَ، ويقع في مثله ما يَحْسُنُ فيه الرفع على الاستئناف والحال؛ كقول القائل: دَرَهُ يَقُولُ. ذاك على معنى: قائلًا ذاك، وعلى الاستئناف، وكذلك: «يَدْرُهُمْ في طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» (الأعراف:186)، على

معنى عامهين، وعلى معنى: هُم يعمهون مُستأنفًا، وسائر ما ذكره سيبويه في الرفع على هذين الوجهين كذلك).

- الحادي عشر: قول الأخطل (البيسط) (78):

كُرُوا إِلَى حَرَّتَيْكُمْ تَعْمُرُونَهُمَا كَمَا تَكُرُّ إِلَى أَوْطَانِهَا الْبَقْرُ

استشهد به سيبويه في الباب السابق فقال (79): (وتقول: قُمْ يدعوك؛ لأنك لم تُرِدْ أَنْ تجعل دعاءً بعد قيامه ويكون القيام سبباً له، ولكنك أردت: قُمْ إنه يدعوك، وإن أردت ذلك المعنى جزمته. وأما قول الأخطل: كُرُوا إِلَى حَرَّتَيْكُمْ... فعلى قوله: كُرُوا عامرين. وإن شئت رفعت على الابتداء. وتقول: مُرُهُ يَحْفِرُهَا، وَقُلْ لَهُ يَقُلْ ذَاكَ. وقال الله عزَّ وجلَّ: «قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ» (إبراهيم:31). ولو قُلْتَ: مُرُهُ يَحْفِرُهَا على الابتداء كان جيِّداً.

وقال الرماني (80): (وتقول: قُمْ يدعوك، بالرفع على كلام الناس: فإنه يدعوك، ولو أردت: إنك إن تقم دعاءك؛ جزمته. قال الأخطل: كُرُوا إِلَى حَرَّتَيْكُمْ.. فهذا يصلح على الحال، والاستئناف).

وقال السيرافي في ذلك (81): (الشاهد أنه رفع تعمرونهما. ولم يجزمه على جواب كُرُوا، وجعل تعمرونهما في موضع الحال؛ كأنه قال: كُرُوا عامرين).

الشاهد الثاني عشر:

- قول الأخطل (البيسط) (82):

كَذَّبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرِّبَابِ حَيَالًا

استشهد به سيبويه في (باب أم منقطعة)؛ فقال (83): وذلك قولك: أعمرو عندك أم عندك زيد؟ فهذا ليس بمنزلة: أيهما عندك؟ ألا ترى أنك لو قلت: أيهما عندك، لم يستقم إلا على التكرير والتوكيد؛ ويدلُّك على أن هذا الآخر منقطع قول الرجل: إنها لإيل، ثم يقول: أم شاء يا قوم. فكما جاءت (أم) ههنا منقطعة، كذلك تجيء بعد الاستفهام، وذلك أنه حين قال: أعمرو عندك، فقد ظن أنه عنده، ثم أدركه مثل ذلك الظن في زيد بعد أن استغنى كلامه، وبمنزلة (أم) ههنا قوله عز وجل: «ألم*تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين*أم يقولون افتراه» (السجدة:3-1)، فجاء هذا الكلام على كلام العرب؛ قد علم تبارك وتعالى ذلك من قولهم، ولكن هذا على كلام العرب ليُعرفوا ضلالتهم. ومن ذلك: «أليس لي مُلكٌ مِصرَ وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون*أم أنا خير من هذا الذي هو مهين» (الزخرف:51-52)؛ كأن فرعون قال: أفلا تبصرون أم أنتم بُصراء؟.. وزعم الخليل أن قول الأخطل: كَذَّبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ... كقولك: إنها لإيل أم شاء.. ويجوز في الشعر أن يريد بكذبتك الاستفهام ويحذف الألف. قال التميمي وهو الأسود بن يعفر (الطويل):

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي، وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مَنَقَرٍ

وقال عمر بن أبي ربيعة (الطويل) (84):

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي، وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا بِسَبْعِ رَمِيٍّ الْجَمْرُ أَمْ بِثَمَانٍ.

يقول المبرد (85): (وَأَمْ المنقطعة تقع بعد الاستفهام كموقعها بعد الخبر، ومن ذلك قولك: أزيد في الدار أم لا؟ ليس معنى هذا: معنى (أيهما)، ولكنك استفهمت على أنك ظننت أنه في الدار، ثم أدركك الشك في أنه ليس فيها، فأضربت عن السؤال عن كونه فيها. فأما قول ابن أبي ربيعة: لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي... فليس على الإضراب، ولكنه أراد: أوسع؟ فاضطرر، فحذف الألف، وجعل (أم) دليلاً على إرادته إياه؛ إذ كان المعنى على ذلك).

ويقول أبو علي الفارسي في (باب أَمْ مُنْقَطَعَةٌ) بعد أن ذكر آية الرُّخْفِ السابقة (86): (والقول فيه أن أَمْ إِمَّا تَجِيءُ للتحوُّلِ مِنْ خَبَرٍ إِلَى خَبَرٍ، ومعناها في القرآن التوبيخ والتقرير كما كان في الألف، ونظيرها في الخبر بل، نحو: جاءني عبدُ الله، ثم يُضْرَبُ عنه فيقول: بل زيدٌ مررتُ به، والألف التي للتوبيخ؛ فتقديره: أتقولون افتراه، وتقديره على التوبيخ والتحوُّلِ جميعاً، بل أتقولون افتراه، فهي على معنى بل إذا كان معها استفهاماً، وأنشد: كَذَّبْتَكَ عَيْنَكَ.. قال: معناه بل رأيتُ كقولك: إنها لَأَيْلٌ أَمْ شَاءَ).

الشاهد الثالث عشر:

- قول الأخطل (الوافر) (87):

فَإِنْ تَبَخَّلَ سَدُوسٌ بِدِرْهَمَيْهَا فَإِنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولٌ

استشهد به سيبويه في (باب أسماء القبائل والأحياء وما يُضاف إلى الأب والأم) على صرف الاسم إذا أُريدَ به معنى الحي وَمَنْعِهِ إذا أُريدَ به معنى القبيلة؛ فقال (88): (فإذا قلت هذه تميمٌ وهذه أسدٌ وهذه سلولٌ.. وصرفت تيمماً وأسداً لأنك لم تجعل واحداً منهما اسماً للقبيلة.. وإن شئت جعلت تيمماً وأسداً اسم قبيلة في الموضوعين جميعاً فلم تصرفه، وسمعنا من العرب من يقول: للأخطل: فَإِنْ تَبَخَّلَ...). وقد ظهر من كلام سيبويه ضابط ذلك؛ فإن جاز قول (بَنُو كَذَا) فالمقصود القبيلة وهو ممنوع من الصرف، وإن جاز قول (أهل كذا) فالمقصود الحي وهو مصروف، مع عدم ترجيحه للصرف أو المنع؛ فقال (89): (وكُلُّ جَائِزٍ حَسَنٍ. فإذا قلت: هذه سدوسٌ، فأكثرهم يجعله اسماً للقبيلة. وإذا قلت: هذه تميمٌ، فأكثرهم يجعله اسماً للأب. وإذا قلت: هذه جذامٌ، فهي كسدوسٍ. فإذا قلت: من بني سدوسٍ، فالصرف؛ لأنك قصدت قصد الأب).

وقد أشار السيرافي إلى هذا الشاهد مضيئاً إليه بيتاً آخر لم يذكره سيبويه؛ فقال (90): (قال سيبويه في باب

الأحياء والقبائل، قال الأخطل:

فَإِنْ تَبَخَّلْ سَدُوسٌ بِدِرْهَمَيْهَا فَإِنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولٌ

وَإِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ الْبَسُونِي ظِلَالٌ كِرَامَةٌ مَا إِنْ تَزَوَّلُوا.

ولم يتطرق إلى موضع الشاهد..

وهذا في العربية لم يختلف فيه أهل اللغة؛ قال الفراء (91) في قوله تعالى: «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ» (فُصِّلَتْ: 16). (القراءة برفع ثمود، قرأ بذلك عاصم، وأهل المدينة والأعمش؛ إلا أن الأعمش كان يُجْري ثمود في كل القرآن إلا قوله: «وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ» (92)، فإنه كان لا يُنُون؛ لأن كتابه بغير ألف. ومن أجازها جعلها اسماً لرجل أو لجبل، ومن لم يُجْرِها جعلها اسماً للأمة التي هي منها). إلا أنه رجَّح الإجراء؛ فقال بعد ذلك: (وإجراؤها أجود في العربية مثل قولك: جاءتك تميمٌ بأسرها، وقيسٌ بأسرها..).

الشاهد الرابع عشر:

- قول الأخطل (البسيط) (93):

لَمَّا أَتَوْهَا مِصْبَاحٍ وَمِيزَانٍ سَارَتْ إِلَيْهِمْ سُورَ الْأَجَلِ الضَّارِي

استشهد به سيبويه في (هذا باب ما ذكرنا من بنات الياء والواو التي الياء والواو فيهن عينات)؛ فقال (94): .. وقالوا: سُورته فأنا أسوره سُوراً، وهو سائرٌ. وقالوا: عُرْتُ فأنا أعورُ عُوراً، وهو غائرٌ، كما قالوا: جَمَدٌ جُموداً وهو جامد، وَقَعَدَ فُعُوداً وهو قاعدٌ، وَسَقَطَ سُقُوطاً وهو ساقطٌ. وقالوا: عُرْتُ في الشيءِ عُوراً وغياراً؛ إذا دَخَلَتْ فيه، كقولهم: يَعْورُ في العُور. وقال الأخطل: لَمَّا أَتَوْهَا...).

وذلك على بناء مصدر (سار) يسور على سُورٍ على القياس لأنه لازم، فجاء على الأصل، وجاء مهموزاً استئثالا للضمة على الواو. أما المتعدي نحو سُورته سُوءاً، وقُتته قوتاً فإن مصدره يكون على الفعل. (سارَ يَسُورُ سُوراً وسُوراً وَتَبَّ وثارَ) (95).

وهذا رأي البصريين الذي صرح به المبرد معتبراً جواز وجود الواوين ضرورةً بقوله (96): (فأما الواو فإن ذلك لا يجوز فيها - يعني إثبات الواو - كراهيةً للضمة بين الواوين، وذلك أنه كان يلزمه أن يقول: مَقُولٌ؛ فلماذا لم يجز في الواو ما جاز في الياء. هذا قول البصريين أجمعين ولست أراه ممتنعاً عند الضرورة إذ كان قد جاء في الكلام مثله، ولكنه يعتل لاعتلال الفعل، والذي جاء في الكلام ليس على فعل؛ فإذا اضطرَّ الشاعر أجرى هذا على ذلك، فمما جاء قولهم: النَّوور، وقولهم: سرت سُوراً، ونحوه؛ قال أبو ذؤيب (الطويل):

وغير ماء المرْدِ فاها فلوئُه كَلَوْنِ النَّوُورِ وَهِيَ أَدْمَاءُ سَارُهَا

وقال العجاج (الرَّجَز):

كَأَنَّ عَيْنَيْهِ مِنَ الْعُورِ

وهذا أثقل من مفعول من الواو لأنَّ فيه واوين وضمَّتين وإمَّا نَمَّ واوان بينهما ضمة).

كما أكد ذلك ابن الشجري بقوله (97): (والبصريون أجمعون لا يُجيزون إتمام ما كان منه من ذوات الواو إلا أبا العباس؛ فإنه جَوَّز ذلك في الضرورة..).

الشاهد الخامس عشر:

- وهو عَجَزُ بيت يقول فيه الأخطل (البيسط) (98):

وَاسْأَلْ مَمْصَقَلَةَ الْبَكْرِيِّ مَا فَعَلْ

استشهد به سيبويه في (باب وجوه القوافي والإنشاد) على ترك الترتُّم؛ فقال في الوجه الثالث لترك الترتُّم (99): (وأما الثالث فأنَّ يجروا القوافي مجراها لو كانت في الكلام ولم تكن قوافي شعر جعلوه كالقوافي حيث لم يترنموا وتركوا الممدَّة لعلمهم أنها في أصل البناء؛ سمعناهم يقولون لجرير:

أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَ

وللأخطل: واسأل مَمْصَقَلَةَ ..).

والبيت لم يرد بهذه الرواية في الديوان؛ بل ورد هكذا:

دَعِ الْمُعَمَّرَ لَا تَسْأَلْ مَمْصَرَعَهُ وَاسْأَلْ مَمْصَقَلَةَ الْبَكْرِيِّ مَا فَعَلَا

والقصيدة في مدح (مَمْصَقَلَةَ بن هُبَيْرَةَ الشَّيبَانِي)، وكلُّها بالإطلاق؛ فبدأيتها:

هَلْ تَعْرِفُ الْيَوْمَ مِنْ مَأْوِيَّةِ الطَّلَا تَحَمَّلَتْ إِنْسُهُ مِنْهُ وَمَا احْتَمَلَا

بِطَنْ حَيْتَفَ مِنْ أُمَّ الْوَلِيدِ، وَقَدْ تَامَتْ فُؤَادَكَ، أَوْ كَانَتْ لَهُ حَبَلَا (100)

وكذلك صدر بيت جرير الذي قبله بترك الترتُّم، وكماله في الديوان (الوافر) (101):

أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا

وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: (حيث لم يترنموا وتركوا الممدَّة لعلمهم أنها في أصل البناء؛ سمعناهم يقولون لجرير: أقلي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا..).

كما أوضحه السيرافي بقوله(102): (وأما قوله: لأن الشعر وُضِعَ للغناء والترنم؛ فهو من أصح الكلام وذلك لأن الغناء يحتاج إلى ألحان موزونة ونغم منظومة تُكْرَّرُ على مقادير من الحروف وبسبب مختلف، فلا يجوز أن يحمل ذلك إلا كلام موزون يكون قَدْرُ بعضه إلى بعض معروفاً، ولولا ذلك ما احتيج إلى المنظوم).

الخاتمة والنتائج

وبعد فقد توصلنا من خلال هذا العمل إلى بعض النتائج؛ منها:

- أن شواهد سيبويه كادت تكون أساساً للتقعيد النحوي؛ حيث كان معظم علماء اللغة من بعده يعتمدونها مستشهدين بها على الظواهر النحوية والصرفية التي يطرحونها فنجدها منشورة في كتبهم كما وثقنا كثيراً منها في هذا البحث..

- أن كثرة الاستشهاد من شعر الأخطل في كتاب سيبويه كانت - ترتيباً - بعد ثمانية شعراء؛ هم: الفرزدق 58 شاهداً، وجريز 37 شاهداً، والأعشى 35 شاهداً، والنابعة الذبياني 31 شاهداً، وذو الرمة 29 شاهداً، وامرؤ القيس 23 شاهداً، ولييد 18 شاهداً، وعمر بن أبي ربيعة 17 شاهداً، وإذا علمنا أن شواهد سيبويه الشعرية كانت موزعة على ما يقرب من ثلاثمائة شاعر؛ فإن ذلك يضع مكانة شعر الأخطل في المقدمة على مستوى التقعيد والاستنباط.

- قد نجد لأحد العلماء قولين مختلفين في مسألة واحدة؛ بل في شاهد واحد، كقولي ابن هشام في (لا تنه عن خُلُقٍ..): (الواو تصرف بها الفعل المستقبل إذا أردت بها غير معنى العطف، وتسمى واو الصرف لأنها تصرف آخر الكلام على أوله، وذلك قولك: لا تأكل السمك وتشرب اللبن. قال الشاعر: لا تنه عن خُلُقٍ..). وقال في مكان آخر: (وقوله: لا تنه عن خُلُقٍ..؛ والحق أن هذه الواو واو العطف). قد أثبت ذلك في موضعه من البحث.

- أن السيرافي في شرحه لأبيات سيبويه لا يذكر بيت الشاهد عند سيبويه فقط؛ بل قد يُضيف إليه بيتاً آخر لا علاقة له بالمسألة التي يتناولها قائلاً: قال سيبويه؛ كما في الشواهد: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر..

- هناك بعض المصطلحات لم تكن شائعة عند النحاة كثيراً كغيرها؛ مثل: مصطلح (الأخذ) الذي يعني النصب عند الفراء الذي جاء في الكلام على البيت الأول؛ قوله: (لأن الفعل قد يأخذ الدار كأخذه عبد الله). وكذلك مصطلح (الاحتزال) الذي يعني الحذف عند سيبويه في البيت الثالث؛ قوله: (فاخترل الفعل لأنه صار بدلاً من اللفظ..)، وعنده أيضاً مصطلح (مُعقلة) الذي يعني مَهْمَلَةٌ في البيت السابع.

الهوامش:

- 1 - ديوانه: 292. وفيه: (المُرْهَقَيْنِ) بدل (المُجْحَرِينَ)، وَعَجْزَه: (حِفَاطًا، لَمْ يَحِمَّ أَنْثَى حَلِيلُهَا).
 - 2 - على اعتبار أَنَّ المصدر والصفة يعملان عملَ الفعل.
 - 3 - الكتاب: 1/177.
 - 4 - معاني القرآن: 2/79 - 80.
 - 5 - أي على تأويل أَنَّ الأصل تقديم (رسله) على (وعده).
 - 6- أي: ينصب.
 - 7 - من الخمسين مجهولة القائل. يُنْظَرُ الكتاب: 1/181.
 - 8 - شرح أبيات سيبويه: 1/78، 119 ويُنْظَرُ النُّكْت في تفسير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه: 1/399.
 - 9- هذا البيت للأخطل في ديوانه: 292. وفيه (النساء) بدل (الشتاء)، لكن لم يذكره سيبويه كما قال السريافي.
 - 10 - ديوانه: 246.
 - 11- الكتاب: 1/186.
 - 12 - المقتضب: 4/145 - 146.
 - 13 - هو عمرو بن امرئ القيس الخزرجي. جمهرة أشعار العرب: 531. وفيه (وَكْف) بدل (نَطْف).
 - 14 - أمالي ابن الشجري: 3/55.
 - 15 - خزائن الأدب: 6/6.
 - 16 - ما يجوز للشاعر في الضرورة: 162، 188، 220.
 - 17 - ديوانه: 103. وفيه:
- (إلى امرئ لا تُعَدِّدِينَا نَوَافِلُهُ أَطْفَرَةَ اللَّهِ فَلَيْهِنَا لَهُ الطَّفَرُ).

18 - الكتاب: 1/316 - 317.

19 - أي: حُذِف.

20 - التُّكَّتْ في تفسير كتاب سيويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه: 1/496.

21 - سورة النساء: 4.

22 - التبيان في إعراب القرآن: 1/329.

23 - الدرُّ المصُون: 3/576.

24 - الأغاني: 8/291، وكذلك خزانة الأدب: 1/460، 3/50.

25 - خزانة الأدب: 1/460.

26 - السابق: 3/50.

27 - الكتاب: 1/412 - 417.

28 - الشَّغاف: حَبَّة القلب وسُويداؤه.

29 - المُقْتَضَب: 4/350 - 351.

30 - ديوانه: 127. وفيه: (فترَكْتَه..) بالفاء، (مُخَالَطَه..) بالنصب.

31 - الكتاب: 2/18 - 20.

32 - شرح أبيات سيويه: 1/356.

33 - أي ليس بعامل..

34 - شرح الرُّضِيِّ على الكافية: 2/305.

35 - هما يونس بن حبيب وعيسى بن عمر كما سيأتي.

36 - الكتاب: 2/21.

37 - خزانة الأدب: 5/62.

38 - لأنه ذكر بيتين لابن ميادة قبل بيت الأخطل في نفس المسألة.

39 - ديوانه: 104. وفيه البيت الثاني فقط وإنما البيت الأول سبق في الديوان ص103. كما أنّ قوله: (الخائض) جاء بالجر. والذي جاء بعده في الديوان قوله:

مُفْتَرِشٌ كَافِتْرَاشِ اللَّيْثِ كَلَّكَهْ لَوْقَعَةٍ كَائِنٍ فِيهَا لَهُ جَزْرٌ.

40 - الكتاب: 2/62.

41 - شرح أبيات سيويه: 1/327.

42 - النُّكْتِ فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ سَيُويِهٍ وَتَبْيِينِ الْخَفِيِّ مِنْ لَفْظِهِ وَشَرْحِ آيَاتِهِ وَغَرِيبِهِ: 2/70 - 186.

43 - نتائج الفكر: 186.

44 - ديوانه: 305. وفيه: (ولقد أكون..).

45 - الكتاب: 2/84 - 85.

46 - شرح أبيات سيويه: 1/355.

47 - هو هارون بن موسى الأعور القارئ النحوي، كان يهودياً فأسلم، صاحب القرآن والعريية، أول من تَتَبَّعَ بالبصرة وجوه القرآن، وضبط النحو فحفظه وحدّث. ت170هـ. إكمال تهذيب الكمال: 12/115، بُغْيَةُ الوُعَاة: 2/321.

48 - ونص سيويه: (حدّثنا هارون أنّ ناساً - وهم الكوفيون - يقرؤونها..) كما سيأتي في الموضوع الثاني، ولم يذكر أنها قراءة هارون.

49 - معاني القرآن وإعرابه: 3/339.

50 - مُشْكِلُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ: 2/458.

51 - البحر المحيط: 6/196 - 383.

52 - شرح المُفَصَّلِ لابن يعيش: 2/382 - 383.

53 - الكتاب: 2/399.

54 - الكوفيون هم: عاصم وحمزة والكسائي من السبعة. والنصب عن طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهراء

أستاذ الفراء. الكشف: 4/43، البحر المحيط: 6/196.

55 - شرح كتاب سيويه: 710.

56 - الإنصاف في مسائل الخلاف: 2/710. مسألة: 102.

57 - ديوانه: 143.

58 - شرح أبيات سيويه: 1/355 - 356.

59 - الكتاب: 2/233 - 242.

60 - شرح كتاب سيويه: 233, 242.

61 - سَبَق.

62 - الكتاب: 2/234.

63 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 3/297 - 298.

64 - النُّكْت في تفسير كتاب سيويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه: 2/178.

65 - المصدر السابق: 2/180. ولم أجد هذا القول في كتب أبي العباس المبرد ولا أبي العباس ثعلب التي وقعت بين يدي. ولعله في كتاب لم نصل إليه.

66 - ديوانه: 305. وفيه: (ولقد أكون..).

67 - يُنظَر في ذلك: الأغاني: 12/188، شرح أبيات الجُمَل للبطلوسي: 187 - 188، خزنة الأدب: 8/565 - 569.

68 - الكتاب: 3/41 - 42.

69 - معاني القرآن: 1/33 - 34.

70 - الجُمَل في النحو: 187.

71 - يعني المضارع.

72 - شرح كتاب سيويه: 892 - 893.

73 - شرح جُمَل الرِّجَاجي: 270.

75 - لم أجده في ديوان الأخطل. كما قال البغدادي: (والبيت قد نسبه إلى الأخطل، وراجعتُ ديوانه مرارًا فلم أظفرُ به فيه). خزانة الأدب: 9/89.

76 - الكتاب: 3/91 وما بعدها.

77 - شرح كتاب سيبويه: 134، 139.

78 - شرح كتاب سيبويه: 3/302.

79 - ديوانه: 108. وفيه: (حَرَّيْهِمْ.. يَعْمُرُونَهُمَا) بالغائب.

80 - الكتاب: 3/98 - 99.

81 - شرح كتاب سيبويه: 1041.

82 - شرح أبيات سيبويه: 2/96.

83 - لم أجده في ديوان الأخطل.

84 - الكتاب: 3/174.

85 - ديوانه: 362. وفيه الصدر: (فوالله ما أذري، وإني لحاسبٌ).

86 - المُقْتَضَب: 3/294.

87 - التعليقة: 2/281 - 282.

88 - ديوانه: 294. وفيه: (تَمْنَعُ سَدُوسٌ دِرْهَمِيهَا..). بدل: (تَبْخَلُ..)، بصرف (سدوس) على معنى الحي كما سيأتي.

89 - الكتاب: 3/247 - 248.

90 - الكتاب: 3/249.

91 - شرح أبيات سيبويه: 2/214.

92 - معاني القرآن: 3/14.

93 - ديوانه: 143.

94 - الكتاب: 4/50- 51.

95 - لسان العرب: (س و ر). 3/2147.

96 - المقتضب: 1/102- 103.

97 - أمالي ابن الشجري: 1/322.

98 - ديوانه: 266.

99 - الكتاب: 4/208.

100 - الديوان: 261. ماوية: اسم امرأة، تحمّلت: رحلت، إنسه: سكّانه، خيّف: اسم وادٍ، تامت فؤادك: أسرت عقلك.

101 - ديوان جرير: 813.

102 - شرح كتاب سيبويه: 5/78.

فهرس أبيات الأخطل

الصفحة	بحرُه	البيت
9	البسيط	والجَسَدُ
5	الطويل	بُهْرٌ
4	البسيط	الظَّفَرُ
7	البسيط	المَطَرُ
13	البسيط	البَقَرُ
12	البسيط	مُقَدَارِ
15	البسيط	الصَّارِي
5	المُتَقَارِبُ	الْجَمَلُ
16	البسيط	ما فَعَلُ
3	الكامل	الأغْلَالَا
13	البسيط	خَيَالَا
14	الوافر	قَبُولُ
2	الطويل	حَلِيلُهَا
7	الكامل	مَحْرُومٌ
11	الكامل	عَظِيمٌ

قائمة المصادر

1. - الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني. تحقيق: سمير جابر. دار الفكر. بيروت. الطبعة الثانية.
2. - الإغفال. لأبي علي الفارسي. (ه377). تح: د. عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم. المجمع الثقافي. أبوظبي. الإمارات العربية المتحدة.
3. - إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال. علاء الدين بن مُغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري الحنفي. (ه762). تح: عادل بن محمد، أسامة بن إبراهيم. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. ط1. 1422/ه2001م.
4. - أمالي ابن الشجري. هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسن العلووي. (ه542). تح: د. محمود محمد الطناحي مكتبة الخانجي. القاهرة. ط1. 1413/ه1992م.
5. - الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. لأبي البركات عبد الرحمن الأنباري (ه755). تح: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة التجارية الكبرى. مصر. ط4. 1380/ه1961م.
6. - البحر المحيط. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ه745). تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1413/ه1993م.
7. - بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. للحافظ جلال الدين السيوطي (911هـ). تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1384/ه1964م.
8. - التبيان في إعراب القرآن. أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِي. (ت 616هـ). تح: علي محمد البجاوي. دار الشام للتراث. بيروت - لبنان.
9. - التعليقة. لأبي علي الفارسي. (ه377). تح: د. عوض بن حمد القوزي. مطبعة الأمانة. القاهرة. ط1. 1412/ه1992م.
10. - الجُمَل في النحو. لأبي القاسم الزّجَاجِي (ه340). تح: د. علي توفيق الحمّد. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط1. 1404/ه1984م.
11. - جُمهرة أشعار العرب. لأبي زيد محمد بن أبي الخطّاب القُرَشِي. تح: علي محمد البجاوي. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
12. - خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي (ه1093). تح: محمد عبد السلام

هارون. مكتبة الخانجي. ط4. 1418هـ/1997م.

13. - الدُر المَصُون في علوم الكتاب المكنون. أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبّي. (756هـ) تح: د. أحمد محمد الخراط. دار القلم. دمشق.
14. - ديوان الأخطل. شرح وتصنيف: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط2. 1994/هـ1414م.
15. - ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب. تح: د. نعمان محمد أمين طه. دار المعارف. القاهرة. ط3.
16. - ديوان عمر بن أبي ربيعة. تقديم وهوامش وفهارس د. فايز محمد. دار الكتاب العربي. ط2. 1416هـ/1996م.
17. - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (769هـ). تح: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار التراث. القاهرة. ط20. 1400هـ/1980م.
18. - شرح أبيات الجُمَل لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السُّيد البَطْلَيْوسي. (521هـ). تح: عبد الله الناصير. دار علماء الدين للنشر والتوزيع والترجمة. دمشق. ط1. 2000م.
19. - شرح أبيات سيبويه. أبو محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي. (385هـ). تح: د. محمد علي الرِّيح هاشم. مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر. القاهرة. 1394هـ/1974م.
20. - شرح جُمَل الرِّجَاجي. لابن هشام الأنصاري المصري. (761هـ). تح: د. علي محسن عيسى مال الله. عام الكتب. ط1. 1405هـ/1985م.
21. - شرح الرضي على الكافية. رضي الدين الأستراباذي. تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر. جامعة قاريونس. 1398هـ/1978م.
22. - شرح كتاب سيبويه. لأبي الحسن علي بن عيسى الرُّمَاني (384هـ). تح: سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض. 1418هـ/1998م.
23. - شرح كتاب سيبويه. أبو محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي. (385هـ). تح: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1429هـ/2008م.
24. - شرح المفصّل للمخشري (538هـ) لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش (643هـ). تقديم د. إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1422هـ/2001م.
25. - الكتاب. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. (180هـ). تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة

الجانجي. القاهرة. ط3. 1408/هـ1988م.

26. - كتاب السبعة في القراءات. لابن مُجاهِد. (ه245). تح: جمال الدين محمد شرف. دار الصحابة للتراث. طُنطا. ط1. 1428/هـ2007م.
27. - لسان العرب. لابن منظور (ه711). تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي. دار المعارف. القاهرة.
28. - ما يجوز للشاعر في الضرورة. للقرّاز القيرواني. (ه412). تح: د. رمضان عبد التواب ود. صلاح الدين الهادي. دار العروبة. الكويت. 1401/هـ1981م.
29. - مُشكِل إعراب القرآن. لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ه437). تح: الدكتور حاتم صالح الضامن. مؤسّسة الرسالة. بيروت. ط2. 1405/هـ1983م.
30. - معاني القرآن وإعرابه. لأبي إسحق إبراهيم بن السريّ (ه311). تح: د. عبد الجليل عبده شَلبي. عالم الكتب. ط1. 1408/هـ1988م.
31. - معاني القرآن. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء. (ه207). تح: محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي. عالم الكتب. بيروت. ط3. 1403/هـ1983م.
32. - مُعني اللبيب عن كُتب الأعراب. لابن هشام الأنصاري المصري. (ه761). تح: د. عبد اللطيف محمد الخطيب. التراث العربي الكويت. ط1. 1421/هـ2000م.
33. - المقتضب. لأبي العباس محمد بن يزيد المُبرّد. (ه285). تح: محمد عبد الخالق عزيمة. عالم الكتب. بيروت.
34. - نتائج الفكر في النحو. لأبي القاسم السُّهيلي. (ه581). تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1412/هـ1992م.
35. - النُكت في تفسير كتاب سيويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه. أبو الحجّاج يوسف بن سليمان. (ه476). تح: أ. رشيد بلحبيب. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المملكة المغربية. 1420/هـ1999م.

بحث في شعر فاطمة الرقعي

شاعرة من ليبيا تحاكي رونق وديباجة الشعر العربي القديم.

أ.عبد الباسط صالح يونس مصطفى

جامعة عمر المختار

ملخص البحث

هذا البحث يدرس أدب شاعرة ليبية المولدة والنشأة، والتعريف بشعرها غير المدون في ديوان، دراسة استكشافية لبيان جودة شعرها من الناحية الفنية في الفترة من 2008 إلى 2017 م.

ويهتم هذه البحث بجانب الشعر النسوي الذي تقدمه الشاعرة، شعر يكاد يندر إيجاد مثيل له بالجودة المأمولة، مع احتفاظه بالقيمة الجمالية للنص، وإبراز سمات الشعر الليبي وقدرته على وضع العبارات المحدثثة في أدب عربي مليء بالأوصاف وحافل بالشعراء.

خلصت الدراسة إلى أن شعر فاطمة الرقعي جدير بالدراسة والنشر، ويضاهي في جماله كثيرا من الشعر المدون إن لم يفقه جمالا وإشراقا.

Summary

The research aims to study a Libyan poet literature; her birth and maturation, and to define her poetry which is excluded in Diwan (Diwan) It is an exploratory study to identify the quality of her poetry in the period of 2008 to 2017

.This research interests in the feminist poetry which is presented by the poet

Apoetry is almost rare and difficult to find such the desired quality while retaining the aesthetic value of the text and accentuating the aspects of the Libyan poetry and its ability to put the updated phrases in an Arabian literature full of descriptions and full of poets

The study concluded that Fatma Al Raqa'y's poetry is worthy of studying and publishing. Its beauty is matchless the written one, unless it exceeds it splendidly and bonnily

المقدمة

نبذه عن موضوع البحث:

هو دعوة للنظر في الشعر النسوي⁽¹⁾ في ليبيا من خلال شاعرة ليبية، والتعويل عليه في وضع الخارطة الفنية الليبية؛ ليأتي بالقيمة الفنية وتقبله الذائقة، والتعامل مع شاعرة يبدو الوسيلة الأجدى لإضاءة الطريق أمام أخريات ونشر إبداعهن في المحافل الأدبية.

هدف البحث وأهميته:

يهدف البحث إلى خلق الاهتمام بشعر المرأة، ومنحه القيمة التي يستحقها والدعوة إلى دراسته على نطاق فني وتحليل ألفاظه وشرح غاياته، وهذه الدراسة تحمل الأهمية اللازمة لكل دارس وتنوع من مدركات الطلاب والمعلمين لدراسة الشعر على نطاق تطبيقي بدلا من القواعد النظرية المبهمة.

المنهج المتبع:

اتبع البحث منهجا تحليليا وصفيا، يحاول منح الشعر النسوي كما أكبر من الاهتمام ويوثق محاولاته، ويبين قدرته على تقديم الإضافة إن توفرت الظروف الملائمة لنموه.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في دراسة شعر لامرأة ليبية يقل الالتفات إليه، مع قلة الشعر عامة، وندرة المتحدثين فيه، فضلا عن كونه شعرا غير مدون في ديوان، واقتصار شواهد على المنشورات المبعثرة في مخطوطات، ومتفرق في المواقع الأدبية الإلكترونية ويضع البحث فرضية عدم الاهتمام بهذا النوع الفريد، وينبه إلى الاهتمام بجزء مهم من الفن الجيد، لذلك تبدو المصادر قليلة لأن البحث يتعامل مع حالة جديدة وفي طور الاكتشاف.

الدراسات السابقة:

لم تحظ الشاعرة بأية دراسة؛ لحدائثها بالشعر، والبيانات الواردة في البحث كانت من خلال لقاء صحفي معها، والتعليقات على ما تنشره كانت دالة ومشجعة وإن بدت سريعة التأليف، وعلى الذوق والفطرة، ويشملها التعميم الشديد؛ لذا تقل المراجع وتكاد تندر لحدائث الشعر من ناحية، ولعدم وجود ديوان مطبوع يمكن الرجوع إليه، كما استعان البحث بالمراجع النقدية القديمة والحديثة التي تصف الشعر وتبين مسالكه؛

لدراسة مدى التزام الشاعرة بعمود الشعر العربي، واتساق شعرها مع الشكل الحديث للقصيدة المعاصرة، ولعل هذا البحث هو أول من حاول توثيق هذا الكم من شعرها وعلق عليه وسلك طريقا علميا لتحليله.

المناقشة

من هي فاطمة الرّقيعي ؟ (2)

هي فاطمة جبريل محمد عمران من مواليد مدينة إجدابيا الليبية عام 1980م، حاصلة على دبلوم متوسط علوم أساسية شعبة الرياضيات في عام 2000م، وعملت معلمة لدى وزارة التعليم.

تحصلت على درجة الليسانس في الدراسات الإسلامية 2012م من جامعة بنغازي فرع إجدابيا، وتم ترشيحها للإيفاد الخاص بالطلبة الأوائل من الجامعة وصدر القرار سنة 2014م لاستكمال الدراسة العليا؛ ولكن الإجراء توقف بسبب الأزمة السياسية التي تمر بها البلاد الليبية.

فاطمة أمٌ لأربعة أولاد (ابنان وابتنان) أكبرهم يعاني من طيف توحد، نشأت في كنف أسرة متواضعة لوالده ووالدة أمينين، أغدقا عليها من التشجيع والاهتمام ما يعجز عنه كثير من المتعلمين في وقتنا هذا، وكان والدها الراحل شيخا لقبيلة من قبائل المغاربة ” قبيلة الرقيعي ” يمتاز بالحكمة وبعد النظر، وكان يقول الشعر الشعبي؛ لكن من غير أن يدونه، وكانت له رؤية وذائقة نقدية عالية لما يجب أن يكون شعرا في نظره، وكان شديد الاعتزاز بذكاء فاطمة وفصاحة لسانها منذ كانت طفلة، ولطالما قدمها إلى أصدقائه لتتلو عليهم مما تحفظ من القرآن.

كان بيتها بين منارتين تشعان طموحا وأملا، بين مدرسة الهدى الابتدائية، ومسجد باب الريان الذي ظل تأثير ما تلقته فيه من تجويد وحفظ يُحفرُ في وجدانها، ولتذكره لاحقا في قصيدة من بداياتها الشعرية.

حفظت فاطمة كثيرا من القرآن - من دون قصد الحفظ- منذ التاسعة من عمرها، كسورة (مريم) وطه والشعراء ويوسف) حيث كانت تهيم بالجرس الموسيقي في ألفاظ الكتاب المجيد وقصصه الجميلة، وظلت تلك المواقف عالقة بذاكرتها حين كانت تقص هذه القصص على والدها فيصغي إليها بكل اهتمام وفرح، وكان يُسندُ إليها بعض نشاط الإذاعة بالمدرسة، وكانت على تفوقها الدراسي تستهويها القراءة الحرة، وإن كانت البيئة الدينية في ذلك الوقت قد حددت نوع الكتب التي كانت تقرأها، فلم تجد أمامها إلا (قصص الأنبياء وسيرة ابن هشام ورجال حول الرسول) وغيرها من الكتب الدينية التي كانت تستعيرها من مسجد الريان القريب من سكنها.

بدايات شعرها:

كانت ملكة التعبير عند فاطمة قوية جدا؛ لكنها لم تنظم شعرا ولو لمجرد المحاولة، بل كانت تعتقد أنه

لا يوجد مكان للشعراء المعاصرين وأن زمن الشعر قد انتهى، وتحدد بمن كانت تعرفهم ضمن المقرر في سنوات الدراسة، وظلت معلوماتها الشعرية لا تبرح النصوص المنهجية، وكانت تسعد بحصة اللغة العربية، وكثيرا ما كانت تقرأ كتاب النصوص الأدبية فور استلامها للمنهج، حتى لو كان في حصة أخرى غيرها.

أكملت فاطمة مرحلة الدراسة الإعدادية بتفوق، تزوجت بسن الثامنة عشرة، ودرست العلوم الأساسية شعبة الرياضيات وتعينت بموجهة معلمة، وتوقفت مسيرتها في البداية عند هذا الحد.

بداية الشعر الحقيقية كانت في عام 2008م، بعد توالي فترات الحزن التي فقدت فيها والدها، إضافة إلى مرض ابنها البكر؛ فبدأت كتاباتها تظهر معبرة عما يجيش بصدرها من ألم سكبته موزونا ونظما مباشرا، من دون أن يكون لها علم ببحور الشعر ومسمياتها، بل كانت كتابة لغرض التنفيس والتعبير والإبلاغ.

ولما عرضت كتاباتها في برنامج عبر الهاتف على أثر إذاعة إجابيا المحلية - وكان بليخ الأثر في تنمية هذه المهوبة- بعد إقرارهم بأنها ولدت في الشعر كبيرة، وكانت حلقاته تزيد من حماسها، وبدت القصائد كأنها انعكاس وجداني لما عانته من فراق موجه لوالديها ومرض ابنها البكر.

ومن أوائل ما كتبت فاطمة كان قصيدة (من الكامل) عن الريان (مسجد طفولتها) فقالت:

لله درُّك مسجدَ الريانِ ... فلقد أثرتَ بخاطري أشجاني

لمَّا مررتُ بجنبِ خلوتك التي ... نفضتُ همومًا غيّرتَ وجداني

عشتُ الطفولةَ في صفاءٍ شريطها ... يمضي سريعًا برههً وتواني

وتنقلتُ ذكري الحنينِ إلى الأسي ... لتنبؤحَ عمًا كانَ في الكتّمانِ

فلقدَ ذكرتُ أحبَّهً قدَ فارقوا ... حُلُوَ الحياةِ وقسوةَ الأزمانِ

وكذا ذكرتُ حنانَ أجمَلِ والدٍ ... لمَ يستطعَ إيفاءهُ عرفاني

أمي الحبيبةُ لمَ تعبَ عنَ خاطري ... هيَ جوهرِي المفقودُ في الكُتبانِ

هذه البداية تظهر شكل القصيدة البكر حين تستحضر المعاني الكبيرة، ومحاولة نظمها في شكل القصيدة الرصين، وعلى ما في النص من تردد في بعض مفرداته، ودخوله في فخ صراع القافية، واستسهال اختيار الألفاظ المطروقة، إلا أنها تنبئ عن عقل شاعرة، واستعداد حقيقي لقول الكثير؛ فجاء محور قصائدها اللاحقة حول الذكريات، وما تلقي بظلالها على قلبها ومخيلتها، وكثيرا ما كانت تنشد القصائد للأمل وللتحدي، كقولها

(من الكامل) وبتسكين القافية:

وَدَعِ الشَّائِمْ وَالْمَخَاوِفَ وَالْقَلْقَى ... وَأَنْظُرْ بَعَيْنٍ كُلَّهَا أَمَلٌ يَدْرُقُ

وافتح له بابًا ووَدِّعْ مَاضِيًا ... لا تَسْتَكِنِ, إِدْفَعِ سُهَادَكَ وَالْأَرْقَى

ولم تكن البداية محتشمة أو خائفة دائماً، بل شابهها الكثير من أنفة الشعراء الذين يرون أن شعرهم أهل للمواجهة، وقادر على التفوق، ولا ينقصه شيء ليصبح رائداً، كقولها في مسألة احتكار الرجال للشعر، وادعائهم ملكيته فأشدت (من المتقارب):

سَأَخْلُعُ لَيْلًا بِهِ الْحُزْنُ طَالَ ... لِيَأْتِي فَجْرٌ يُرِينِي الْجَمَالَ

فَإِنْ تَكُ مَنِّي الْقَوَائِي عِجَافًا ... سَتَقْوَى لِتَنْسِفَ شِعْرَ الرَّجَالِ

فَقَدْ عِشْتُ عُمْرًا بِحُبِّ عَمِيقٍ ... وَأَنْدُبُ دَهْرًا بِهِ الْحَطُّ مَالٌ

وَهُمَا كَبِيرًا أَمَدٌ جُدُورًا ... وَأَفْرَعُ حُزْنًا بِدَرْبِ الْمُحَالِ

طُمُوجِي يَقِينُ يَشْقَى الصَّحَارِي ... يَحْطُ بِدَرْبِ الْأَمَانِ الرَّحَالَ

كذلك كان لدراساتها الجامعية في تخصص الدراسات الإسلامية أثر في تطور المستوى فقد عرفها على أساتذة كبار أشادوا بكتاباتها وأسودوا النصح، من أمثال: الدكتور محمد بهلول، والدكتور محمد سعد، والدكتور أحمد عوين، تلك المساندة خلقت أملاً جديداً للشاعرة، وغازلت أحلامها فقالت معبرة عن شعرها الذي رآته ابنا مساندا في المحنة , وأنشأت تقول (من الكامل):

يَا فَلَذَّةَ الْكَيْدِ الَّتِي حَبَّأْتُهَا ... بَيْنَ الضُّلُوعِ وَمُؤْنَسًا عِنْدَ السَّحْرِ

أَهْوَاكَ تَرْتُو وَاجِمًا فِي رَوْعَةٍ ... مَتَمَّرَسًا رُغَمَ الْحَدَاثَةِ فِي الْعُمُرِ

فَتُعَازِقُ الرُّوحَ السَّكِينَةَ إِذْ عَلَى ... وَجَنَاتِ طِفْلِي ذَلِكَ الْوَرْدُ انْتَشَرَ

وَجَعَلْتَنِي أَهْوَى الْحَيَاةِ بِخُلُوهَا ... وَهَمْرُهَا إِنْ مَالَ حَظِّي أَوْ عَثَرَ

أَهْوَاكَ يَا عِشْقًا مَمْلَكٌ خَافِقِي ... فَسَرَى بِأُورْدَتِي وَأَلْهَمَنِي الدُّرُرُ

زفرائك الحري يتور لهيها ... إن جاءت الذكرى وأحدتت الشرر

يا كل من أحببت في هذي الدنا ... من منصفي إن غاب طيفك أو غدر

وكتبت لتخاطب هذا الوليد الذي صار هو الأمل، وبرز ذلك جليا في بداياتها لتبدو مشحونة بالعاطفة والشجون، وخاطبت فيها حبيبا غائبا هو ذاته الشعر الذي ربط على قلبها في أحلك الأوقات وأصعبها، وقد تجلى هذا المعنى في هذه الأبيات (من الوافر):

ومالي غير شعري أشتكيه ... يزوم الوصل إن عز اللقاء
تناديك العيون وأنت فيها ... فمهجة قلبي الباكي البقاء
وترقبك الأماني في علاها ... ويقفو ركبتك الساري الهباء

وكما كتبت فاطمة لنفسها، فقد كتبت لغيرها من النساء ممن كن يطلبن محاكاة صادقة لأحاسيسهن، ففي قصيدة (من الكامل) عنونها بهدهد الكلمات تقول:

شوق يحاول جهده أضناني ... أعيأ فؤاد الظامئ الولهان
ووراء قضبان الضلوع مداريا ... كم ذا يكابد لوعة ويعاني
أغلقت أبواب الوصال ولم تسل ... وكرامتي كالحارس اليقظان
فتعشني سحب الحنين بأدمع ... تحيي سطورا ما لهن معاني
وطعت بسيل الحزن حتى أقحلت ... جنات قلبي، إذ عتا جرمان
لما انثنت روجي تمزق وهمها ... عزت عليها برده الإحسان
هل أسأل الساعات إذ يسري بها ... قلبي، ودس النبض بالخدلان
أم أسأل الشعز الحزين لعله ... يجتر من ناب الزمان أماني
قد حار عقلي أن يتكر فيهما ... عرش الوفاء وحلة العرفان
يا هدهد الكلمات لا تسمع لها ... إن أترت نفسي بها عصياني

وكتبت فاطمة للثورة الجديدة في سنة 2011 م، وعانت كالأخرين لحظات من الشدة والفرع والنزوح، إلا أن الأمل ظل يحدوها في مستقبل كريم تنعم به ليبيا ويخفف من معاناتها، فكتبت قصيدة (خلعناك ليلا) التي غناها أحد المنشدین بمدینتها، وقصائد أخرى تغنت بالثورة والوطن.

وكما أن للشعر إقبالا، فله كذلك إدبار وفتور وهجر، تفرضه المسؤوليات والمشاغل، أو بلا سبب واضح، وقد كان هذا شأنها معه فلم تكن ملزمة به أو ممتنه له، ولا ترى في الشعر إلا تعبيرا ذاتيا يعكس وجدانها؛ لذلك لا

تتعمده وهي ترى أن شعرها ليس إلا: ” بعض أوجاع تشق عن الذات الشاعرة وتؤكد لها، وموسيقى تعزف على أضلاع القلب“ فتقول (من الكامل):

تَجْتَاحِنِي حِمَمَ الشُّكُوكِ فَأَنْحِنِي ... مُدَّ صَارَ جَلْدُ الرُّوحِ مِنْ عَادَاتِي
لا بَوْحَ يَرْتَشِفُ الصَّبَاحَ فَتَرْتَوِي ... مِنْ لَثَمِ أَنْفَاسِ النَّدى زَفَرَاتِي
لا عَرَوَ أَنْ أُبَدِي نَسِيسَ تَوَجُّعِي ... فَلَرَبِّهَا سَقَى النَّوَى عَنْ ذَاتِي

ولأنه - والكلام للشاعرة - بوح ذاتي؛ فهو يخرج منفعلًا بموقف ما، من دون أن تكون له بؤصلة ترشده، فتشبهه بالقميد الذي يضيء لها عتمة المعنى، ويفسر ما يملئ الوجدان، فقالت (من الكامل):

يَنْسِلُ مِنْ عُمُقِ الجَوَى قِنْدِيلُ ... وَيُضِيءُ مَعْنَى مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
فَأَصْرَفُهُ أُنَى شَتَّتَ وَاحْتَسَبِ الهَوَى ... مِنْ طَرَفِهِ يَحْلُو لَكَ التَّأْوِيلُ

وهو في الوقت ذاته موسيقى تسكن الروح وتقود الإحساس، وقد عبرت عن ذلك فيما نشرته بموقع (مجلة ألوان الالكترونية بالأردن) (3) بقصيدة منطلق الطير(من الوافر):

عُصْفُورَةُ الشَّعْرِ جُودِي بِالتَّبَارِيحِ ... وَهَلْ إِلَيْهِ لَبْتُ الشُّوقِ مِنْ رِيحِ
لَا زَالَ وَرَدًا وَأَنْسَامًا مُعَلَّلَةً ... تُعَطَّرُ العُمَرَ بِالْمَأْوَرِدِ وَالشَّيْحِ
لَا زَالَ رَوْضًا وَسَاحَاتٍ أَنْوَقُ لَهَا ... وَقَلْتُ لِلرُّوحِ فِيهَا: اسرحي سِجِي
مَا عَدْتُ أَقْدَرُ كُنَمَ الحُزْنِ فِي صَدْرِي ... فَهَلْ سَبِيلُ لِبَعْضِ الشَّجْوِ وَالبُوحِ
حَتَّى القَوَافِي قَدْ سَالَتْ مَدَامِعُهَا ... لَمَّا كَتَبْتُ بِجِبْرِ الوَجْدِ تَصْرِيحِي
نَهَجَ أَرَاهُ بِدَرَاتِ الحَيَاةِ وَفِي ... دَرَاتِ مَائِي وَأَنْفَاسِي وَتَرْوِيحِي

الصور والأغراض الشعرية:

الصورة عند العرب تتجلى في شعرهم وفي دواوينهم تخبر عن شغف الشاعر للصورة منذ العهد القديم، ويبرزه النقاد كإشارات واضحة عن ضرورة خلق الصورة بشكلها البارز، وثمة الكثير من هذه الإشارات نقلتها كتب الأدب،

ويمكن القول إن الجاحظ (ت 255هـ) كان من أوائل من لاحظ قيمة الصورة في النص حين رأى في (الحيوان) إن
” الشعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير ” (4)

وأورد ابن رشيقي (ت 456هـ) الصورة في باب اللفظ والمعنى، فجعل مهارة الشاعر وإبداعه يظهران في إبرازها
الصور في قالب لفظي يوافقهما، مع اتساق زمن القول وأدوات الصورة من تشبيه واستعارة ”فالبليغ هو الذي
يحوك الكلام على حسب الأماني ويخيط الألفاظ على قدود المعاني؛ فهي في الأسماع كالصور في الإبصار“ (5) وهذا
قريب مما تنتجه الشاعرة وما تعبر من خلاله.

ويشبهه الجرجاني (ت 471هـ) الصور بالتمثيل، فيرى أن لها بالغ الأثر في نفس المتلقي لأنها كما قال في (أسرار
البلاغة) تخرجه من خفي إلى جلي، فالكلام يطيب للسامع بما فيه من تمثيل وتصوير (6)

لم تعتمد فاطمة تشكيل أغراضها أو صبغها بلون واحد، وكان شعرها - كما قالت - وليد ما يجول بخاطرها أو
ما تمليه الحالة، وتحركه النفس.

فهي - باعتبارها متذوقة - ترى القوائد سليمة الوزن واللغة، وغزيرة في أبياتها، وبها تمكن وأصالة، لكن لا
تجد فيها ذلك الإحساس المرهف، أو ذلك الخيط الرهيف الذي تتلمسه من صدر البيت حتى يسلمك للقافية
بمنتهى الجمال والدهشة.

ولأن الشعر لا يطلب الإذن، ويأتي على ما يوافق روحها الشاعرة وتجد البحور لاحقة لما تقول، ومعبرة عنه،
وقد تجد في شعرها أيضا الحديث الشائق اللطيف مع النبوة الغاضبة المتمردة، بالإضافة إلى الحس المنطقي والصيغ
الفلسفية فتقول (من المديد):

جَوْهَرُ الشَّعْرِ لَيْسَ إِلَّا احْتِضَارٌ .. يَطْرُقُ القَلْبَ إِنْ سَبَّاهُ الغَرَامُ

حَدَّثُونِي بِنَزْعِ كُلِّ حِصَاةٍ .. حِينَ تَرْمِي وَقَدْ جَفَّاهَا الكَلَامُ

رُبُّ صَبٍّ تَفَرَّ مِنْهُ الأَمَانِي .. تَاهَ عَمْرًا وَيَقْتَفِيهِ المَلَامُ

نَاحَ سِرًّا وَلَوْ تَلَقَّاهُ طَيْرٌ .. رَدَدَ الشَّجْوَةَ فَاسْتَفَاصَ العَمَامُ

ومضي بهذا النسق في خلق الصورة، فتقول ما يجول في خاطر، وعلى بحرته الذي تمليه الذائقة، فجاء هذه
المرة (من الكامل) وهو بحرٌ يكثر استخدامه في شعرها:

يَا مَنْ يُسَعِّرُ للْحَيْنِ فَتِيلاً ... أَرْفُقِي بِرُوحِ تَرْتِصِيكَ عَدِيلاً

صَارَتْ قَفَارًا شَفَّهَا حُرُّ النَّوَى ... مَا ضَرَّ غَيْثِكَ أَنْ يَكُونَ عَجُولًا

قلبي كبيتٍ صارَ بَعْدَكَ خَالِيَا ... أَشْعَلُ بِنُورِ وَصَالِكَ الْقِنْدِيلَا
 خَاوٍ عَلَى عَرْشِ الْمُنَى مَا أَشْمَلْتُ ... فِيهِ الرِّيحُ بَوَاكِرًا وَأَصِيلَا
 كَمْ خَانِي دَمْعِي وَبَضِي وَبِلَهُمْ ... لَمَّا أَدَاعُوا مَا كَنَّمْتُ طَوِيلَا
 وَاحْتَرْتُ فِي أَمْرِي وَصَاقَتْ حِيلَتِي ... وَاحْتَجَّ صَبْرِي أَنْ يَكُونَ خَلِيلَا

أو حين تقول (من الوافر):

يُعَلِّهَا الْمُنَى رُغَمَ الْجُمُوحِ ... مَدَى الْأَيَّامِ لَا يَشْفِي جُرُوحِي
 وَيَسْتَذِكِي مَجَامِرَهَا حَيْنَنَا ... يُقَلِّبُ كُلَّ شَارِدَةٍ بِرِيحِي
 يُقَلِّبُ كُلَّ أُحْيِيَّةٍ تَنَامَتْ ... بِعَصَاتِ الْمَعَايِي فِي شُرُوحِي
 وَيَسْتَسْقِي سَحَابِهَا سَلَامًا ... فَأَعْرَفُ فَوْقَ (نوتته) وَضُوحِي
 يُرْتَلِّهَا عَلَى مَضِضٍ فَتَسَلَى ... أَمَانِي الشُّعْرَ مِنْ تَلْقَاءِ رُوحِي
 وَيُطْلِقُهَا الْجَوَى فِي كُلِّ وَادٍ ... وَلَا رَجْعٌ لِأَصْدَاءِ الدَّبِيحِ
 فَتَنْقَرُ ظِلَّنَا الْأَخْلَامَ لَكِنْ ... كَمَا دَمَعٌ عَلَى طَلَلِ الصُّرِيحِ

وفي قصيدة (من الكامل) أسمتها: هذيان ثكلى (7) تقول:

مَدَّ الْأَسَى جِسْرًا إِلَى أَعْمَاقِي ... وَتَفَرَّحْتُ مِنْ دَمْعِهَا أَحْدَاقِي
 جُزْءٌ مِنَ الرُّوحِ الْكَسِيحَةِ قَدْ سَرَى ... لِلغَيْبِ قُلُّ لِي كَيْفَ يَحْيَا الْبَاقِي
 فَضَّلُ مِنَ الْعُمْرِ انْطَوَى فِي لَحْظَةٍ ... فَعَدَا كِتَابِي مُبِهِمَ الْأُورَاقِ
 حَمَلْتِكَ أَحْسَائِي وَصَمَّكَ لَهْفَةً ... حُضْنِي فَصَبْرِي الْيَوْمَ غَيْرَ مُطَاقِ
 وَمَضَيْتُ وَالْأَيَّامَ أَرَعَى نَبْتَهُ ... لَمْ تَكْتَمِلْ فَاسَاقَطْتُ أَوْرَاقِي
 كَمْ دَعْوَةٌ فِي الْغَيْبِ قَدْ أَرْسَلْتُهَا ... وَتَضَرَّعًا يَا نَيْكَ بِالْأَرْزَاقِ

مَا بَالَ صَوْتِكَ يَسْتَحْتُّ مَوَاجِعِي ... يَكْسُو عُيُونِي لَمَحَةَ الْإِطْرَاقِ
 فِي سُمْرَةِ الْأَحْبَابِ يَلْفَحُنِي الْأَسَى ... هُوَ وَالْأَذْيَنُ وَنَظْرَةُ الْإِشْفَاقِ
 فِي جَلْسَةِ الْأَصْحَابِ أَرْقُبُ ضِحْكَةً ... كَانَتْ لِأَلَامِ الْجَوَى تِرْيَاقِي
 فِي كُلِّ مَوْلُودٍ أَقْصَكَ لَوْعَةً ... طَيِّفًا يُخْطِرُ لِلْحَنِينِ عِنَاقِي
 فِي رَحْمَةِ الْأَحْزَانِ غَابَتْ مُهْجَتِي ... فَاصَتْ دُمُوعُ الْوَجْدِ بِالرَّقْرَاقِ
 أَلْعَيْشُ دُنْيَا لَسْتُ فِيهَا، كَيْفَ لِي؟ ... مَنْ ذَا يَدْتُرُّ رَجْفَةَ الْأَشْوَاقِ

وفي سن السادسة عشرة عاشت فاطمة -كما قالت - أجمل ما مضى من العمر قضيتها في كنف والدي ودفننه،
 وحين توفي عبرت بلغة الفاقد أبياتا باللهجة الليبية وباللغة الفصيحة تعبيرا عن صدمة لا تعرف إن كانت ستُفِيَق
 منها أم لا، فقالت ترثي والدها(من الكامل):

يَسْتَوْحِشُ الدُّنْيَا وَيُنْكِرُهُ التَّرَى ... وَيَعُودُ مِثْلَ النَّايِ حُزْنَا أَصْفَرَا
 شَدَّ الْوِتَاقِي وَلَا وَتَاقِي وَإِمَامَا ... قَشَّ تَرَاعَى لِلْعَرِيقِ وَأَدْبَرَا
 مَرَّتْ بِجَانِبِهِ الْحُطُوطُ كَأَنَّهَا بَرَقِي، وَخَلْبُهُ لِعَيْبِي أَنْبَرِي

وقولها (من الطويل):

وَهَلْ تُمْ إِلَّا الشُّعْرُ يُسَعْفُ مُهْجَتِي ... أُعْتَقُهُ، وَالْحَمْرُ تُخْشَى عَوَائِلُهُ
 تَنْوُحُ بِهِ النَّيَّاتُ مِنْ نَفْتَةِ الْهَوَى ... وَأَعْقِدُهُ وَالْوَجْدُ تَهْمِي هَوَاطِلُهُ

هنا يمكن القول: إن كل هذا كان مواجهة مع الشعر في شكله الإيقاعي التقليدي، واكتشاف القدرة على
 النظم، أكثر من كونه شعرا يحمل رسالة، وكأن الشاعرة تتلمس طريقا تتجاوز فيه عقبة القافية المقيدة والوزن
 اللازم لتصل إلى المراد؛ لأجل ذلك تأتي قصائدها غضة طرية تحمل الصور المقبولة الجيدة، وقد تخونها التعبيرات
 لتظهر المعاني أقل من المأمول وعادية الدلالة.

ولا يخلو الأمر من الاستعانة بجمل كاملة مما أفته القراءة الشعرية، وتوظيفها داخل النص من دون قصد
 النسخ أو التقليد، وإنما موافقة المعنى ومواءمة القافية وسحر الجملة، باعتبارها لفظة واحدة لا تقبل التغيير،
 وكذلك تعديل القول والزيادة فيه والبناء عليه.

كما أورده القزاز القيرواني لما يجوز للشاعر عند الضرورة، من الزيادة والنقصان، والاتساع في سائر المعاني، من التقديم والتأخير والقلب والإبدال، وما يتصل بذلك من الحجج عليه، وتبيين ما يمرّ من معانيه، فأردّه إلى أصوله، وأقيسه على نظائره، وهو باب من العِلْم لا يَسَعُ الشاعرَ جهلُه، ولا يستغني عن معرفته؛ ليكون له حجةٌ لما يقع في شعره، مما يضطر إليه من استقامة قافية، أو وزن بيت، أو إصلاح إعراب (8) ونجد ذلك في قولها من قصيدة سابقة :

ووراء قضبانِ الضلوعِ مداريًا ... (كم ذا يكابدُ لوعَةً ويعاني)

مستعينة بقصيدة للشاعر الليبي (أحمد رفيق المهدي) في معارضته شاعر النيل حافظ إبراهيم :

(كم ذا يكابد لوعة ويلاقي) ... في حب مصر كثيرة العشاق (9)

لكن هذه المرحلة كانت قصيرة جدا ليبدأ بعدها فصل جديد من فصول الإبداع الشعري.

بناء الشخصية المستقلة للشاعرة:

لكل شاعر وقته المناسب ليظهر شخصيته وتفردته، ويخرجه من طور التقليد والتأثر إلى براحه الخاص وأسلوبه المميز، وتلك هي البصمة الملائقة لفنه التي تتبلور مع الوقت يحفظ الناس أسلوب الشاعر من خلال نظمه واختيار معانيه، وهي وإن كانت لا تختلف في أغراضها عن قواعد الشعر كما حددها كتاب قواعد الشعر وتفرعها إلى " مدح وهجاء ومراث واعتذار وتشبيب وتشبيه واقتصاص أخبار " (10) وهذا الوقت جاء سريعاً لفاطمة الرقعي، فاستطاعت أن تكوّن لنفسها طريقاً محددة لشعرها المنشور.

وهذا أمر يكون في وجدان الشاعر ولا مجال للخوض في إبداعه واختياراته أو النصح له، فتلك البصمة تتكون من تلقاء نفسها وتحدد معاملها وتصبح مستقلة عن غيرها.

حدث هذا لكل الشعراء في الأزمنة السابقة وعند المتقدمين، وكتب التراث تنقل لنا تطور الشعر الأندلسي من مجرد ناقل ومقلد إلى مبدع ومجدد، إلى أن أصبح صاحب طريقة مميزة وأساليب جديدة، فضلاً عن الصيغ والتعبيرات المميزة.

وهذا التحول قد يلقي معارضة لدى النقاد أو يواجه بعدم الفهم، وفي أضعف الحالات يخلق دهشة ويفتح الباب للتأويلات الخاطئة، فيرى أبو الحسن بن وكيع في (المنصف) حين وصف شعر المتنبي أولاً بأنه « على ما هو عليه من قوة وتألق، وأن شعره ليس بالصعب المتكلف ولا اللين المستضعف، بل هو بين الرقة والجزالة، وفوق التقصير ومن دون الإطالة، كثير الفصول قليل الفضول.

لكنه يعود فيقول: إنه لا يستحق التقديم على من هو أقدم منه عصرًا، وأحسن شعراً كأبي تمام والبحتري وأشباههما فيأني لا أزال أرى من منجلي الأدب من يعارض شعريهما بشعره، ويزن قدريهما بقدره من غير انتقاء للشعر» (11)

ويمكن التركيز على مسألة الضرورة الشعرية التي وقعت فيها فاطمة من تسكين مكان رفع أو علة تجاوزتها سلامة البحر، تلك الضرورات تشدد بعضهم فيها وتساهل آخرون، ويرى المتشدد أن الضرورة لا تأتي على حساب القواعد النحوية، فيما تناولها الآخرون بشيء من التقبل لجمال النتائج، حدث هذا مع المتقدمين من الشعراء العرب فأخذوا على أبي نواس، في قوله:

نَبَهُ نَدِيمَكَ قَدْ نَعَسَ ... يَسْقِيكَ كَأْسًا فِي غَلَسِ

فقالوا: كان الوجهُ يَسْقِيكَ؛ لأنه جواب الأمر، وهو جزمٌ، تسقط له الياء من يسقيك، كما تقول في مثله: ازْمَ زَيْدًا يَزِمُكَ، فتحذف الياء للجزم، وهذا على ما أُصِّلَ في كتب المختصرات على ما قيل، غير أن لجوازه وجهاً من العربية، وهو أن الشاعر له أن يُجْرِيَ المعتلَّ مُجْرَى السالم (12) ولم تسلم الشاعرة من الوقوع في مثل هذا، وكان القراء يلتمسون العذر لها، ويأتون أحيانا بمسوغ لذلك التغيير، ففي قصيدة لها تقول مبتدئة بحركة الروي بالضم (من الوافر):

فَحَيَّا اللَّهُ إِخْوَانًا كِرَامًا ... بِهِمْ يَسْمُو الْقَرِيضُ وَلَا يَهْزُ

وفي البيت الأخير تقول:

فإنَّ لكلِّ شَأْنٍ ذِي جَمَالٍ ... بِخَاصَرَةِ الذَّمِيمِ أَدَى (ووخزُ)

وكان الأولى أن تقول : (ووخزا) باعتباره معطوفا على اسم (إن) ولكن بعضهم برر ذلك - ولعلي منهم - أنه مقطوع بالرفع باعتباره خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (وهو وخز) وفي هذا إكمال للمعنى ويضيف إليه بعدا آخر، ويحيله إلى وصف لطيف، أو أنه مبتدأ، وخبره محذوف، والتقدير (ووخزٌ كذلك) وهذا يوافق تخريج ابن عقيل في شرحه لألفية ابن مالك في الآية الكريمة: (إن الله وملائكته يصلون) فقال: تُقرأ (وملائكته) بالرفع أيضا على اعتبار الواو استئنافية، بمعنى وملائكته مبتدأ (وملائكته كذلك يصلون)

وإن كان البحث لا يحبذ الخوض في مسائل النقد النحوي؛ إلا أن هذا يعبر عن مدى اهتمام القراء والنقاد بشعرها، وشغفهم بالحديث عن دقائق نظمها، ويجادلون في قولها- وهذا مما يحسب لها؛ فلا شيء يزيد التألق إلا المتابعة والتنبه، ولا شيء يسيء إلى الشاعر مثلما يفعل الشكر المبالغ فيه، والتهليل لكل ما يقوله .

هذه المجادلات كونت شخصية خاصة للشاعرة، وأدخلتها في مساجلات شعرية كثيرة، وجدت طريقها للقراء فعرفوا مقدار ما تتمتع به من صلابة تجاه النقد الحاد، بالإضافة إلى موهبتها في صنع الأبيات السريع في أكثر من اختبار.

كما جعلت الشاعرة من صفحاتها مدونة لتلقى الآراء حول الصيغ المناسبة، وأعطتهم التصريح بتعديل بعض التراكيب وخلق الصور.

فهي تقول في منشور لها تخاطب قراءها: "تسعدني آراؤكم يا أهل الذوق والأدب، وبعيدا عن الاختلاف في حركة ما قبل الروي، أي البيتين (من البسيط) ترونه أجمل مع التوضيح؟

وَكَيْفَ ذَاكَ وَقَدْ أَلْفَيْتُ فِي نَفْسِي ... (شَكَ الرَقِيبِ وَوَشِي الظَّلِّ لِلْحَرَسِ)

أم هذا البيت:

وكيف ذاك وقد ألفت في نفسي ... (رَيْبِ الوَصَالِ وَعَدَلِ الجِنِّ وَالْإِنْسِ)

وتضع الشاعرة قدمها في اختبارات الردود السريعة التي تعتمد البديهة الحاضرة، والتمكن من أدوات التبليغ من دون إعداد مسبق وقد بينت ذلك في صفحاتها قائلة في سجال (من المتقارب):

وَتَلَكُ القَصِيدَةُ تَرْتَادُ رُوجِي ... وَتَنْشُرُ كُلَّ السَّنَاءِ بِدِرِّي

فَدَعَهَا تَطَوَّفُ بَسْرُ الوُجُودِ ... وَدَعَهَا تَفِيضُ بَرُوحِ التَّنْبِي

حَمَلْتُ عَلَيْهَا مَوَاوِيلَ شَتَى ... فَجَاءَتْ بِأَمْرِ الشُّجُونِ تُلْبِي

كما وصل تميزها إلى أن بعض الشعراء عارضوا ونسجوا على منوالها، واستخدموا قوافيها الجيدة، يبرز ذلك ما كتبه الشاعر (خالد خيرى) في قصيدة أسماها (نبوءة) (13) معارضة لقصيدة للشاعرة فاطمة الرقعي وراقت له جدا، فأحب أن يعارضها فقال (من البسيط):

أَوْحَى لَكَ الشَّعْرُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ... أَمْ أَنَّهُ القَلْبُ تُبْدِي سِرَّهُ المَقْلُ

هَاجَ الحَنِينُ عَلَى أَعْتَابِ قَافِيَتِي ... وَقَامَ يَجَارُ فِي ذَاتِي وَيَبْتَهِلُ

ويختتم قصده قائلًا:

هذي نبوءة تك العرجاء تحملني ... إلى هناك، إلى أن ينتهي الأجل

والقصيدة التي عارضها لفاطمة تقول (من البسيط): (14)

أَوْحَى لَكَ الْوَجْدُ أَمْ أودَتْ بِكَ الْعِلْلُ ... رَجْمًا مِنَ الْحُزْنِ لَمْ تَنْبِئْ بِهِ الرَّسْلُ
 فِي جُعبَةِ الرُّوحِ حَيَّاتٌ مُمَدَّدَةٌ ... ظَلَّتْ عَلَى كَفْهَا الْأَمَالُ تَرْتَحُلُ
 فَمَا لِرُوجِي إِذَا شَطَّ الْهَوَى وَبَدَا ... فِي لَمْحَةٍ مِنْ سَرَابِ الْحُلْمِ يُخْتَزَلُ
 كَأَنَّ حَيَابِيَةَ الْأَيَّامِ صَوْمَعَةٌ ... مَا ظَلَّ فِي رُكْنِهَا شَيْخٌ قَبِيْتُهُلُ
 هَبْنِي سَلَوْتُ فَمَا لِلْقَلْبِ مِنْ دِعَاةٍ ... قَدْ صَاقَ دَرْعًا وَأَعْيَتْ نَبْضَهُ الْحَيُّلُ
 لَا تَطْرُقِ الْبَابَ فَالْأَنْوَاءُ مُضْرَمَةٌ ... مَا خَلَّتَهُ عَافِيًا فِي الْعَمَقِ يَشْتَعَلُ
 وَكُلَّ يَوْمٍ لَهُ مِنْ حِينٍ مَطْلَعِهِ ... نَبْشٌ عَلَى الْجُرْحِ لَا يَهْدَا فَيَنْدِمُلُ
 أَوْقَدْتُ لِلنُّورِ أَحْلَامِي فَمَا بَرِحْتُ ... تَزْجِي حَيْنِيًّا وَيَرْخِي دَمْعَهُ الطَّلُّ
 وَإِنْ يَكُنْ نَبْضُكَ الشَّائِي لَهْمٌ طَرَبًا ... فَلُدِّ بِصَمْتِكَ، تَبْيَانُ الْجَوَى زَلُّ

التطور في شعر فاطمة:

لعل من الأجدى في دراسة نتاج أي شاعر، أن نلتفت إلى ما يقوله إبداع، وما يجدد من صور وتعبيرات، ونتعامل مع شعره ككائن مستقل، لا يتحكم به شيء، ولا تقيده نشأة أو بداية؛ فيأتي الشعر غزيرا وفي لحظة إبداعية، لا يقدر التحليل أحيانا على وضع المعايير الخاصة التي تحكمها.

ففاطمة بدأت في مرحلة ما بعد سنة (2010 م) في تأكيد أحقيتها في الشعر، ولفتت الأنظار إلى ما تقوله، وفاقت قصائدها الكثير مما هو متداول في الدواوين المتفرقة، وتمكنت من أن تجعل لشعرها بصمة في قنوات التواصل، وعلى الرغم من تصريحها بصعوبة السير على منهاج المتقدمين حين قالت في مدونة لها ” كلما قرأت كثيرا في شعر الكبار كلما اتسعت الفجوة بين الذائقة والقدرة ، فاستعصى علي البوح ، وكما قيل تماما رديئة لا يعجبني وجيده يستعصي علي ”

إلا أنها استطاعت إتحافنا بالأبيات التي تحمل الديباجة العربية الأصيلة، دون الوقوع في فخ التشبيهات القديمة والغرف من بيئة مختلفة، فقالت في قصيدة (من الكامل) تصف عجز قلمها عن التعبير عن حزن الوطن:

مَا الْحَرْفُ مَبْتُورٌ وَلَا أَنَا وَاصِلُهُ ... وَتَزِيدُ مِنْ فَرْطِ الْهُمُومِ فَوَاصِلُهُ
 مَا بَيْنَ كُلِّ حِكَايَةٍ وَحِكَايَةٍ ... نَزَقُ يَثُورُ فَتَعْتَرِيكَ نَوَاصِلُهُ
 مَا عَادَ يَعْنِيهِ التَّرْنَمُ بِالضُّحَى ... وَالشَّمْسُ كَاسِفَةٌ لَمَا هُوَ طَائِلُهُ
 مَا عَادَ تَشْجِيهِ انْتِفَاضَاتُ الْمَدَى ... وَضِيَاءُ بَدْرِ لَا تَقِيمُ مَنَازِلُهُ
 سَرُّ انْعَتَاقِ الْبُوحِ عَبْرَةُ حَائِرٍ ... تُفْثِي بِأَسْرَارِ الْغِيَابِ هَوَاطِلُهُ

إِنَّ رَامَ فِي جُنْحِ الْخَيَالِ قَصِيدَةً ... تَهْدِي بِهَا عِنْدَ الْلقاءِ أَنَامِلَهُ
 تَعْلُو مُحَيَّاهُ الْمَرَارَةُ وَالْأَسَى ... وَتَمَلَمَلَتْ مِمَّا يَقُولُ زَواجِلُهُ
 نَزَلَتْ عَلَى شَفَةِ الْأَذْنَيْنِ تَوَجُّسًا ... فَشَفَتْ غَلِيلَ الْحَاسِدِينَ نَوازِلُهُ
 كَمْ خَيْبَةٍ مُنِيَتْ بِهَا أَحْلَامُنَا ... سَقَفَ الْمَنَى طَيْرٌ تَنْزُرُ حَواصِلُهُ
 وَطَنِي أَحاسِيسِي وَأَلَمُ الْجَوَى ... وَنَشِيدُ عَزْرٌ لَا تَبوحُ عِنادلُهُ

والشعر التقليدي له مقاييس بلاغية وعروضية تحكمها الأسس الجمالية للنقد، ولكن حركة التطور جعلت الشعر الحديث ملزماً بالبحث عن أسس جمالية جديدة، وصار التعبير تصويرياً أي يعتمد على التشخيص أو التعبير بالصور (15)

هذا مع التزام الشاعرة بمقاييس الشعر من حيث بنائه وصناعة معانيه التي أشار إليها (قدامة بن جعفر) في نقد الشعر بقوله: ”ولما كانت للشعر صناعة، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال، إذا كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن، فله طرفان: أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة، وحدود بينهما تسمى الوسائط، وكان كل قاصد لشيء من ذلك فإنما يقصد الطرف الأجود(16) لذلك نجدها تستخدم الصورة في إظهار شعرها، وتعتمد خلقها في الذهن من دون إزعاج للفهم أو صعوبة التحليل، فجاءت قصائدها رائقة وسلسلة تحمل الأساليب المحدثثة لوضع الصورة حيث تريدها وتنقل العبارة إلى حيث تناسب معانيها، فتقول في وصفها للشعر (من المديد):

لَسْتُ يَدْعَا تَعْتَرِيكَ شُكوكُ ... قَمَةُ الصِّدْقِ جَنبِكَ الْمُتَجافِي
 صَارَ يَسْعَى بِكُلِّ نَبْضِ رُؤُومٍ ... يَسْتَجِئُ الْخُطَى بِعَجْرِ ارْتِجافِ
 إِيهِ يَا شِعْرُ وَالْأَماني يَتَّامَى ... هَزَّهَا الشَّوْقُ فِي عُيُونِ الْمَنافِي
 اعْدُرُونِي قَرُبَ بَوحِ تَجَلَّى ... وَارْفَ الشُّعْرِ مِنْ صَمِيمِ شِغافِي
 صُغْتُهُ الْيَوْمَ سَافِرًا عَنِ شُجُونِي ... وَادَّخَرْتُ الْأَسَى لَوْشَمِ الْقَوايِي

ويأتي شعرها نتيجة الوصف الجميل، الذي يخلقه التوهج والفيض الداخلي، فهي تصف المشاعر الفياضة،

ودرجة التصاقها بالنص وتأثيرها على مسارات الشاعر، فتقول من جميل شعرها (من الطويل) :

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَشَاعِرِ إِنْ هَمَّتْ ... وَأُذَعْنَ مِنْهَا كُلُّ حَرْفٍ مُكَابِرٍ
وَعَتَّقَهَا وَجَدَّ وَطَافَ بِوَهْجِهَا ... يَرَاغُ الْمُعْنَى لَيْسَ يَدْرِي بِسَاتِرِ
وَأُورِدَهَا عَذْبُ الْخَيَالِ وَالرُّؤْيَى ... عَلَى ظَمَأٍ سُقِيَا لِلْفَحِّ الْهَوَاجِرِ
تَجَلَّى سَمِيرُ الرُّوحِ مِنْ بَعْدِ حِجَّةٍ ... أَقَامَتْ عَلَى نَفْسِي حُدُودَ الْمُهَاجِرِ
وَأُوزَعَنِي مِنْ خَالِصِ الْبُوحِ جِنَّةً ... تَهَيِّمُ بِهَا نَفْسِي وَتَشْدُو مَآثِرِي

ويستمر تطور الصورة الشعرية في مثل قولها (من الطويل) :

وَلِي فِيكَ شَأْنَانِ يَفِينُ وَحِيرَةً ... وَوَلَاعُجُ أَشْوَاقٍ بِهِ الْقَلْبُ يَحْرِقُ
وَمِنْكَ انْبِعَاثَاتُ الْقَصِيدَةِ كُلَّمَا ... يُمُوسِقُ عُصْنُ فِي مَدَاهَا وَيُورِقُ
وَوَيْ حَفْنَةَ لِلْأَمْنِيَاتِ أَبْثُهَا ... بَرَعَشَةَ طَيْرٍ مِنْ حَتَايَاكَ يَرْمُقُ
فَإِنْ تَدُنُّ لِي شِبْرًا دَنَوْتُ مِهْجَةٍ ... وَنَبْضُ أَبِي إِلَّا لِأَجْلِكَ يَخْفُقُ
أَيَا شِعْرٍ قَدْ طَالَ انْتِظَارِي وَالْأَسَى ... فَكَلِنِي إِلَى فِيءٍ بِسَمْسِكَ يُشْرِقُ
لِمَوْسِمِ أَفْرَاحٍ يُعِيدُ بَشَاشَتِي ... وَنَسْمَةَ آمَالٍ عَلَى الْبَابِ تَطْرُقُ
وَوَصْلَةَ نَايَاتٍ وَسَجْعَ حَمَامَةٍ ... عَلَى أَيْكَةٍ كَانَتْ بِحَمَلِكَ تَرْفُقُ
وَأَمَّا ارْتَايَتِ الصَّدَّ وَالْهَجَرَ غَالِبٌ ... فَلَا شَكَّ مَا تَنْوِيهِ مَوْتُ مُحَقَّقُ

لذا تصفها صفحة جواهر الأدب أن لشعرها نكهة خاصة تسافر بك للزمن القديم حين تقول (من البسيط) :

زُلْفَى لِعَيْنِكَ دَمْعِي عِنْدَمَا اعْتَكَفَا ... وَنَاءَ قَلْبِي بِظِلِّ الْغَيْمِ مُنْكَسِفَا
يَا مَوْطِنَ الرُّوحِ وَالْأَرْزَاءِ نَابِتَةً ... نَبَتَ الْحَشِيشِ فَحَارَ الزُّهْرُ وَارْتَجَفَا

تَمْضِي عَلَيْكَ سِنِي الْقَهْرِ جَائِحَةً ... تَقْتَاتُ عَزَمَكَ يَبْلَى كُلَّمَا وَقَفَا
هَذِي جِرَاحُكَ يُحْصِيهَا وَ لَا حَجَلَ ... يَنْدَى بِجَبْهَةِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرْفَا
وَأَيْسَ يَنْقُدُ، مَا جَفَّتْ مَتَابِعُهُ ... حَتَّى اعْتَرَاهُ وَجِيبٌ أَدَمَنَ الشَّعْفَا!

ومع مرور الوقت يتشكل الشعر رائقا و متمكنا و ممتعا، تسير ألفاظه على ذائقة القارئ، و تكتسي قافيته جرسا جميلا معبرا، فتقول (من مجزوء الكامل):

يا قلبُ قُلْ لي هلْ عَسَى ... يَخْبُو لَهَيْبِكَ وَالْأَسَى
خَالِي الْوَفَاضِ مِنَ الْمُنَى ... وَ مِنْ اضْطِبَارِكَ تُكْتَسَى
وَأَجَلِ أَنْ تَحْمِي الْحَرِيْبُ — ... رَ نَكَاتَ جُرْحَا أُخْرَسَا
ما شَقُّ عَنْ بَرَحَائِهِ ... أَوْ نَاءَ حَتَّى يُدْرَسَا
ما لَدَا بِالرَّمَزِ الَّذِي ... يُنْبِيكَ إِنْ هُوَ هَسَّهَسَا
وَ خَزُّ الْحَنِينِ أَشَدُّه ... بِاللَّيْلِ إِمَّا عَسَعَسَا
حَتَّى إِذَا افْتَرَّ الضُّحَى ... عَنْ تَعْرِهِ وَ تَنْفَسَا
أَشْجَاكَ مِلءُ يَقِينِهِ ... مَنْ فِي ظَلَالِكَ وَسَوَسَا

مواقف ومحطات:

كان للشاعرة مواقف كثيرة شكلت شخصيتها، و بينت مدى المعاناة التي تواجهها في نظمها، و في اصطدامها بالآراء اللاذعة، و من أبرز تلك المحطات حين نشرت قصيدتها (من الوافر) و على قافية الزاي في شهر أغسطس للعام 2017 م و فيها تقول:

وَيِ وَجَعٌ وَيِ جَرْحٌ يَنْزُ ... وَ قَلْبٌ مِنْ جِوَانِحِهِ يَنْزُ
وَ حَيْرَةٌ خَاطِرٍ تَمْتَدُّ عُمُرًا ... وَ رَوْحٌ مِنْ حَشَاشَتِهَا تَحْزُ
وَ جَنحُ اللَّيْلِ يُدْكِيهِ انْتِظَارٌ ... لِيَرْتَقِ وَصَلَهُ بِالنُّورِ قَرُ
وَ جَفْنٌ غَائِمٌ لِلنُّومِ جَافٍ ... فَمَا يَضْنِيكَ لَوْ عَنِي يَعْزُ

وكنْتُ وكانَتِ الأَمالُ تَتَرى ... على إيقاعها رَقَصَ الإوْرُ

لحى الله الليالي كيف تغشَى ... مَغانيها وفيها الوَجْدِ رِكْزُ

هذه القصيدة ذات القافية الصعبة كانت محل جدل كبير وصل إلى مرحلة المساجلات الكبيرة والردود الشعرية المؤيدة لهذا الاختيار، وإن لم يخل هذا من رأي ناقد ذو قاعدة الذوقية.

فمع من يرى أنها وإن كانت قافية صعبة إلا أنه لا يرونها إلا مهرةً أصيلة للحرف كقول الناقد معتصم السعدون ، إلا أن ناقدنا آخر وهو موسى علوي يرى غير ذلك قائلاً: ” القصيدة جميلة، لكن القافية محملة بالتكلف، فحرف الزاي والضاد والطاء من الحروف المتعبة التي تجنبها كثير من الشعراء، ومنهم المتنبي، حتى القارئ يجهد نفسه مع الشاعر أو الشاعرة ليجد له أو لها مخرجاً من هذه القافية المكلفة، وما أجمل الإبداع الذي يأتي عفو الخاطر بلا مخاطر.

ويعلق مسعود الرقعي قائلاً: إن اختيار مواضيع النصوص والقوافي والبنية الإيقاعية الموسيقية للنص يعتمد بالدرجة الأولى على ذائقة المتلقي، بالنسبة لي أعتبر هذا النص من أجمل نصوص أم احمد، ولا يعيبها مطلقاً اختيار القوافي الصعبة، بل هو امتحان لقدراتها الشعرية، وهذه القافية ليست غريبة لكنها نادرة بحجم جمالها وعمقها و قوتها.

ودافع الأديب جمعة الفاخري عن اختيار الشاعرة قائلاً: وإن كنت ألمس تكلفاً في تلكم الكلمات التي بها حرف الروي (الزاي)؛ لكن من قال إنَّ شعراء العرب قدامى ومعاصرين لم يستخدموا (الزاي) رويًا، فهو يحمل إلينا موسيقاه العذبة كحرف صفيري، يمكن أن يطرنا كزقزقة العصافير ، وأورد الفاخري زائبة الخنساء وكيف أنها بنيت على رويِّ الزاي، في قولها (من المتقارب):

تَعَرَّقَني الدَّهْرُ نَهْساَ وَحَرَآ ... وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ قَرَعاً وَغَمْرًا

وأفنى رجالي فبادوا معاً ... فَعُوْدِرَ قَلْبِي بِهِمْ مُسْتَفْرًا

كأن لم يَكُونُوا حِمِّي يَتَقَى ... إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مِنْ عَزَّ بَرًا

ويتولى مصطفى السنجاري الدفاع عن قافية الزاي بأبيات مؤيدة على حرف الروي نفسه (ومن الوافر):

لحرف الزاي قافية تُعزُّ ... على متخاذلٍ ما فيه عزُّ

فإن لكل شأنٍ ذي جمالٍ ... بخاصرة الذميمة أذىً ووخزٌ

بها أبهرتِ سيدتي عقولاً ... وذا يغنيك عمّن يشمئزٌ

لتعبرُ فاطمة عن امتنانها لكل الأقلام التي تداعت دونها طلب مني فقط لأجل الإنصاف من أسلوب جراح , ولا اعتراضاً على نقد أدبي بناء رزين, وأضافت أبياتاً تقدم شكرها لهم (من الوافر):

فحياً الله إخواناً كراماً ... بهم يسمو القريضُ ولا يُهزُّ

مداد من كريمٍ ليس تُحصى ... مآثره، ولا يأتيه عجزٌ

كذا كنتم جميعاً إيّ ورّبي ... وأنتم نخبةً بكمو أعزُّ

ورّب أخٍ وما ودّته أمٌ ... شقيقاً لو رأى جرحي ينزُّ

وينتهي الجدل هنا، مدللاً على انشغال كبير بالشعر، ولوعة ما يلاقيه الشاعر من خلال نظمه ، والروح التي يخلقها القول الشعري في نفوس القراء فيتكون الشكل وتبرز الشخصية أكثر من مجرد القول والرد.

خاتمة

إلى هذه الساعة لا زالت فاطمة تنظم الشعر في صفحاتها، تأتي بالبيت والبيتين والمقطوعة والقصيدة، ولا يزال التحليل يسابق الزمن لمعرفة مقدار التطور في نسقها، وإمّا هي محاولة للحاق بها، والنظر فيما تنتجه، وتشجيعها على الاستمرار.

ولعل هذه الدراسة لا تفي كل جوانب فنّها الشعري، ولا تحيط بعناصر مهمة من حياة الشاعرة ، وقد يقصر البحث في فهم مراد بعض القصائد، وربما لا تفيها حقها من الإشادة، أو تعطي لبعض النتاج أكثر مما يلزم.

هذا البحث أراد التنبيه والتعريف بالشعر النسوي الليبي الذي يكاد لا يعرفه أحد، والتفاعل مع شخصية يرى الباحث أنها قادرة على الإضافة في الشكل والصورة والبيان.

إن نجح هذا البحث في فتح الأعين على ضرورة الالتفات إلى هذا فهو كاف، لأن الزمن كفيلاً بتوضيح ذلك وإثبات قدرة كل شاعر على الإبداع إن توافرت له السبل وحظي بالتشجيع والقبول.

في الختام أوجه الشكر لأخي وصديقي الدكتور منصور الحمري؛ لما قدمه من عون ومساندة، في نظرتة العرضية لكل الأبيات الواردة في البحث.

الهوامش:

- 1 - على قول من يوجب الرد إلى الواحد عند النسبة فيجب أن يقال (نِسْوِي) عند النسب إلى (النساء)، ولا يجوز (النسائي)، وهو قول سيبويه وأهل البصرة، وعلى قول من يجيزون النسب للجمع عند الحاجة يجوز أن يقال (النِّسْوِي) و(النَّسَائِي) وذلك قول الكوفيين أو بعضهم.
- 2 - * البيانات الشخصية تم الحصول عليها من الشاعرة نفسها، عن طريق المراسلة .
- 3 - مجلة ألوان الالكترونية . alwan-group.com
- 4 - الجاحظ، عمر بن بحر الحيوان (ب.تاريخ)، ت: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ص 132
- 5 - القيرواني، ابن رشيقي، العمدة، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت ، ج1 ، ص 124 وما بعدها.
- 6 - الجرجاني، عبد القاهر(1983م) أسرار البلاغة، ت: هـ ريتز، دار المسيرة، بيروت ، ط 3، ، ص 108
- 7 - zelmajaz.com
- 8 - القيرواني القزاز(ب.ت) ما يجوز للشاعر في الضرورة، ت: د رمضان عبد التواب، دار العروبة، الكويت ، ص 44.
- 9 - التليسي، خليفة (1976م) رفيق شاعر الوطن، دراسة عن الشاعر أحمد رفيق المهدي والحركة الأدبية الحديثة في ليبيا، مطبعة انتربرنت مالطا، ط 3، ص 55
- 10 - ثعلب، أبو العباس أحمد (1996م) قواعد الشعر، شرح وتعليق: د محمد عبد المنعم خفاجي، الدار المصرية اللبنانية ، مصر، ط 1، ص 6.
- 11 - التنيسي، أبو الحسن بن وكيع (ب.ت) المنصف بين السارق والمسروق منه، ج1، ص 99.
- 12 - المرجع السابق، ج1، ص 99.
- 13 - <https://m.facebook.com/zelmajaz3/?soft=bookmarks>
- 14 - zelmajaz.com

15 - علوش, ناجي (1978م) من قضايا التجديد والالتزام في الأدب العربي, الدار العربية للكتاب , ليبيا - تونس, ص 42 .

16 - أبو الفرج, قدامة بن جعفر (1302 هـ) نقد الشعر, (ب تحقيق) مطبعة الجوائب, القسطنطينية ط 1, ص 3 وما بعدها .

المصادر والمراجع:

1. أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني ت: هـ ريتز, دار المسيرة, بيروت , ط 3, (1983م)
2. الحيوان, عمر بن بحر الجاحظ , ت: عبدالسلام هارون, دار إحياء التراث العربي.
3. رفيق شاعرالوطن, دراسة عن الشاعر أحمد رفيق المهدي والحركة الأدبية الحديثة في ليبيا, خليفة التليسي, مطبعة انترننت مالطا , , ط 3, (1976م).
4. العمدة في فنون الشعر ونقده, ابن رشيق القيرواني, ت: محمد محي الدين عبدالحميد, دار الجيل, بيروت , ج1.
5. قواعد الشعر, أبو العباس أحمد ثعلب, شرح وتعليق, د محمد عبدالمنعم خفاجي, الدار المصرية اللبنانية , مصر ط 1. (1996م).
6. ما يجوز للشاعر في الضرورة, القزاز القيرواني (ب.ت) ت: د رمضان عبد التواب, دار العروبة, الكويت.
7. المنصف بين السارق والمسروق منه أبو الحسن بن وكيع التنيسي, (ب.ت), بدون دار نشر.
8. من قضايا التجديد والالتزام في الأدب العربي. ناجي علوش, , الدارالعربية للكتاب , ليبيا - تونس. (1978م).
9. نقد الشعر قدامة بن جعفر (1302 هـ), (ب ت) مطبعة الجوائب , القسطنطينية.

المواقع الالكترونية:

1. <http://www.zelmajaz.com>
2. <https://www.alwan-group.com>
3. https://www.facebook.com/fatima.ahmad.104203?ref=br_rs

البصمة الوراثية A . N . D كدليل في الإثبات الجنائي

د.علي محمود خير الله

جامعة عمر المختار

ملخص البحث

كل تنظيم قضائي لابد له من نظام إثبات، والإثبات هو تأكيد لحق بإقامة البرهان عليه، والتقدم العلمي الهائل وعلى الأخص الهندسة الوراثية أحدثت ثورة وقدمت براهين جديدة على إمكان تقديم الدليل العلمي القاطع على تبرة البريء وإدانة الجاني، ومن هذه الأدلة العلمية البصمة الوراثية (D.N.A) أو الحمض النووي، وتتميز البصمة الوراثية بدقتها في تحديد صاحب الأثر البيولوجي، وتفريقها بدقة بين فرد وآخر، ولا يحتاج تحديدها إلا لأثر قليل، كلعاب، أو شعرة من رأس أو جسم، وهي لا تبلى مع الزمن، ولا تؤثر فيها المتغيرات الجوية، كما أن طريقة أخذها من المتهمين لا تؤثر على سلامتهم فلا يحتاج تحليلها إلا قليل من لعاب أو قطرات من دم أو كشط صغير من جلد.

ولأن كثيراً من التشريعات الأجنبية وبعض التشريعات العربية، قد أخذت بها واعتبرتها دليلاً قاطعاً في الإثبات الجنائي، فإننا نهيب بالمشرع الليبي أن يصدر قانوناً ينص فيه على اعتبار البصمة الوراثية دليلاً جنائياً، وينظم في هذا القانون كل الشروط الواجب اتخاذها، للتأكد من صحة التحليل ودقة النتائج، والحفاظ على حقوق المتهمين، والنص على الكيفية التي تؤخذ بها ومن يجوز له أخذها.

وقد بحثنا هذا الموضوع في مطلبين، تناول الأول: ماهية البصمة الوراثية، ومدى فاعليتها في الإثبات الجنائي، وتناول الثاني: مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها أمام القضاء، وضوابط وشروط العمل بها، ثم خاتمة اشتملت على ملخص للبحث والنتائج والتوصيات.

مقدمة:

لقد استفادت جميع مناحي الحياة من التقدم العلمي، والطفرة الهائلة التي حدثت في سائر العلوم، وتطورت كل المجالات مع التطور العلمي الحديث. والعدالة هي أحوج المجالات للاستفادة من كل ما يخدم مصالح المجتمع؛ لأن العدالة هي الأكثر تأثيراً على حياة الناس، فمتى تحققت أطمأن الناس وآمنوا، فينطلق فيهم الإبداع، ويزيد العطاء وتتقدم الأمة، وأجهزة العدالة يجب ألا تدخر جهداً في استخدام الوسائل العلمية التي تساهم في إظهار الحق بإدانة الجاني وتبرئة البريء وتسريع أعمال القضاء بخلق القناعة لدى القاضي بمدى مصداقيتها، فتمكنه من الاطمئنان إلى أحكامه.

ومن الوسائل العلمية التي أنتجتها التطور العلمي، وساهمت في كشف الجرائم وإثباتها ونفيها على أسس علمية مبنية على التجربة والبرهان، فظهرت وسائل إثبات علمية كثيرة كالبصمات البومترية، كبصمة العين، بصمة الإذن، واثار الاقدام، وفتحات مسام العرق، وغيرها وزادت تطوراً بظهور وسيلة الإثبات العلمية الحديث، البصمة الوراثية (D.N.A).

إشكالية البحث:

الأدلة الفنية المبنية على التجربة العلمية لها أهميتها في الإثبات وقد برز دورها مع الطفرة العلمية الكبيرة التي شهدتها البشرية في العصر الحديث، والتساؤل الذي يدور، ما البصمة الوراثية، وما مدى صدق النتائج العلمية التي تسفر عن استعمالها، وما مركزها القانوني ومدى مشروعيتها؟

وما مدى قبول القاضي وقناعته للأخذ بها كدليل، وما مدى مساسها بالحرية الشخصية للمتهم أو المشتبه به.

فانطلاقاً من أن القاضي خبير الخبراء، فالسؤال إلى أي مدى يجوز له استعمال البصمة الوراثية (D.N.A) لتعزيز رأيه، وتأكيد قناعته، وكيف يتم التوفيق بين احترام حقوق المتهم، ومصصلحة المجتمع في مكافحة الجريمة، باستخدام الوسائل العلمية الحديثة، ومنها البصمة الوراثية (D.N.A) كأدلة إثبات.

أهمية البحث:

لقد أصبحت البصمة الوراثية أو الحمض النووي دليلاً قاطعاً في كثير من التشريعات الحديثة، وثبت نجاحها، ونجاحتها في الربط بين الأثر البيولوجي وصاحبه أو في تأكيد نفي العلاقة بين الأثر البيولوجي والمشتبه به، ونجحت في إثبات قضايا كثيرة، كإثبات النسب أو نفيه.

ورغم هذه الأهمية الكبيرة للبصمة الوراثية إلا أننا نجد أن المشرع الليبي لم يحدد إطاراً قانونياً يحدد مشروعية الأخذ بها، وإيجاد توازن بين المصلحة في تحقيق العدالة، وإثبات الجرم على فاعله بدليل علمي قاطع، وبين الحفاظ على حقوق المتهم وضماناته.

ويمكن تلخيص أهمية البحث في الآتي:

1. إن كثيراً من المجالات استفادت من الأبحاث العلمية بشكل عام، حيث ثبت نجاح الأبحاث العلمية، وزادت من أهمية وتطور تلك المجالات، والقانون هو الأكثر تأثيراً على حياة الناس ومصالحهم، فهو الأجدر بأن يستفيد من سائر التطورات العلمية ليسهم في أمن الناس واستقرارهم وضمان حقوقهم وحررياتهم.

2. عدم مسايرة المشرع الليبي للتطور العلمي والتشريعي في الأخذ بأدلة الأثبات العلمية التجريبية، وبالأخص الحمض النووي (D.N.A).

3. محاولة إثراء الموضوع بدراسة قانونية، خاصة مع قلة البحوث الوطنية المقدمة في هذا المجال، والإسهام في إلقاء مزيد الضوء على هذا الموضوع.

فروض البحث:

ثبت من الناحية العلمية أن البصمة الوراثية تكاد تكون قاطعة في الإثبات ولا تعترتها سلبيات إذا تمّ تحليلها بطريقة سليمة، بحيث لا تؤثر على سلامة من تؤخذ منه العينة، ونفترض أنها لا تؤثر على الحرية الشخصية للأشخاص، وأنه أصبح من الضروري الأخذ بها كدليل إثبات جنائي، وأنه على المشرع الليبي أن يستجيب لقبولها كدليل إثبات؛ لأنها تتميز بطابع التأكيد ولا تبنى على الاحتمالات، متميزة عن كل الأدلة الإثباتية العلمية الأخرى، فهي قرينة مادية قاطعة.

نطاق ومنهج البحث:

نظراً لأهمية البصمة الوراثية (D.N.A) في الإثبات الجنائي، فقد رأينا دراستها كأحد الأدلة العلمية المستخدمة للإثبات وبيان مدى مشروعيتها، وآثارها على حقوق الأفراد، وقد روعي في هذا البحث اتباع المنهج التحليلي.

خطة البحث:

وسائل الإثبات العلمية التجريبية الحديثة تشكل أساساً لحل كثير من القضايا الجنائية الغامضة، وقد تكون أساساً لتجلية الحقيقة وتبينها، غير أنه قد يكون في الأخذ بهذه الوسائل مساساً بحرية وحقوق الأفراد.

وترتيباً على ذلك نقسم هذا البحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: ماهية البصمة الوراثية (D.N.A)، ومدى فاعليتها في الإثبات الجنائي، ونقسم هذا المطلب إلى فرعين:

— الفرع الأول: تعريف البصمة الوراثية (D.N.A) وتركيبها الكيميائية.

— الفرع الثاني: مدى فاعلية البصمة الوراثية (D.N.A) في الإثبات الجنائي.

المطلب الثاني: مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجبتها أمام القضاء وضوابط وشروط العمل بها، ونقسم هذا المطلب إلى فرعين:

— الفرع الأول: التطبيقات العلمية على نجاح البصمة الوراثية في الأحكام القضائية.

— الفرع الثاني: ضوابط وشروط البصمة الوراثية.

المطلب الأول:

ماهية البصمة الوراثية (D. N. A) ومدى فاعليتها في الإثبات الجنائي

نتيجة للتطور العلمي الهائل الذي حدث في هذا العصر والنجاح التقني الكبير، فقد تمكن الطب الحديث عن طريق تحليل الدم من الحصول على البصمة الوراثية أو الجينية أو الحمض النووي (D.N.A)، وهي ما تعرف كذلك بالشفرة الوراثية أو الطبعة الجينية أو الخريطة الوراثية.

ومن خلال هذه البصمة أصبح من اليسير الوصول إلى كثير من الأدلة التي تثبت النسب فتلحق الولد بأبيه أو بأمه، وأمكن التعرف على كثير من الجناة، كما تم تبرة كثير من المظلومين؛ والحقائق الطبية، غالباً ما تكون حقائق ثابتة يمكن الاطمئنان لها والاستناد إليها، وأثبتت الدراسات الطبية أن الحمض النووي (D.N.A) هو بصمة وراثية خاصة للشخص تستطيع تحديده بها دون غيره⁽¹⁾، لذلك يمكن الاستناد إلى هذه البصمة لاستجلاء غموض أو إثبات حقيقة معينة.

ونقسم هذا المطلب إلى فرعين:

الفرع الأول: التعريف بالبصمة الوراثية وتركيبها الكيميائية

البصمة الوراثية أو الحمض النووي، هو حمض وراثي يوجد في أنوية الكائنات الحية، وهو مسؤول عن نقل الصفات الوراثية، فهو يتركز في أنوية الخلايا، في كل نواة إلا في كريات الدم الحمراء، حيث يقرر العلم أنها لا نواة فيها⁽²⁾.

فالحمض النووي أو البصمة الوراثية هي عبارة عن مادة كيميائية تتحكم في تطوير شكل الخلايا، والأنسجة، في جسم الإنسان، فالحمض النووي (D.N.A) بمثابة خريطة خاصة بتطوير الجسم محفوظة في داخل كل خلية من خلاياه، وهو عبارة عن مركب كيميائي، متعدد ذو وزن جزئي، لا يمكن للكائن الحي الاستغناء عنه⁽³⁾.

وينقسم الحمض النووي إلى نوعين:

- الأول: ويسمى الريبوزي R.N.A وهو يحتوي على سكر الريبوز Ribose.

- الثاني: يحتوي على سكر دي أكس ريبوزية ويسمى D.N.A وهي اختصار لمصطلح Deo- ry Navulice Acid ويشكل هذين الحمضين D.N.A & R.N.A بوليميرات خيطية على شكل وحدات تسمى نيوكليوتيدات، فهما نوعان، غير أن D.N.A هو الأساس في تكوين كل شيء⁽⁴⁾، وهو الأساس في تكوين الإنسان وهو المسيطر على الجينات الوراثية، ويتكون من شريط يحمل 23 زوجاً من الكروموزومات، ويوجد في خلايا الجسم متحداً مع السيتوبلازم ولا يمكن فصلهما.

وسميت بالأحماض النووية لوجودها داخل النواة في خلايا الجسم بالنواة في جسم الإنسان، تحتوي على 46 كروموزوم، 23 منها للذكر، و23 منها للأنثى، وبتخصيص بويضة الأنثى تحتوي على 46 كروموزوم يرمز لها في الذكر XY وفي الأنثى XX، وأثبت العلماء عدم مطابقة الحمض النووي بين شخص وغيره، وأثبتوا أن تسلسل تلك القواعد لا

يتطابق إلا في حالات التوائم المتماثلة المتكونين من بويضة واحدة⁽⁵⁾.

يعود اكتشاف D.N.A للطبيب السويسري «فريدرك ميستور»، وذلك عام 1869م، وذلك باستطاعته استخلاص مادة مجهرية من القيح وهي «نووية نيوكلين»، وفي عام 1929م اكتشف الطبيب «فيبي ليفني» مكونات الوحدة الأساسية للحمض النووي D.N.A «النوويدات»، وأن الحمض النووي ما هو إلا تكرار لهذه الوحدة.

وفي سنة 1943م قام العالم «أوزوالد افري» بمزج بكتيريا ميتة بسطح ناعم مع بكتيريا حية من نفس النوع ولكن بسطح خشن، فانتقلت خاصية البكتيريا ذات السطح الخشن إلى البكتيريا ذات السطح الناعم وسمي D.N.A بالعامل الناقل.

وظلت التجارب مستمرة في تقدم مضطرد لإجمالي لخصرها، حيث استطاع الباحثان «ميلينون وستال» عام 1955م توضيح طريقة تناسخ الـ D.N.A، وتابع والشون، وكريك وموريس اكتشافهم في هذا المجال حتى تحصلوا على جائزة نوبل عام 1962م.

وفي العام 1984 قام عالم الوراثة الانجليزي إريك جيفريز الدكتور بجامعة ليستر بنشر بحث يثبت فيه أن المادة الوراثية قابلة للتكرار أكثر من مرة، بحيث لا يمكن أن تتشابه إلا في التوائم المتماثلة الناتجة عن بويضة واحدة، وسجل الدكتور بحثه في براءة اكتشاف عام 1985م، وسميت بالبصمة الوراثية D.N.A أو الحمض النووي.

وقسم الحمض كذلك بتسمية أخرى إلى الحمض النووي الوظيفي، والحمض النووي غير الوظيفي، فالأول: يقوم بنقل الصفات الوراثية، والثاني: هو الحمض المستعمل كدليل في إثبات الجرائم⁽⁶⁾.

والخلاصة: أن التركيب الكيميائي للحمض النووي D.N.A هو سلسلة وحدات متتابعة مرتبطة كيميائياً، وتسمى «نيوكليوتيدات» وتحتوي كل واحدة منها على ثلاثة أجزاء رئيسية، أولها: قاعدة نيتروجينية، وثانيها: سكر «الريبوز» الخماسي منقوص الأكسجين، وثالثها: مجموعة فوسفات، فالشفرة الوراثية كامنة في تتابع النيوكليوتيدات على سلسلة جزئي الحمض النووي⁽⁷⁾.

وتحليل الحمض النووي: هو عبارة عن عزل للحمض النووي عن مصادره الحيوية بواسطة أنزيمات خاصة بتقسيم الحمض إلى مواقع قيد، فيكون له تسلسل معين يتم بها تصنيف أجزاء الحمض النووي التي يتم الحصول عليها بواسطة الأشعة، والتي تتمثل في أن يوضع على أطراف هلالية تحت مجال كهربائي وبطريقة علمية خاصة، يتم جعلها مرئية فيتم التمييز بين الأجزاء، ووضع علامات على كل منها يمكن أن تظهر منه الرقيقة «التصوير الاشعاعي الذاتي»، وذلك يترك خطوط واضحة والمقارنة من حيث العدد، والمكان الخاص بصورتين اشعاعيتين ينتج الوصول إلى هوية مصدرها البيولوجي⁽⁸⁾.

فكيميائياً تتكون البصمة الوراثية D.N.A من سلسلة من البوليمرات تشكل حلزون مزدوج، وتتكون السلسلتان من وحدات بنائية تسمى «نيوكليوتيدات»، وتتكون كل نيوكليوتيدة من ثلاث جزئيات سكر خماس دى أوكس-ريبوز، سكر ريبوزي منقوص الأكسجين - مجموعة فوسفات وقاعدة نيتروجينية، وهي عدة أنواع أما غوانين «9» أو ادنين A أو ثمين T أو سيتورزين C، وترتبط تلك النيوكليوتيدات مع بعضها البعض برابطة تساهمية، ويتم الارتباط بين السكر والفوسفات بشكل نسابع لتكوين ما يعرف بهيكل سكر الفوسفات.

فكل سلسلة D.N.A تحتوي على قواعد نيتروجينية ترتبط ببعضها برابط هيدروجيني مكونة بذلك الروابط العرضية للحلزون المزدوج.

تعريف الفقه القانوني للبصمة الوراثية:

حاول بعض فقهاء القانون المعاصرون وضع تعريف يحيط ببيان ماهية البصمة الوراثية ونورد منه على سبيل المثال:

فقد عرفت بأنها «العلامة أو الأثر الذي ينتقل من الآباء إلى الأبناء أو من الأصول إلى الفروع»، أو «أنها عملية تعيين هوية الإنسان عن طريق تحليل جزء أو أجزاء من حامض D.N.A. المترکز في نواة أية خلية من خلايا جسمه»⁽⁹⁾.

كما عرفت بأنها «المادة الحاملة للعوامل الوراثية والجينات من الكائنات الحية»⁽¹⁰⁾.

وبأنها «البنية الجينية التي تدل على كل فرد بعينه، وهي وسيلة لا تكاد تخطى في التحقق من الوالدية البيولوجية والتحقق من الشخصية»، وهذا التعريف هو التعريف الذي أقره المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة⁽¹¹⁾.

ويمكن تعريفها بأنها «وسيلة علمية للتحقق من الشخصية ومعرفة الصفات الوراثية المميزة للشخص عن غيره».

فهي عبارة عن سجل وراثي يحمل جميع الصفات التي يمتلكها جسم الشخص وتميزه عن غيره، ولا تتكرر من شخص لآخر إلا في التوائم المتطابقة، فهي هوية أصلية ثابتة لكل إنسان تسمح بالتعرف على الأشخاص وفرزهم عن غيرهم بيقين يكاد يكون كاملاً.

الفرع الثاني: مدى فاعلية البصمة الوراثية في الإثبات الجنائي

أن رصد الظاهرة الاجرامية أمر في غاية الصعوبة وكذلك إلحاق الجريمة بفاعلها أمر يدق ويصعب في أحيان كثيرة، الأمر الذي يتطلب جهداً شاقاً وكبيراً، وكثير من الجرائم تقيد ضد مجهول، لعدم معرفة الفاعل أو لعدم كفاية الدليل، فكان لا بد وقد ازدادت جرائم العصر وتطورت من الالتجاء إلى أدلة علمية حديثة وقاطعة، لمعرفة الجناة والتعرف على الجثث والأشلاء والدماء التي تنتج عن الجريمة، والبصمة الوراثية أحد أهم هذه الأدلة العلمية القادرة على فك رموز كثير من الجرائم، فالجثث وأن طال أجل دفنها يمكن التعرف عليها بواسطة البصمة الوراثية، أو كانت محروقة، أو متعفنة، أو كانت مقابر جماعية أو اشلاء، أو مجرد عظام متفرقة يمكن تمييزها عن بعضها ولم الأشلاء أو تفريقها بدقة ومعرفة أصحابها إلى حد كبير.

كما أن المجرم وإن كان حريصاً على إخفاء أثر جريمته، فغالباً ما يترك أثراً يمكن أن يدل عليه، ولو كانت شعرة من جسمه أو بصقة من لعابه، أو نقطة من سائله المنوي، وأن كانتا جافتين، فقد يمكن التعرف عليه⁽²¹⁾، وذلك بتحليل هذا الأثر الذي تركه وتحديد بصمته الوراثية ومقارنتها بالبصمة الوراثية للمشتبه به.

ويمكن إجمال أهمية البصمة الوراثية في الإثبات الجنائي في مجموعة نقاط وهي:

أولاً: دورها الأكيد في إثبات البنوة وتحديد النسب: فقد أثبتت التجارب العلمية أن المولود يأخذ عن والده نصف العوامل الوراثية، وعن والدته يأخذ النصف الآخر، فالبصمة الوراثية تحدد بدقة كبيرة نسب المولود لوالديه، وهي بدقة متناهية كذلك تمكن أن تنفي نسبه بهما أو بأحدهما.

ولقد أقرت كثير من الدول العمل بالبصمة الوراثية في إثبات النسب، فعلى سبيل المثال أقرت دار الافتاء المصرية ذلك في قضايا كثيرة عرضت أمام القضاء، ومن ذلك مثلاً القضية رقم (635) لسنة 1995م⁽³¹⁾.

ثانياً: دورها في التعرف على المجرمين: للحكم على المتهم يجب ثبوت وقوع الجريمة، وأن المتهم هو مرتكبها، والإثبات هو النتيجة التي تتحقق باستعمال الوسائل وطرق قانونية مختلفة، للوصول إلى دليل يستعين به القاضي لاستخلاص حقيقة الوقائع المعروضة أمامه، لأعمال حكم القانون عليها.

والبصمة الوراثية أو الحمض النووي دليل نفي أو إثبات قوي اعترفت كثير من الدول في أمريكا وأوروبا بنجاعته، ولذلك عن طريق فحص الأثر الذي تركه المجرم في مسرح جريمته، كالدماء والأنسجة، واللغاب، وغيرها، فأمكن التعرف على كثير من الفاعلين في جرائم الاغتصاب مثلاً، عن طريق العينة التي وجدت في مسرح الجريمة⁽⁴¹⁾.

ثالثاً: صحة نتائج اختبار البصمة الوراثية: لكي تكون للبصمة الوراثية فاعلية أكيدة في الإثبات يجب أن تكون الاختبارات التي أجريت لتحديد صحتها ودقتها، ولقد ثبت علمياً أنها تمثل الدليل القاطع في إعادة الأثر البيولوجي إلى فاعله، وعن طريقها أمكن التفريق بين الأشلاء المتناثرة والجثث المتحللة، ولقد أقرت الهيئات العلمية والجنائية بنجاعته وصدقية نتائجها⁽⁵¹⁾، وإمكانية إصدار الأحكام القضائية استناداً إليها، إذا توافرت الشروط الفنية والقانونية الكافية في أخذ العينات وتحليلها بأيدي متخصصين مهرة وتحت إشراف السلطات المختصة بالتحقيق، وفقاً لما ينص عليه القانون.

والأمثلة الدالة على أهمية البصمة الوراثية أو الحمض النووي في إثبات الجرائم وأدانت المجرمين كثيرة، فالحمض النووي دليل إثبات قاطع يمكن الأخذ به لأسباب كثيرة منها:

1. أن البصمة الوراثية أدق وسيلة علمية أمكن بها تحديد هوية الإنسان.
2. ثبت علمياً من خلالها أنه لا يمكن التوافق بين فرد وآخر، فلكل إنسان بصمته الوراثية الخاصة.
3. عينة بسيطة ضئيلة سواء كانت أنسجة من الجسد أو شعرة من الجسم أو لعاب أو مخاط أو مني ولو بعد جفافها، كافية لإظهار البصمة الوراثية.
4. ما يميز الحمض النووي مقاومته الزمن والتغيرات الجوية المختلفة ومقاومة التعفن مهما طال الزمن على العينة، ومهما تعرضت لاضطرابات الأجواء، فإنها تبقى صالحة للتحليل⁽⁶¹⁾.

المطلب الثاني:

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها أمام القضاء وضوابط وشروط العمل بها

إن استعمال الأساليب العلمية في الإثبات، يثير مسألة المساس الذي يحدثه أخذ العينة من المتهم على حقوق المتهم، ومدى مشروعية المساس بجسم من تؤخذ منه، باعتباره انتهاك لخصوصيته من خلال الاطلاع على شفرته البيولوجية D.N.A. فقد يتعدى تحليل العينة السبب الذي أخذت من أجله، فهي كاشفة لخصوصية الفرد، ولذلك يرى جانب من الفقه⁽⁷¹⁾، أنه انطلاقاً من القاعدة الإجرائية التي تؤكد على أنه لا يجبر المتهم على أن يكون شاهداً على نفسه، واعتبار العينة التي تؤخذ منه ستكون دليلاً عليه، فهي كالشاهد عليه، وهي شاهد صامت لا يتغير ولا تؤثر فيه مؤثرات عاطفية أو غيرها، فاستقطاع جزء من جسده لإثبات أمر ضده يعتبر من قبيل الشهادة على نفسه، كما أن هذا الاستقطاع، وإن كان بسيطاً يعتبر مساساً بسلامة المتهم الجسدية التي تعتبر من حقوقه وضماناته، غير أن أمن المجتمع وحماية الناس، وإدانة المجرمين، وتحقيق العدالة، بأخذ عينة قليلة من جلد أو دم أو لعاب من جسم المتهم، لا يعتبر شهادة ضده، فهو لا يجبر على الكلام أو الاعتراف، وأخذ العينة قليل لا يؤلم ولا يعذب، ولا يؤثر مطلقاً على سلامته الجسدية، بل قد يكون في أخذ العينة مصلحة للمتهم، وذلك بتجديد الأحكام وسرعة البت في أمره إن كان بريئاً، وذلك بتأثير هذا الدليل القاطع على عقيدة القاضي وإقناعه بصحة حكمه.

وقد تبنت كثير من التشريعات نصوصاً تسمح بالتقاط العينة وتحليلها لأغراض التحقيق، ففي مصر مع عدم وجود نص صريح ينظم استخدام البصمة الوراثية، فقد استقرّ قضاء محكمة النقض على أحقية سلطات التحقيق بإصدار الأمر بإجراء اختبار البصمة الوراثية في بعض الجرائم.

غير أنه على الرغم من أهمية البصمة الوراثية في إثبات الهوية، وإمكان استغلال ذلك لتحديد الفاعل أو الفاعلين في كثير من الجرائم، وعلى الرغم من التأكيد العالمي الكبير على صحة نتائج تحليل البصمة الوراثية، وعلى الرغم من أنه ليس لها تأثير خطير بأي وجه على سلامة وصحة من تؤخذ منه العينة، وعلى الرغم من أن هناك دول متقدمة سبقت الأخذ باعتبار البصمة الوراثية دليلاً من أدلة الإثبات الجنائي القاطعة أمام القضاء، وما جاء بشأن أهميتها والاستفادة منها في قرار مجمع الفقه الإسلامي السادس عشر المنعقد بمكة المكرمة في 5/1/2002م، واعتبار البصمة الوراثية دليل نفي وإثبات بنسبة مئة بالمئة 100%⁽⁸¹⁾.

نجد أن كثيراً من التشريعات العربية ومنها المشرّع الليبي لم يصدر قانوناً ينظم فيه استخدام الحمض النووي أو البصمة الوراثية، كوسيلة من وسائل الإثبات الجنائي القاطعة.

ونقسم هذا المطلب إلى فرعين:

الفرع الأول: التطبيقات العلمية على نجاح البصمة الوراثية في الأحكام القضائية

إن التطبيقات العلمية للبصمة الوراثية أمام القضاء كثيرة، وقد ثبت نجاحها كدليل قطعي في الإثبات، فقد ثبت للقضاء نجاحها في إثبات النسب ونفيه وإلحاق الجرائم بمرتكبيها، والتعرف على الجثث ولو طال أجل دفنها.

أولاً: تطبيقات على إثبات النسب ونفيه بواسطة البصمة الوراثية:

1. قضية عرضت على القضاء في الخرطوم حول إثبات نسب فتاة عمرها سبعة عشر عاماً، والمدعي زوج والدتها الذي تزوج والدتها قبل عام 1980م وغاب عن زوجته فطلقت المحكمة عنه غيباً

عام 1985م، فلما وجد أن زوجته السابقة قد تزوجت من غيره، فطالب بالبنت مدعياً أبوتها، عرض على القضاء وتحليل البصمة الوراثية، تبين أنه ليس للمدعي علاقة بالفتاة فحكمت المحكمة برفض طلبه وبعدم أبوة البنت⁽⁹¹⁾.

2. ما ادعته امرأة في الإمارات العربية المتحدة من أنها أنجبت طفلاً غير شرعي قبل خمس سنوات، وإنها أخفته عند أحد معارفها، غير أن هذا الشخص سلم الطفل لسيدة أخرى، وعند طلب الأم حضانة ابنها، أدعت السيدة الثانية بأن الطفل ابنها، وبعرض الأمر على القضاء، ومن خلال البصمة الوراثية ثبت أن الطفل يعود إلى الأم الأصلية هي الأولى، وبموجب البصمة الوراثية حكمت المحكمة⁽⁹²⁾.

3. عرضت على إحدى المحاكم في السودان أن زوجة ولدت بعد مرور خمس أشهر على عودت زوجها الذي كان مغترب، وأتهمها زوجها بالحمل غير الشرعي، واتهم أهلها شقيق الزوج بأنه المتسبب في الحمل، فأخذت عينات من الطفلة والأم وشقيق الزوج، وأثبتت العينات D.N.A أن شقيق الزوج هو والد الطفلة البيولوجي دون غيره⁽¹²⁾.

ثانياً: تطبيقات على أهمية D.N.A البصمة الوراثية في إثبات الجرائم على مرتكبها

تستخدم البصمة الوراثية كدليل لإثبات لإلحاق الأثر البيولوجي الذي يوجد في موقع جريمة معينة بصاحبة الأصلي، وذلك بتحليل الأثر والتأكد من خلال التحليل من البصمة الوراثية للأثر، ثم مقارنتها بالبصمة الوراثية للمشتبه به، لإثبات صلة المشتبه به من عدمه، ومن التطبيقات القضائية في هذا المجال:

1. وقع انفجاران بدولة المجر لا يفصل بين الانفجارين إلا أسابيع محدودة، والمسافة بين أماكن حدوث الانفجارين لا تزيد عن 30 كيلو متراً، وخلال تلك الفترة تسلم عدد من المقاولين خطابات سوداء مجهولة المرسل، وبفحص اللعاب المستعمل لإصاق الخطابات تبين أن الخطابات صادرة من شخص واحد، وبعد فحص عينات D.N.A للمشتبه بهم في التفجير ثبت أن اللعاب لعاب أحدهم، فكانت البصمة الوراثية سبباً في الاعتراف ودليلاً في الحكم⁽²²⁾.

2. فور جريمة اغتصاب لم تتمكن الصحية من معرفة المجرم بدقة، غير أنها وجدت شعرة من شعر عانته، وبفحصها ومقارنتها بالبصمة الوراثية لأحد المشبوهين أمكن التعرف على الفاعل وأدانتها قضائياً⁽³²⁾.

3. وفي الولايات المتحدة استطاعت النيابة العامة إثبات ارتكاب المجرم لجريمة عن طريق اللعاب الذي وجد في أعقاب سيجارة تركها المجرم في مسرح الجريمة، وبالقبض على المشتبه بهم قدمت سيجارة لأحدهم، وتحليل العينة تم إثبات أنه نفس الشخص الذي ترك أعقاب سيجارته في مسرح الجريمة، وكل ذلك بتحليل البصمة الوراثية، فأمكن إثبات الدليل على المجرم، ومن ثم إدانته⁽⁴²⁾.

4. وفي الولايات المتحدة أمكن التعرف على مرتكب جريمة اغتصاب أدت إلى إثبات ارتكابه ثلاثة جرائم كانت مجهولة، وذلك بمقارنة أثر له وجد على جسم الفتاة المعتصبة، فأمكن عن طريق الحمض

النووي إثبات ارتكابه الجرائم وإدانته⁽⁵²⁾.

ثالثاً: تطبيقات على أهمية البصمة الوراثية في إثبات هوية الجثث والاشلاء:

لقد أسهمت البصمة الوراثية بشكل إيجابي في تحديد هوية الجثث والأشلاء، والتفريق بينها، وتحديد هوية الضحايا في أحيانا كثيرة، فعلى سبيل المثال أمكن تحديد جثث 25 قتيلاً مصرية في انتشالهم من المحيط، بسبب سقوط الطائرة المصرية العائدة من أمريكا.

أمكن التعرف على هوية 5 جثث قتلت في أمريكا بعد أحد عشر عاماً من دفنها، أمكن كذلك التعرف على كثير من الجثث في إعصار تسوماني الشهير⁽⁶²⁾.

الفرع الثاني: ضوابط وشروط العمل بالبصمة الوراثية

من المبادئ القانونية الثابتة أنه لا دعوى بدون متهم، ولا حكم ولا إدانة دون دليل قاطع، والدليل لكي يمكن لاستناد إليه في الحكم، لا بد أن يكون نتيجة لإجراءات صحيحة وفقاً لما نص عليه القانون.

فالدليل لا يُعد دليلاً، ولا ينظر إليه إذا خالف المشروعية⁽⁷²⁾، وتنص القوانين بشكل عام على ضمانات وحقوق للمتهمين، فلا يجوز الأضرار بهم أو المساس بسلامتهم الجسدية أو العقلية، والبصمة الوراثية تحتاج إلى أخذ عينات من المتهمين، وكثير من القوانين تمنع أخذ عينات من الأشخاص دون موافقتهم ولو لأغراض علمية، فمثلاً قد نصّت المادة (226) من قانون العقوبات الفرنسي على أن «إجراء دراسة حول الخصائص الوراثية لشخص ما لأغراض طبية دون موافقته مسبقاً، يعاقب فاعله.....»⁽⁸²⁾، فوفقاً لما تقدم يمكن أن يبرز لنا أمران: الأول: شرعية الحصول على العينة من المتهم، والثاني: التأكد من نتيجة البصمة الوراثية.

أولاً: شرعية الحصول على العينة من المتهم

لكي يبني القاضي قناعته بالحكم بإدانة متهم ما أو تبرئته، لا بد أن تكون هناك أدلة واضحة جلية يحكم بمقتضاها، والأدلة التي يبني عليها حكمه لا بد أن تكون متوافقة مع ما يستلزمه القانون من إجراءات، ولكي تكون الأدلة العلمية ملزمة، لا بد أن ينص عليها القانون، مع تبيان كيفية إجراء التجارب وأخذ العينات.

وأخذ العينات في البصمة الوراثية - كما أسلفنا - قد يشكل خرقاً للضمانات والحقوق المقررة للمتهم أو المتهمين، فأخذها يتطلب الحصول على عينة من جسد المتهم أو دمه، فاقتطاع جزء ولو ضئيل من جسده، وسحب جزء ولو قليل من دمه، يُعد خرقاً لحقوقه، ومساساً بسلامته، كما أن كشف الخريطة الجينية للشخص دون إذنه، يعتبر اعتداء على سريته الشخصية وخصوصيته⁽⁹²⁾.

وقد اختلفت الآراء حول أخذ العينة من المتهم إذا رفض اعطاها برضاه على ثلاثة أوجه:

1. يرى أصحاب هذا الرأي ضرورة إيقاع عقوبة على المتهم، لإرغامه أو جبره على التعاون لأخذ عينة من جسده، وهذا الأجراء لاشك يتعارض مع المبادئ القانونية التي تحرم العقاب دون جريمة وإدانة⁽⁹³⁾.

2. الثاني ويرى أصحابه أن امتناع المتهم، وعدم تعاونه لأخذ عينة من جسده يعتبر قرينة على ارتكابه الجرم، والأمر متروك لقناعه القاضي⁽¹³⁾.

3. الرأي الثالث وهو إكراه المتهم على المثلوث لتحليل بصمته الوراثية، وأخذ عينة من جسده أو دمه، بالقدر الذي يتطلبه التحليل، وبما لا يضر بسلامة جسد وصحة المتهم، وبشرط أن تبقى المعلومات الناتجة عن التحليل أو الاختبار الجيني في سرية مضمونة⁽²³⁾، ومع ما في إرغام المتهم على إعطاء العينة من مساس بحريته الشخصية، إلا أنه يعتبر الرأي الأقرب إلى التقبل بشرط سلامة جسد المتهم وصحته العامة، والحفاظ على سرية وخصوصيته.

ويمكن إجمال شروط شرعية الحصول على العينة من جسد المتهم بإذنه أو دون إذنه في النقاط الآتية:

1. أن يكون هناك قانون صادر بنظم كيفية أخذ العينة والعمل بها.
2. أن يتم أخذ العينة من قبل أشخاص متخصصون تخصصاً دقيقاً وممارسون.
3. أن تكون المعامل التي تؤخذ فيها العينة على قدر كبير من الكفاءة والتقدم.
4. أن تؤخذ العينة بالقدر اللازم فقط لإجراء التحليل.
5. ضمان عدم الاضرار بصحة وسلامة المتهم عند أخذ العينة.
6. المحافظة التامة على سرية نتائج التحليل وسرية البصمة الوراثية.
7. لا يتم أخذ العينة إلا بحضور محامي المتهم أو أقربائه.
8. ألا تؤخذ العينة من المتهم إلا بإذنه، أو بأمر جهة التحقيق.

ثانياً: التأكد من نتيجة تحليل البصمة الوراثية:

إن الغاية من الإثبات هي الوصول إلى اقتناع القاضي بالأدلة، وللقاضي الجنائي الحرية في تقدير ما يعرض عليه من وسائل الإثبات، فلمحكمة الموضوع السلطة المطلقة في تقدير أدلة الدعوى⁽³³⁾، ولكي تصلح نتائج البصمة الوراثية أن تكون أدلة مقنعة للقاضي لابد من شروط كثيرة أهمها:

- قانون ينظم أخذ العينة وكيف تؤخذ ومن يأخذها وشروط أخذها وغيرها.
- إيجاد معامل علمية ذات كفاءة عالية؛ لأن هذا النوع من الاختبارات معقد ودقيق ويحتاج إلى أجهزة ومواد علمية متطورة.
- ضرورة أن يجربها ويشرف عليها أشخاص متخصصون مهرة ومتمرسون.
- ضرورة وجود عينة إيجابية للمقارنة، للوصول إلى نتائج مؤكدة.
- التأكيد على جودة إجراء التحليل والدقة في تفسير النتائج.
- مراقبة العملية التجريبية الفنية التي تجرى في المختبرات.
- وضع قواعد علمية لحفظ النتائج من جينات وعينات ومعلومات.

- أن تؤخذ العينة في حضور الأطراف، حتى يتم التأكد من مصدرها أخذاً مبدأً لمواجهة.

ويضاف إلى كل ذلك أن البصمة الوراثية لها أهميتها في الإثبات، وأهميتها عائدة لجودة الفحص والكفاءة في جمع العينات⁽⁴³⁾، فيجب ألا يجرى هذا النوع من التحليل إلا متخصصون مهرة، وفي جرائم معينة يحددها الشارع، وأن تكون كل إجراءات الفحوص المخبرية، وأخذ العينات ومتابعة النتائج تحت إشراف السلطة المختصة بالتحقق، وينحصر دور الاستدلال في إحضار العينات وحفظها، وعدم التصرف فيها إلا بإذن سلطة التحقيق، لأهمية البصمة الوراثية، واعتبارها كاشفة لسر من يُجرى عليه فحصها.

الخاتمة

بعد أن تعرفنا في هذا البحث المتواضع على ماهية البصمة الوراثية وتركيبها المعملية وتعريفها العلمي والقانوني، وأهميتها في الإثبات الجنائي ومشروعيتها وحجيتها أمام القضاء وضوابط وشروط أخذ عينتها من الأشخاص، وقد تبين لنا نجاحها في إدانة كثير من المتهمين وتبرئة كثير من المظلومين، وأنها تتميز بطابع التأكيد في الإثبات ولا تفتح باب الاحتمالات، وثبت مصداقيتها، وظهرت أهميتها بتفوقها على كثير من الأدلة العلمية التقليدية في الإثبات، كتحليل الدم أو أخذ بصمة اليد أو العين مثلاً. وبعد التأكد من صحتها العلمية بكثير من البحوث المعملية والمخبرية حتى أمكن القول أن البصمة الوراثية دليل إثبات قاطع؛ ولأنها تتميز بمزايا جعلتها دليلاً مفيداً للقاضي في تكوين قناعته وعاملاً مسرعاً لإصدار الأحكام ومن هذه المزايا:

- دقتها العالية في تحديد هوية صاحب الأثر البيولوجي وتفريقها بين فرد وآخر، ولا تتشابه إلا في النوائم المتماثلة الناتجة عن بويضة واحد.
- أن تحديد البصمة الوراثية لا يحتاج إلا إلى عينة قليلة كشعرة أو عينة بسيطة من جلد أو لعاب أو أثر من منى.
- أن البصمة الوراثية لا يبلها الزمن ولا المتغيرات الجوية، فهذه المزايا وغيرها تجعلها صالحة لأن تكون دليلاً جنائياً.

أولاً- النتائج:

- لقد ثبت من خلال هذا البحث المختصر أن البصمة الوراثية أو الحبض النووي (D. N. A) قادرة على تحديد صاحب الأثر البيولوجي، وأن لها أهمية كبيرة في تحديد هوية ونسب الأشخاص وإلحاق كثير من الجرائم بمركبيها، فهي أداة إثبات هامة في نظر القضاء، وذلك في مجال تحقيق شخصية الفرد لما تتميز به من الثبات.
- أن العمل بالبصمة الوراثية ساهم في تسريع أحكام القضاء، فقد كانت القضايا تأخذ وقتاً طويلاً للوصول للفاعل أو تحديد النسب، فكانت القضايا تتراكم والبث في الأحكام يتأخر.
- أن أخذ العينات من المتهمين لا يؤثر على سلامتهم ولا على صحتهم العامة؛ وذلك لأن العينات التي تؤخذ منهم للتحليل ضئيلة وقليلة.

ثانياً- التوصيات:

أن العمل بالصمة الوراثية كدليل إثبات قد سبقت إليه كثير من الدول العربية والأجنبية، وساهم في تجلية كثير من الغموض الذي كان يلف كثير من القضايا، وساعد كثيراً من القضاة في إصدار الأحكام، ونظراً لكل ما للبصمة الوراثية من مزايا وقدرة على الإثبات؛ ولأن الدولة الليبية قد استعانت بها لجمع عينات الحمض النووي، للتعرف على الجثث بعد ثورة فبراير، لهذه الأسباب فإننا نهيب بالمشرع الليبي أن يصدر قانوناً ينص على اعتبار البصمة الوراثية أو الحمض النووي (D. N. A)، دليلاً جنائياً قاطعاً وينظم في هذا القانون، كل الشروط الواجب اتخاذها للتأكد من صحة التحليل ودقة النتائج، والحفاظ على حقوق المتهمين، وحرمة خصوصيتهم، وتحديد الجرائم التي يؤذن فيها أخذ عينات البصمة الوراثية، والنص على الكيفية التي تؤخذ بها، ليكون اتخاذها مشروعاً، ونقترح أن يتضمن هذا القانون الشروط الآتية:

أولاً شروط يجب تحققها في المعامل والمختبرات ومن يعملون فيها:

- أن تنشأ معامل ومختبرات لفحص العينات وتحليلها تكون على قدر كبير من الكفاءة والتقدم.
 - تكون تبعية هذه المعامل والمختبرات تابعة لوزارة العدل.
 - أن يكون العاملون بهذه المختبرات والمعامل فنيين متخصصين تلقوا تعليماً عالياً متخصصاً.
 - وضع قواعد علمية وفنية لحفظ العينات والمعلومات.
 - أن يؤدي من يأخذ العينات ومن يفحصها ومن يحدد النتائج قسماً قانونياً أمام القضاء.
- ### ثانياً- شروط من يأخذ العينة من المتهم وكيفية أخذها:
- لا يسمح بأخذ العينة من المتهم إلا لأشخاص مكلفون قانوناً بذلك ومتخصصين علمياً في اتخاذها.
 - تؤخذ العينة بالقدر اللازم فقط لإجراء التحليل.
 - ضمان عدم الإضرار بصحة وسلامة من تؤخذ منه العينة أو تجري عليه التحاليل.
 - المحافظة التامة على سرية نتائج التحليل والاختبار.
 - لا يتم أخذ العينة من المتهم إلا بحضور الأطراف، حفاظاً على مبدأ المواجهة وفي حضور محامي المتهم، ولا تستخدم نتائج التحليل إلا في الغرض الذي أخذت من أجله، وهي القضية المعروضة أمام القضاء.
 - لا تؤخذ العينة إلا بإذن الشخص الرشيد أو ولي القاصر أو بأمر جهة التحقيق.
 - وفي كل الأحوال في القضايا المعروضة على القضاء يكون أخذ العينة وفحصها، والتأكد من نتائجها تحت إشراف ومراقبة جهة التحقيق القضائي.

- لا يتم تحليل البصمة الوراثية للمتهمين مطلقاً إلا بأمر جهة التحقيق القضائي.

الهوامش

- 1- د. شريف الطياخ وآخرون، موسوعة الفقه والقضاء في الطب الشرعي، جزء(1)، طبعة المركز الثقافي القومي للإصدارات القانونية، مصر، ص28.
- 2- د. عبد الفتاح عبد الله القماطي، البحث الجنائي بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2010م، ص98.
- 3- المحامي ياسر جبور، بحث منشور بالإنترنت Book Com Yasse Jbour D.N.A 6455260283467
- 4- د. منصور عمر المعايطه، الطب الشرعي في خدمة الأمن والفضاء، جامعة نائف للعلوم الأمنية، الرياض، 2007م، ص227.
- 5- د. مصطفى محمد الدغدي، التحريات والإثبات الجنائي، دار الكتب القانونية، المحلة الكبرى، مصر، 2006م، ص24.
- 6- المحامي ياسر جبور، بحث منشور، مرجع سابق، ص2.
- 7- أ. سامي سعد الميهوب، مشروعية الإثبات الجنائي بالوسائل العلمية الحديثة، رسالة ماجستير، الأكاديمية الليبية، بنغازي، 2012م، ص57.
- 8- د. فؤاد عبد المنعم أحمد، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات الجنائي بين الشريعة والقانون، شبكة الالوية، بحث منشور، 2012م، ص13.
- 9- د. شريف الطياخ وآخرون، مرجع سابق، ص26-27؛ انظر سعد الدين هلاي، البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية ومدى حجيتها في الإثبات، القاهرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ص35.
- 10- د. محسن العبودي، المؤتمر الأول لعلوم الأدلة الجنائية الطب الشرعي، أكاديمية نايف، الرياض، ص17، 2007م.
- 11- د. صالح يحي رزق، سلطة القاضي الجنائي في تقدير أدلة الإثبات الحديثة، دراسة مقارنة، المركز الوطني للمعلومات، اليمن، دليل الأبحاث والدراسات الجامعية، 2012م، ص8. انظر تعريف ندوة الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري للمنظمات الإسلامية للعلوم الطبية.
- 12- د. محمود عبد العزيز محمد، التحريات ومصدر الجريمة، دار الكتب القانونية، ط1، مصر، بدون تاريخ، ص42.
- 13- د. فؤاد عبد المنعم أحمد، المرجع السابق، ص12.

- 14- د. عبد الفتاح مراد، التحقيق الجنائي الفني، ط1، بدون سنة نشر، مصر، دار الكتب القانونية، ص276.
- 15- د. عمر محمد السبيل، البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها استخدامها في النسب الجنائية، ط1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، 2002م، ص79.
- 16- د. خليفة على الكعبي، البصمة الوراثية وأثرها على الأحكام الفقهية، ط1، دار النفاس للنشر، الأردن، 2006م، ص49، كذلك الدكتور سعد الدين مسعد هلال، البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 2010م، ص242.
- 17- أمال عبدالرحمن يوسف حسن، الأدلة العلمية الحديثة ودورها في الإثبات الجنائي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، 2011-2012، ص63.
- 18- د. منصور عمر المعاينة، المرجع السابق، جامعة نائف العربية للعلوم المنية، الرياض، 2007م، ص231.
- 19- أ. سامي سعد الميهوب، المرجع السابق، ص59.
- 20- د. خالد حمد محمد الحمادي، الثورة البيولوجية ودورها في الكشف عن الجريمة، ط1، 2005م، ص103.
- 21- أ. سامي سعد الميهوب، المرجع السابق، ص59.
- 22- د. محسن العبودي، المؤتمر الأول لعلوم الأدلة الجنائية الطب الشرعي، اكاديمية ناسف، الرياض، ص18، 2007م.
- 23- د. فؤاد صالح، البصمات الوراثية في القضايا الجزائية، مجلة الجامعة وشعبة العلوم الاقتصادية والقانونية، العدد 23، 2007م، ص292.
- 24- د. فؤاد الصالح، المرجع السابق، ص292، وكذلك أ. سامي الميهوب، مرجع سابق، ص62.
- 25- د. عبد الباسط الجميل، بيوتكنولوجيا الجريمة نظرة بيولوجية وتقنية للكشف عن الجريمة، ج5، مكتبة الفضيل، 2009م، ص66.
- 26- أ. سامي الميهوب، المرجع السابق، ص69.
- 27- د. جميل عبد القادر الصغير، القانون الجنائي والتكنولوجيا الحديث، دار النهضة العربية، 2002م، ص69.
- 28- أ. نافع تكليف العماري، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات الجنائي، رسالة ماجستير، العراق، 2009م، ص36.
- 29- نافع تكليف العماري، المرجع السابق، ص45.
- 30- نافع تكليف العماري، مرجع سابق، ص45.

31- أ. سامي الميهوب، مرجع سابق، ص76.

32- د. جميل عبد الباقي الصغير، مرجع سابق، ص78.

33- د. محمد الجازوي، الإجراءات الجنائية، الدار الجماهيرية للنشر والأعلام، بنغازي، ط1، 1995م، ص217.

34- د. موسى أرحومة، بحث بعنوان مدى قبول البصمة الوراثية في الإثبات الجنائي، مقدم إلى المؤتمر الوطني السادس للتقنيات الحيوية، مصراته، 2001م، ص15.

قائمة المراجع

أولاً- الكتب:

- (1) د. جميل عبد القادر الصغير، القانون الجنائي والتكنولوجيا الحديث، دار النهضة العربية، 2002م .
- (2) د. خالد حمد محمد الحمادي، الثورة البيولوجية ودورها في الكشف عن الجريمة، ط1، 2005م .
- (3) د. خليفة على الكعبي، البصمة الوراثية وأثرها على الأحكام الفقهية، ط1، دار النفاس للنشر، الأردن، 2006م .
- (4) د. سعد الدين مسعد هلال، البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 2010م .
- (5) د. شريف الطياخ وآخرون، موسوعة الفقه والقضاء في الطب الشرعي، جزء(1)، طبعة المركز الثقافي القومي للإصدارات القانونية، مصر.
- (6) د. صالح يحيى رزق، سلطة القاضي الجنائي في تقدير أدلة الإثبات الحديثة، دراسة مقارنة، المركز الوطني للمعلومات، اليمن، دليل الأبحاث والدراسات الجامعية، 2012م.
- (7) د. عبد الفتاح عبد الله القماطي، البحث الجنائي بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2010م .
- (8) د. عبد الفتاح مراد، التحقيق الجنائي الفني، ط1، بدون سنة نشر، مصر، دار الكتب القانونية .
- (9) د. عبد الباسط الجميل، بيوتكنولوجيا الجريمة نظرة بيولوجية وتقنية للكشف عن الجريمة، ج5، مكتبة الفضيل، 2009م .
- (10) د. عمر محمد السبيل، البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها استخدامها في النسب الجنائية، ط1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، 2002م .
- (11) د. محمد الجازي، الإجراءات الجنائية، الدار الجماهيرية للنشر والإعلام، بنغازي، ط1، 1995م .
- (12) د. محمود عبد العزيز محمد، التحريات ومصدر الجريمة، دار الكتب القانونية، ط1، مصر، بدون تاريخ .
- (13) د. مصطفى محمد الدغدي، التحريات والإثبات الجنائي، دار الكتب القانونية، المحلة الكبرى، مصر، 2006م .
- (14) د. منصور عمر المعاينة، الطب الشرعي في خدمة الأمن والفناء، جامعة نائف للعلوم الأمنية، الرياض، 2007م .

ثانياً- الرسائل العلمية:

- (1) آمال عبدالرحمن يوسف حسن، الأدلة العلمية الحديثة ودورها في الإثبات الجنائي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق جامعة الشرق الأوسط، 2011-2012.
- (2) أ. سامي سعد الميهوب، مشروعية الإثبات الجنائي بالوسائل العلمية الحديثة، رسالة ماجستير، الأكاديمية الليبية، بنغازي، 2012 م .
- (3)أ. نافع تكليف العماري، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات الجنائي، رسالة ماجستير، العراق، 2009 م .

ثالثاً- البحوث العلمية:

- (1) د. فؤاد عبدالمنعم أحمد، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات الجنائي بين الشريعة والقانون، شبكة الالوية، بحث منشور، 2012 م .
- (2) د. فؤاد صالح، البصمات الوراثية في القضايا الجزائية، مجلة الجامعة وشعبة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 23، العدد الأول، دمشق، 2007 م .
- (3) د. محسن العبودي، المؤتمر الأول لعلوم الأدلة الجنائية الطب الشرعي، أكاديمية ناسف، الرياض، 2007 م.
- (4) د. موسى أرحومة، بحث بعنوان مدى قبول البصمة الوراثية في الإثبات الجنائي، مقدم إلى المؤتمر الوطني السادس للتقنيات الحيوية، مصراته، 2001 م .
- (5) المحامي ياسر جبور، بحث منشور بالإنترنت Book Com Yasse Jbour D.N.A 6455260283467 .

عملات روما خلال العصر الجمهوري

د. محمد مفتاح فضيل

جامعة عمر المختار

ملخص البحث

مازال موضوع تحديد تاريخ دقيق لسك العملة الرومانية في مدينة روما محل جدال، والأبحاث الحديثة التي أجريت لم تعثر على أدلة كافية تؤكد سك العملة في مدينة روما خلال العصر الملكي، وكل ما عثر عليه يشير إلى استخدام روما في بداية العصر الجمهوري لعملات من كمبانيا والمدن الإغريقية في جنوب إيطاليا. وخلال العصر الجمهوري بدأت روما في سك عملاتها متأثرة بجيرانها في شمال وجنوب إيطاليا.

انطلق الباحث من بعض إشارات الكتاب الكلاسيكيين والمختصين بموضوع العملة الرومانية، التي ذكروا فيها أن مدينة روما لم تعرف فن سك العملة والتعامل بها إلا بعد القرن الثالث قبل الميلاد، على الرغم من سكها في شمال وجنوب إيطاليا خلال القرن الخامس والرابع قبل الميلاد. وأن مدينة روما قد استخدمت عملات جيرانها من الإغريق والأترسك، المضروبة في كمبانيا وجنوب إيطاليا، بالإضافة إلى عدة أدلة من النقوش والكتابات والرموز الموجودة على العملات الرومانية المكتشفة في أماكن متفرقة من إيطاليا. والتي تشير إلى سك العملات الرومانية الأولى في كمبانيا وجنوب إيطاليا. وعموماً فإن سك العملة في مدينة روما قد بدأ خلال العصر الجمهوري وهذا ما أثبتته عدة أدلة من العملة البرونزية والفضية والذهبية التي عثر عليها في مدينة روما وخارجها.

Abstract

The research of identifying the exact history of Roman coinage mint in the city of Rome is still controversial, and the recent studies were conducted in this field did not find a sufficient evidence to confirm the date the coinage in Rome during the Royal Age, and all what was explored, it refers to the use of Rome at the beginning of the Republican era of the coins of the Campania and the Greek cities in southern Italy. During the Republican era, Rome began minting the coins and that also influenced by its neighbours in the north and south of Italy

The research referred to some of the classical writers and specialists on the subject of the Roman coinage mint and they stated that the manufacture of coins in the Rome culture dated back to 3rd century BC, despite its being minted in northern and southern Italy during the 5th and 4th century BC. Roman state also issued a series of coins that emulated the styles of those produced in Greek and Etruscan cities and Rome has used Greek and Etruscan the coins which minted Campania and southern Italy. In addition, several pieces of inscriptions writings or symbols of any kind have been discovered indicating to the first Roman coin in Campania and southern Italy

In general, much dating of the coinage is based on evidence from the bronze, silver and gold coins minted over time; those were struck and found in and outside Rome

مدخل الدراسة:-

تتناول هذا الدراسة موضوع البحث في الإشارات الأدبية الكلاسيكية والقرائن الأثرية عن التاريخ المفترض لبداية سك العملة في مدينة روما التي يعتقد أنها كانت منذ بداية العصر الملكي.

وفي هذا الصدد تحدثت المصادر القديمة مثل بليني وحددت بدايتها خلال العصر الجمهوري، وهذا ما أيده قطع العملة البرونزية والفضية والذهبية التي عثر عليها في أماكن متفرقة من العالم القديم.

أهداف الدراسة:-

تهدف هذه الدراسة للإشارة إلى أن مدينة روما قد استخدمت عملات مسكوكة في كمبانيا وجنوب إيطاليا، حيث توجد العديد من العملات التي ربما تساعدنا على تحديد مكان وتاريخ سكها من خلال بعض الكتابات والنقوش والرموز الموجودة عليها، بالإضافة إلى عدة أدلة من العملات التي تشير إلى تاريخ بداية سك العملة في مدينة روما.

أهمية الدراسة:-

تكمن أهمية الدراسة في الإشارة إلى تحديد تاريخ دقيق لبداية سك العملة في مدينة روما خلال العصر الجمهوري، وتحديد فئاتها وطرزها، والمعادن التي سكت منها، وأسماء المسؤولين عن سكها، والمدن التي سكت فيها.

الفرضيات والتساؤلات:-

مهما يكن من أمر فإن العملة التي استخدمت في مدينة روما لم تكن مسكوكة فيها بل سكت في كمبانيا وجنوب إيطاليا وصقلية، وأن مدينة روما لم تعرف سك العملة إلا بعد فترة من سكها في كمبانيا وجنوب إيطاليا. إلا أن الأسئلة تكمن في تحديد تاريخ دقيق لبداية سك العملة في مدينة روما، بالإضافة إلى تحديد المعدن المفضل في سك العملة الأولى في روما. وفي حقيقة الأمر إن الآراء تتفق فيما بين المؤرخين وعلماء الآثار في تحديد التاريخ الحقيقي لبداية سك العملة في مدينة روما بناء على رواية بليني.

المنهج العلمي المتبع في الدراسة:-

المنهج السردى التحليلي للنقوش والكتابات والإشارات التي وردت على العملة الرومانية خلال العصر الجمهوري التي عثر عليها في مدن حوض البحر الأبيض المتوسط لمحاولة الإشارة أو الوصول إلى تاريخ دقيق يحدد بداية سك العملة في مدينة روما، وأسماء المسؤولين عن السك وتاريخ ومكان السك.

عملات روما خلال العصر الجمهوري

سك الإنسان العملة لتساعده في الحصول على حاجاته اليومية من دون عناء أو مشقة، كما كان يحصل عند التعامل بنظام المقايضة أو تبادل سلعة مقابل سلعة أخرى ترضي كلا الطرفين التي ظهرت عيوبها وصعوباتها واضحة وجلية، من خلال بحث الإنسان عن بديل لنظام المقايضة المرهق في تلك الفترة الذي أدى بدوره إلى وجود وسيط للتعامل يعبر عن قيمة السلع والأشياء، فكانت المعادن كالبرونز والنحاس والفضة والذهب مواد لها قيمة في المعاملات بين الناس، ولعدم تزويرها ومعايرتها عند التعاملات اليومية قام التجار بختماها بعلامات تميز كل واحد منهم عن الآخر لضمان قانونيتها وتحمل مسؤوليتها.

واخترت العملة كأسلوب حضاري اقتصادي متطور لإيجاد بديل للصعوبات التي تواجه الناس فيما بين بعضهم البعض، أو في التعامل التجاري الخارجي بين الدول لكي تغنيها عن التعامل بنظام المقايضة المعقد، لذلك دمغتها هذه الدول بعلامات خاصة بها لضمان وزنها ونقائها وبالتالي تحمل مسؤوليتها القانونية⁽¹⁾

عُثر على العملة الرومانية في أغلب مناطق ودول حوض البحر الأبيض المتوسط - نظراً لسيطرة روما على هذه المدن والدويلات- في تلك الفترة من التاريخ القديم، حيث كانت هذه العملة تحمل صوراً وحرفاً وأرقاماً ورموزاً وكتابات إغريقية ولاتينية تدل على قيمتها المادية ووزنها واسم صانعها والجهة المخولة بسكها والمسؤول عنها ومكان سكها.⁽²⁾ وتقدم لنا صور ورموز وكتابات ونقوش العملة سجلاً قيماً ومفصلاً عن الأوضاع السياسية والحالة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والفنية في عصرها.⁽³⁾

هذه العملة يعول عليها الأثريون في تحديد تاريخ المحتوى الأثري، واللقي الأثرية التي توجد بجانبها من حلي وتمائيل وفخار وغيرها، ولاسيما إذا كانت هذه العملة تحمل أسماء الأباطرة الرومان وصورهم الشخصية وألقابهم وصفاتهم التي تشير في أغلب الأحيان إلى تاريخ تقلدهم لهذه المناصب، وبالتالي سهولة تحديد تاريخ صدور هذه العملة والمحتوى الذي وجدت به بدقة.

ويذكر⁽⁴⁾ Milne أن التداول بالعملة في مدينة روما يعود إلى فترة مبكرة جداً من تاريخ المدينة في العصر الملكي حيث كان يعتمد على فئات الآس رود و الآس سجناتوم. ومع ذلك لم تعرف مدينة روما فن سك العملة والتعامل بها إلا بعد القرن الثالث قبل الميلاد على الرغم من أن شمال وجنوب إيطاليا وجزيرة صقلية قد عرفوا فن سك العملة خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد متأثرين في ذلك بجيرانهم الإغريق و الاتروسك⁽⁵⁾

وبالتالي فإن كل من يقول بوجود عملة رومانية تعود للعصر الملكي يعتبر كلامه غير دقيق، وليس له دليل مادي أو أدبي حيث كانت مدينة روما تستخدم الماشية بيكوس Pecus «الثيران والأغنام» في التعامل وتحديد القيمة حتى القرن الثالث قبل الميلاد وسيلةً للتبادل التجاري، ومنها جاءت الكلمة اللاتينية بيكونيا Pecunia التي تعنى النقود أو العملة حيث كانت الأغنام والثيران تمثل وحدة التعامل والقياس الرسمي والوحيد للمقايضة في مدينة روما، وحملت على وجهها صوراً لحيوانات مثل الثيران والأغنام.⁽⁶⁾

العملة البرونزية خلال العصر الجمهوري:

عرفت مدينة روما في العصر الجمهوري معدن البرونز وكانت نسبة الرصاص فيه عالية جداً و تراوحت ما بين 12% و 29%، وكانت سبائكها تتمثل في سبيكة لونها أحمر وتتكون من (خليط من معدني النحاس والقصدير)، والأخرى سبيكة صفراء اللون وتعرف باسم الأورخالكومOrchalcum(وهي خليط من معدني النحاس والزنك)، والثالثة لونها أحمر وردي وهى من معدن النحاس الصافي.(7)

وبعد عام 450 ق م بدأت مدينة روما في استخدام قطع من البرونز غير منتظمة الشكل أو الوزن، ولم تكن هذه العملة إن جاز تسميتها بذلك تحمل أي علامة للقيمة(8) وكانت كل قطعة منها تمثل من وجهة نظرهم القيمة المساوية لرأس الماشية، وأطلق على هذه القطع البرونزية اسم « آس رود» Aes Rude أي البرونز الخشن(9) شكل (1)، وبعد فترة قليلة جداً من استخدامها في مدينة روما نقش عليها باللغة اللاتينية كلمة للدفع (10) expendere، وهو ما جعلنا نتعامل معها على أنها عملة بدائية في شكلها البسيط.

وخلال التحالف المشهور فيما بين مدينتي روما Roma و نابلي Neopoliton في الجنوب الإيطالي حوالي عام 327 ق م. قامت مدينة نابلي بسك عملة برونزية صغيرة الحجم من نوع الآس رود Aes Rude لصالح مدينة روما تحمل نقشاً باللغة الإغريقية يشير إلى مدينة روما على النحو التالي:- PΩMAION(11). استخدمت بعد ذلك قطع برونزية مصبوبة في قوالب كل قطعة منها عبارة عن قضيب مربع أو مستطيل الشكل من معدن البرونز وزن حوالي خمسة أو ستة أرطال، ويبلغ طوله حوالي قدم،(12) ويعرف باسم « آس سجنانوم Aes Signatum» شكل (2)، أي البرونز الذي يحمل علامة أو رسمه أو صورة، حيث كان بمثابة مرحلة وسيطة تمثل نقلة حضارية متطورة في مجال العملة الرومانية من استخدام الآس رود إلى الآس جريف، وربما أول ما عُرف هذا النوع من العملة في مدينة روما في العصر الملكي.(13)

وقدرت قيمة الآس سجنانوم Aes Signatum ووزنه على أساس الرطل الروماني Libra الذي يعادل 327,45 جراماً،(14) ويحمل صورة لثور أو جواد أو ماشية أو فيل للإشارة إلى عملية التبادل التجاري بنظام المقايضة بالحيوانات، أما سمكه فغير معروف، ولا نعرف ما إذا كانت هذه العملة رسمية، أم غير رسمية، لكنه لما كانت غير محددة القيمة فمن المستبعد أنها كان عملة بالمعنى الصحيح حيث كانت تحمل على وجهها صور ورسومات ذات رمزية معينة أو مدلول تاريخي أو واقعي أو ديني على النحو التالي:-

1- ثور Bull على الوجه والظهر إشارة إلى الاستخدام البدائي للماشية وسيطاً في المعاملات التجارية. خاصة، وأن كلمة عملة أو نقود في اللغة اللاتينية هي بيكونيا Pecunia المشتقة من كلمة بيكوس Pecus التي تعني ماشية.(15)

2- ترس Shield على الوجه والظهر.

3- الوجه يحمل صورة طائر النسر يقبض على صاعقة مخابلهEagle on Thunderbolt إشارة إلى المعبود جوبيتر

Jupiter بينما يحمل الظهر صورة حسان مجنح Pegasus إشارة إلى معبود البحار الروماني نبتون Neptune⁽¹⁶⁾ وما ينسبها إلى مدينة روما هو وجود الكلمة اللاتينية رومانوم ROMANOM على وجهها. (شكل 3)

4- الوجه يحمل صورة فيل Elephant للإشارة إلى بيهوس Pyrrhus طاغية إيروس Epirus⁽¹⁸⁾ الذي قام بغزو إيطاليا بالفيلة، بينما يحمل الظهر صورة أنثى الخنزير Pig للإشارة إلى معركة بنفنتوم Beneventam⁽¹⁹⁾ التي انهزمت فيها الفيلة بسبب رائحة أنثى الخنازير الكريهة عام 274 م. (شكل 4)

5- الوجه يحمل صورة سيف Sword، بينما يحمل الظهر صورة جراب السيف Scabbard⁽²⁰⁾، للإشارة إلى الانتصار والشجاعة في المعارك الحربية.

6- الوجه يحمل صورة كرسي المعبود أبوللو الثلاثي القوائم Tripod، للإشارة إلى عبادة أبوللو في هذه المدينة، بينما يحمل الظهر صورة مرساة Anchor⁽²¹⁾ للإشارة إلى رسو السفن في الموانئ الرومانية بأمان وإشارة إلى ازدهار الحركة التجارية. (شكل 5)

7- الوجه يحمل صورة لرمح ثلاثي الرؤوس Trident، بينما يحمل الظهر صورة صولجان أو عصا الكادوكيوس Caduceus المجنحة تلتف حولها الحيتان، رمز المعبود ميركوريوس Mercurius. (شكل 6)

8- الوجه يحمل صورة لرمح ثلاثي الرؤوس Trident، بينما يحمل الظهر صورة دلافين Dolphins. (22)

9- الوجه يحمل صورة ديكة Cocks، بينما الظهر يحمل صور لنجوم Stars⁽²³⁾ للإشارة إلى عبادة المعبود جوبيتر وأبنائه الديوسكوري Dioscuri.

وفي منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، استخدمت مدينة روما عملة برونزية أخرى مصبوبة ومستديرة الشكل ومحدبة وغير مستوية أطلقت عليها اسم «آس جريف» Aes Grave، أي البرونز الثقيل، ويعتبر أهم عملة برونزية تم استخدامها بكثرة داخل مدينة روما، حيث سكت منها كسور مختلفة الأوزان والرسوم والأشكال، وكانت لها فئات عديدة سكت على معيار الرطل الروماني Libra، وهو ما يعادل 12 أوقية Unica أي 327,45 جراماً. (24)

وفي هذا الصدد يذكر Bernhart⁽²⁵⁾ وجود نوعين من الرطل الروماني، وهما الرطل الروماني الثقيل وهو ما يعادل 327,45 جراماً، والرطل الروماني الخفيف وهو ما يعادل 272,88 جراماً. حيث استخدمت العملة في مدينة روما على أساس الرطل الروماني الثقيل، وأمكن التعرف على الآس جريف من خلال علامات القيمة المسجلة عليه، في شكل رموز أو حروف إغريقية أو لاتينية تشير إلى وزن كل قطعة. إضافة لتمييز كل فئة منه بطرز معينة. (26) حيث سكت هذه العملة خلال القرن الخامس قبل الميلاد في كل من كمبانيا وإقليم اتورنيا وجنوب إيطاليا وجزيرة صقلية وفي التاريخ نفسه سكت في مدينة روما ولكن بوزن أقل من ذلك بكثير. (27)

والجدير بالذكر أن فئات الآس جريف Aes Grave المتداولة في مدينة روما ظهرت في عدة طرز وعلامات

مختلفة على النحو التالي(28):-

العلامة	الوزن	الفئة
I	(رطل روماني 327,45 جراماً)	الآس AS
Unciae	أوقية	12
S أو	(نصف رطل)	السيمس Semis
		6أوقياتUnciae
	(ثلث رطل)....	الترينس Triens
		4أوقياتUnciae
	(ربع رطل)...	الكوادرانس Quadrans
		3أوقياتUnciae
	(سدس رطل) ..	السيكستانس Sextans
		2أوقيتينUnciae
	(أوقية أو رطل 27,29 جراماً 1:12).	الأونكيا Uncial
		أوقية واحدة Uncia

نصف الأونيك Semunica (نصف أوقية) Σ بشكل صحيح أو معكوس

صور على وجه وظهر كل الفئات السالفة الذكر صورة المعبود يانوس و ميركوري، و مارس و رأس أنثى، وصاعقة المعبود جوبيتر و دولفين، وحبوب الذرة، ويد مفتوحة، وصدقة، وعصا الكادوتشي رمز المعبود ميركوري، وثمره شجر البلوط مع حرف سيجما Σ بشكل صحيح أو معكوس.(29) إضافة إلى استخدام بعض الفئات البرونزية الأخرى من الآس جريف المضاعف الذي يحمل رمز القيمة على وجهه مثل II أو III أو X، لتسهيل عملية التجارة مع المدن الإغريقية الأخرى في جنوب إيطاليا، لذلك لم نجده يحمل كلمة رومانو Romano أو اسم مكان السك في روما-Ro ma، وتمثلت هذه الإصدارات في الدوبونديوس Dupondius II، و التريسيس III Tressis، والديكوسيس Decussis X،(30) ويعتقد أن كل الفئات التي سبق ذكرها كانت قد سكّت في كمبانيا.

سكت مدينة روما قبل نهاية النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد فئة جديدة من نوع الآس جريف تزن 267 جرام تقريباً، في محاولة لتقليد الآس المضروب في كمبانيا وجنوب إيطاليا، حمل وجهه صورة مشابهة لتلك التي يحملها ظهره، إلا أن هذه الصور تختلف من حيث الاتجاه فكانت صور الوجه تتجه نحو اليمين بينما تتجه صور الظهر نحو اليسار على كل من الآس و السيمس و الترينس و الكوادرانس و الأونكيا و نصف الأونكيا وتمثل هذه الصور في المعبود أبوللو، والحصان المجنح بيجاسوس، ورأس حصان، و خنزير يعدو، ورجل يرتدي قبعة. بعد فترة قليلة من سك العملة في مدينة روما، اختفت كل هذه الفئات التي تم سكها في كمبانيا وجنوب إيطاليا، وظهرت إصدارات جديدة من فئة الآس جريف تزن 289,88 جراماً، سكت في مدينة روما، تحمل على ظهرها صورة لمقدمة مركب بحري Rostrum رمزاً تجارياً لمدينة روما، بينما حمل وجه هذه الفئات الجديدة صوراً متعددة إلى جانب علامة تحديد القيمة حسب قيمة وحجم كل فئة،⁽³¹⁾ فحمل الآس رأس المعبود يانوس، و السيمس رأس المعبود جوبيتر، و الترينس رأس المعبودة منيرفا، و الكوادرانس رأس هيراكليس، و السكستانس رأس ميركوريوس، و الأونكيا رأس بلونا أو روما،⁽³²⁾ واستمرار طراز مقدمة السفينة في التداول لفترة طويلة أدى إلى ظهور العديد من التطورات على وزنه و زخارفه و كتاباته وطريقة سكه خلال فترات متلاحقة. شكل (7)

توقف سك كل فئات العملة البرونزية في مدينة روما حوالي عام 160,110 ق.م باستثناء الكسور والفئات البرونزية الصغيرة، وفي عام 89 ق.م خُفض وزن الآس إلى نصف أوقية، ومنذ عام 86 ق.م، سكت العملة بشكل متقطع إلى أن توقفت تماماً عام 15 ق.م. ولم تسك إلا مع بداية العصر الإمبراطورية.⁽³³⁾ أصدر مجلس الشيوخ الروماني قراراً يقضي بسك عملة برونزية في عام 15 ق م تحتوي على مجموعة من الفئات والكسور ذات معيار يختلف عن المعيار السابق وتحمل إشارة لمجلس الشيوخ على النحو التالي:- SC، أي صدر بموجب قرار من مجلس الشيوخ الروماني، وكانت هذه الفئات والكسور تتمثل في الفئات التالية: السسترتيوس يعادل أربعة آسات، والدوبونديوس يعادل آسين، والآس، و السيمس يعادل نصف الآس، و الكوادرانس يعادل ربع الآس.⁽³⁴⁾

وبتدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية للإمبراطورية الرومانية خلال القرون الأولى للميلاد، ومع استمرار عملية التضخم الاقتصادي للإمبراطورية، نلاحظ تراجع لكل الإصدارات النقدية الصغيرة القيمة، وبقاء فئة السسترتيوس الكبير الحجم متداولاً في كل أرجاء الامبراطورية الرومانية، والذي نراه قد اختفى هو الآخر مع إصلاحات الامبراطور دقلديانوس النقدية عام 296 ميلادية ليحل محله إصدار جديد عرف باسم الفوليس.⁽³⁵⁾

العملة الفضية خلال العصر الجمهوري:

وجدت الفضة بكثرة في إقليم كمبانيا عند الاستيلاء على تارنتوم من قبل الرومان وهزيمتهم لبيرهوس Pyrrhus عام 272 ق.م،⁽³⁶⁾ واكتسب معدن الفضة قيمة عالية خلال هذا العصر، ووصلت نسبة النحاس إلى الفضة في العملة الفضية العسكرية حوالي 20%، ما لبثت أن تدهورت في نهاية القرن الثالث الميلادي، وأصبحت عبارة عن عملة برونزية تغطيها طبقة رقيقة جداً من معدن الفضة⁽³⁷⁾ حيث كانت العملة الرومانية منذ بدايتها تصنع عن طريق الصب، ولم تعرف عملية ضرب العملة في إيطاليا إلا بعد عام 178 ق.م.⁽³⁸⁾

استخدم الرومان منذ حوالي عام 280 ق.م. في معاملاتهم الخارجية شأنهم شأن الشعوب التجارية الأخرى العملة الفضية التي كانت صورة أخرى للعملة الفضية الإغريقية المضروبة في المستعمرات الإغريقية في جنوب إيطاليا، فكانت عملة إغريقية في فنتها، وصناعتها، وأسلوبها، ومستواها. واستمر استخدامها جنباً إلى جنب مع العملة البرونزية في مدينة روما وخارجها، وكانت هذه العملة من فئة الدرراخمة Didrachma (الدرراخمتين) وتزن حوالي 7.5 جراماً، ومضروبة في كمابيا وتحمل اسم روما، وأطلق عليها اسم العملة الرومانية الكمابانية.⁽³⁹⁾ ظهرت فئات الدرراخمة Didrachma المتداولة في مدينة روما ظهرت في أربعة طرز مختلفة على النحو التالي:-

الفئة الأولى: صور على وجهها رأس المعبود مارس الملتحي باتجاه اليسار، بينما حمل ظهرها رأس حصان باتجاه مخالف للوجه نحو اليمين وخلفه سنبله قمح، ربما تشير للمسؤول عن سك العملة، مع وجود نقش باللغة اللاتينية يشير لكلمة رومانو ROMANO.⁽⁴⁰⁾ شكل (8).

الفئة الثانية: صور على وجهها رأس المعبود ابولو متوجاً بإكليل من الغار ومتجهاً نحو اليسار، أمامه نقش باللغة اللاتينية يشير لكلمة رومانو ROMANO، بينما حمل ظهرها حصان يعدو باتجاه اليمين وخلف رأسه نجمة مشعة. (41) شكل (9).

الفئة الثالثة: صور على وجهها رأس هيراكليس متجهاً نحو اليمين مكللاً بالغار، بينما ظهرها يحمل الذئبة والتوأمن تقف على خط مستقيم باتجاه اليمين، وتحت الخط نقش باللغة اللاتينية يشير لكلمة رومانو-ROMA NO، في إشارة إلى تأسيس مدينة روما عام 753 ق.م.⁽⁴²⁾ شكل (10).

الفئة الرابعة: صور على وجهها رأس المعبود روما باتجاه اليمين، بينما ظهرها يحمل صورة معبودة النصر الرومانية فيكتوريا باتجاه اليمين هي الأخرى، وتمسك بيدها اليمنى سعف نخيل، في يدها اليسرى إكليل من الغار للإشارة إلى النصر، وخلفها نقش باللغة اللاتينية يشير لكلمة رومانو-ROMANO مع وجود حروف إغريقية يصعب تحديد الغاية التي دعت الصانع إلى وضعها على فئات الدرراخمة Didrachma مثل، A, ωA, B, AA، شكل (11). (43)

ومن الملاحظ على الفئات الأربعة السالفة الذكر هو توحدتها في ظهور النقش اللاتيني الذي يشير إلى مدينة روما ROMANO على ظهرها، واختلافها في اتجاه الصور على الوجه والظهر.

خُفض وزن الدرراخمة Didrachma الفضية في روما حوالي عام 235 قبل الميلاد إلى 6.8 جراماً، واستبدل النقش اللاتيني رومانو ROMANO بالنقش الجديد روما.⁽⁴⁴⁾ (ROMA) وأصدرت منه فئات جديدة من الدرراخمة Didrachma الفضية بالوزن الجديد بنفس الأسلوب والطرز الإغريقية، كانت الغاية منها أن تحل محل الأس جريف البرونزي الكبير الحجم، غير المناسب في التعاملات التجارية الخارجية، ظهرت في ثلاثة طرز مختلفة على النحو التالي:-

الفئة الأولى: يحمل وجهها أيضاً رأس معبود الحرب الروماني مارس باتجاه اليمين، بينما يحمل ظهرها حصان

يقف بأرجله الخلفية على خط مستقيم وأرجله الأمامية مرفوعة إلى أعلى باتجاه اليمين وفوقه هراوة، وتحتة النقش اللاتيني الذي يشير إلى مدينة روما على النحو التالي: (45) ROMA. شكل (12).

الفئة الثانية: وجهها يحمل رأس معبود الحرب الروماني مارس باتجاه اليمين، بينما يحمل ظهرها رأس حصان باتجاه اليمين، وشعره متطاير في الهواء، وكأنه في حالة مسير، وتحتة النقش اللاتيني الذي يشير إلى مدينة روما على النحو التالي: (46) ROMA. شكل (13).

الفئة الثالثة: وجهها يحمل رأس معبود الشباب، والموسيقي الروماني أبوللو باتجاه اليمين، ورأسه مكللة بالغار، وشعره الطويل ينسدل على رقبته من الخلف، بينما يحمل ظهرها حصان يقف بأرجله الخلفية على خط مستقيم وأرجله الأمامية مرفوعة إلى أعلى باتجاه اليسار، وفوقه النقش اللاتيني الذي يشير إلى مدينة روما على النحو التالي: (47) ROMA. شكل (14).

ومن الملاحظ على الفئات الثلاثة السابقة الذكر هو توحيدها في ظهور النقش اللاتيني الذي يشير إلى مدينة روما ROMA على ظهرها، وتتفق الفئتان الأولى، والثانية في اتجاه الصور، بينما تختلف عنهما الفئة الثالثة التي لم تكن صورها بالاتجاه نفسه على القطعة نفسها.

الجدير بالذكر أنه قبل بداية الحرب البونية الثانية حوالي عام 222 ق.م. خُفض وزن الدرأخمة Didrachma الفضية في روما إلى 6 جرام، وسكت منه فئة جديدة عرفت باسم كوادريجاتوس Quadrigatus، نسبة إلى العربة التي تجرها أربعة خيول، صور على وجهها الرأس المزودج للمعبود يانوس الصغير، بينما حمل ظهرها المعبود جوبيتر ركباً عربة تجرها أربعة خيول، ممسكاً بالصاعقة في يده اليمنى المرفوعة إلى أعلى، ويشد اللجام بيده اليسرى الممدودة نحو الأمام، وتحت العربة نقش باللغة اللاتينية يشير إلى مدينة روما على النحو التالي: ROMA. شكل (15) (48).

وأثناء الحرب البونية الثانية حوالي عام 216 ق.م. خفض وزن الدرأخمة Didrachma الفضية في روما إلى 3.4 جراماً، وأصبحت تعادل درأخمة فضية واحدة فقط، عرفت باسم فيكتورياتوس Victoriatus. واختفت الكوادريجاتوس Quadrigatus من التعامل في السوق الرومانية. وصور على وجهها رأس المعبود جوبيتر، بينما حمل ظهرها معبودة النصر الرومانية فيكتوريا تقف على خط مستقيم وهي تضع إكليل الغار على مجسم الحرب الروماني Trophy في إشارة للنصر في الحرب البونية الثانية، وتحت الخط نشاهد النقش اللاتيني الذي يشير إلى مدينة روما على النحو التالي: ROMA. وكانت هذه العملة إلى جانب مدينة روما تسك في مدينة متابونتوم، وكوروكيرا، وكروتون، ونولا، ولوكيريا، وغيرها. (49) شكل (16).

وحوالي عام 211 / 177 ق.م. خفض وزن الفيكتورياتوس Victoriatus إلى 2.8 جراماً ثم أصبح وزنها 2.3 جراماً، وظهرت إلى جانبها عملة جديدة في جنوب إيطاليا عرفت باسم الديناريوس Denarius. وكانت تتألف من ثلاثة فئات تختلف عن بعضها في الوزن والشكل على النحو التالي (50):-

الفئة الأولى: عرفت باسم الديناريوس الروماني Denarius، وتزن حوالي 4.5 جراماً (51) ويعادل عشرة آسات لذلك يرمز له بالرقم اللاتيني x الذي يشير إلى رقم عشرة على الوجه، وهذا الديناريوس لم يظهر قبل عام 187 ق.م. (52) صور على وجهه رأس المعبودة روما أو بلونا باتجاه اليسار، وخلفها الرقم اللاتيني x، بينما صور على ظهره باتجاه

اليسار الديوسكوري (كاستور و بولوكس) أبناء المعبود جوبيتر، الذين انقذوا روما في معركة بحيرة ريجيلوس،⁽⁵³⁾ يرتديان زيهما العسكري، ويحملان الرماح، ويمتطيان جوادين يقفان على أرجلهما الخلفية فوق خط مستقيم، بينما الأرجل الأمامية مرفوعة إلى أعلى نحو الأمام في إشارة إلى عملية المسير، ويعلو كل واحد منهما نجمة مشعة، وتحت الخط المستقيم يوجد نقش لاتيني يشير إلى مدينة روما على النحو التالي: ROMA. وحوالي عام 180 ق.م. شكل (17). استبدلت صورة كاستور وبولوكس على بعض الدنانير الرومانية بصورة هيراكليس أو معبودة الجمال الرومانية فينوس يقودان عربة يجرها جوادان Biga.

وفي الفترة ما بين عامي 122-133 ق.م. خفض وزن الآس إلى أوقية واحدة فقط، وأصبح وزنه ستة عشر آس بدلاً من عشرة آسات، واستبدل الرقم اللاتيني X بالرقم اللاتيني XVI الذي يشير إلى القيمة الجديدة للدينار وهي ستة عشر آساً.⁽⁵⁴⁾

وظهرت على بعض الدنانير الرومانية علامة X تتوسطها علامة أفقية على هيئة خط مستقيم يشبه الشرطة (—) يقسمها إلى جزء علوي وآخر سفلي، واستمر ضرب الديناريوس بعلامة X من دون خط أفقي في مدينة روما. اختفت هذه العلامات بعد عام 76 ق.م.⁽⁵⁵⁾

وخلال الحرب الأهلية حوالي عام 91-79 ق.م. ضربت بعض المدن الرومانية دنانير جديدة في إشارة إلى محاولة الاستقلال عن مدينة روما، واستبدلت صورة رأس روما ونقشها القديم ROMA على وجه الديناريوس برأس إيطاليا وبجانبه النقش اللاتيني ITALIA الذي يشير إلى دولة إيطاليا، بينما حمل ظهرها صورة ثور تحت قدميه الذئبة رمز تأسيس مدينة روما في إشارة إلى هزيمتها خلال الحرب الأهلية.⁽⁵⁶⁾

بعد هذا التاريخ وخلال الفترة ما بين عامي 50-31 ق.م. ظهرت صور لبعض الساسة الرومان على الديناريوس الروماني المضروب في مدينة روما وخارجها، أمثال بومبيوس، وقيصر، وأنطونيوس.⁽⁵⁷⁾

الفئة الثانية: عرفت باسم نصف الديناريوس الكويناريوس Quinarius،⁽⁵⁸⁾ ويزن 2 جراماً،⁽⁵⁹⁾ ويعادل خمسة آسات، لذلك يرمز له بالرقم اللاتيني v الذي يشير إلى رقم خمسة، وفي بعض الأحيان يرمز له بحرف Q على الوجه،⁽⁶⁰⁾ صور على وجهه رأس المعبودة روما أو بلونا باتجاه اليسار، وخلفها الرقم اللاتيني v،⁽⁶¹⁾ وتحيط بها دائرة منقوطة، بينما صور على ظهره باتجاه اليسار الديوسكوري (كاستور و بولوكس)،⁽⁶²⁾ أبناء المعبود جوبيتر يرتديان زيهما العسكري ويحملان الرماح، ويمتطيان جوادين فوق خط مستقيم أرجلهما الأربعة في الهواء في إشارة لعملية السير بسرعة عالية، ويعلو كل واحد منهما نجمة مشعة، وتحت الخط المستقيم يوجد نقش لاتيني يشير إلى مدينة روما على النحو التالي: ROMA. ويحيط بهما خط متصل على هيئة دائرة، وأعيد سك الكويناريوس حوالي 104 ق.م. وحمل الرمز Q، حتى توقف تماماً بين عامي 86-15 ق.م.⁽⁶³⁾ شكل (18).

الفئة الثالثة: أصغر فئات الديناريوس وعرفت باسم ربع الديناريوس السسترتيوس Sestertius،⁽⁶⁴⁾ ويزن جراماً واحداً فقط،⁽⁶⁵⁾ ويعادل أسين ونصف، لذلك يرمز له بالرقم اللاتيني IIS الذي يشير إلى رقم اثنين ونصف +1+1/2، أي آس+أس+ سيمس⁽⁶⁶⁾ صور على وجهه رأس المعبودة روما أو بلونا باتجاه اليسار وخلفها الرقم اللاتيني IIS، بينما صور على ظهره باتجاه اليسار الديوسكوري (كاستور و بولوكس)،⁽⁶⁷⁾ أبناء المعبود جوبيتر يرتديان زيهما العسكري ويحملان الرماح، ويمتطيان جوادين فوق خط مستقيم، ويعلو كل واحد منهما نجمة مشعة، وتحت الخط المستقيم يوجد نقش لاتيني يشير إلى مدينة روما على النحو التالي: ROMA. وأعيد سك السسترتيوس حوالي 89 ق.م. حتى توقف تماماً بين عامي 86-15 ق.م.⁽⁶⁸⁾ شكل (19).

والجدير بالذكر أن كل هذه المحاولات كانت من أجل تطوير وتحسين شكل الديناريوس الروماني وفئاته ليتماشى

مع الظروف الاقتصادية والحياة اليومية للمواطن والتاجر في مدينة روما وخارجها، نجد روما تعود من جديد لتسك عملة الفيكتورياتوس Victoriatus التي تعادل دراخمة فضية واحدة إلى جانب الديناريوس الروماني، ولكن بدون وجود رمز القيمة على وجهها.⁽⁶⁹⁾

العملة الذهبية خلال العصر الجمهوري:

سكت أول عملة ذهبية في مدينة روما حوالي عام 217 ق.م. وفي هذا الصدد يذكر بليني Pliny⁽⁷⁰⁾ أن سك أول ستيتير Steter ذهبي كان بعد 51 أو 62 عام من سك أول عملة فضية أي خلال الحرب البونية الثانية ويوافق ذلك عام 218 أو 217 ق.م. صور على وجهها صورة معبود الحرب الروماني مارس الملتحي باتجاه اليسار، وخلفه يوجد رقم لاتيني يشير إلى قيمة العملة، بينما صور على ظهرها طائر النسر يقبض بمخالبه على حربة المعبود جوبيتر الثلاثية الأطراف، وتحت الحربة يوجد نقش باللغة اللاتينية يشير إلى مدينة روما على النحو التالي: ROMA، ثم توقف سكها فيما بين عامي 209 ق.م. وعصر سولا Sulla الذي استأنف سكها من جديد.⁽⁷¹⁾

حدث هذا التطور المهم في سك العملة الذهبية خلال القرن الرابع قبل الميلاد، حيث تم الاعتراف بمعدن الذهب كمادة للتعامل التجاري بين التجار، خاصة في المعاملات التجارية الخارجية، فبدأت أغلب المدن الإغريقية بسك عملاتها من معدن الذهب، لتلحق بالفضة التي كانت المقياس الوحيد لقيمة العملة. وكانت أولى العملات الذهبية المعروفة باسم الستيتير Steter، قد ظهرت بعد انتصار مدينة أثينا على مدينة اسبرطة في معركة كيندوس المشهورة حوالي عام 393 ق.م، حيث كانت كبيرة الحجم ونقية ومتقنة السك. وبعد الحروب البيلوبونزية سكت مدينة أثينا نصف الستيتير وربعه، ومنها انتشر استخدام معدن الذهب في سك العملة خارج بلاد اليونان ليصل إلى جزيرتي كريت وصقلية وجنوب إيطاليا وكمانيا، ومنها بالأسلوب نفسه والطرز الإغريقية انتقل إلى مدينة روما خلال العصر الجمهوري.

استخدم الرومان معدن الذهب في سك العملة خلال العصر الجمهوري، وفي عصر قيصر كان محافظاً على نسبة نقاء عالية جداً، وسكت منه عملة حوالي عام 50 ق.م. عرفت باسم الأوريوس Aureus استقر وزنها على 8.18 جرام تقريباً، وبعد وفاة قيصر انخفض وزن الأوريوس إلى 7.80 جرام.⁽⁷²⁾

بعد ذلك تذبذبت نسبة الذهب إلى الفضة خلال العصرين الجمهوري والإمبراطوري، فبعد أن كانت النسبة 1:17,7، وصلت خلال القرنين الأول والثاني قبل الميلاد إلى 1:12، وفي بداية عصر الإمبراطورية نجدها قد وصلت إلى 1:12,5، وفي القرن الثالث الميلادي وصلت إلى 1:9,37، وبإصلاحات الإمبراطور دقلديانوس وصلت النسبة إلى 1:13,37، حتى وصلت عام 400 ميلادية إلى 1:15,18.⁽⁷³⁾

استخدمت العملة الذهبية المسكوكة في كمانيا في مدينة روما خلال الحرب البونية الثانية بنفس الأسلوب والطرز الإغريقية، وكانت نادرة جداً خلال العصر الجمهوري، وقمّلت فئاتها في الستيتير Steter الذي يزن 6.8 جرام ونصف الستيتير الذي يزن 3.4 جرام.⁽⁷⁴⁾ صور على وجهها المعبود يانوس الصغير، بينما حمل ظهرها صورة محاربين يعقدان معاهدة.⁽⁷⁵⁾ شكل (20).

حدث تطور كبير في سك العملة الذهبية الرومانية مع بداية القرن الثاني قبل الميلاد، حيث تم سك عملة ذهبية في كمانيا، تحمل على وجهها صورة معبود الحرب الروماني مارس الملتحي باتجاه اليسار، ويرتدي الخوذة على رأسه، وخلفه يوجد رقم لاتيني يُشير إلى قيمة العملة الذهبية، ويحيط بالمنظر بالكامل دائرة منقوطة، بينما صور على ظهرها طائر النسر -شعار الدولة الرومانية- بوضع جانبي، فاردا جناحية، ويقبض بمخالبه على حربة المعبود جوبيتر الثلاثية الأطراف، وتحت الحربة يوجد نقش باللغة اللاتينية يشير إلى مدينة روما على النحو التالي.

ROMA⁽⁷⁶⁾ شكل(21). وتذبذب إصدار العملة الذهبية منذ عصر سُلا Sulla، وحتى عصر قيصر Caesar الذي قام حوالي عام 50 ق.م بإصدار عملة ذهبية في مدينة روما من فئة الأوريوس Aureus تزن حوالي 8.18 جراماً بنفس وزن الستيتير Steter الإغريقي⁽⁷⁷⁾. ويعادل 25 دينار يوس روماني⁽⁷⁸⁾. وتمثلت إصدارات الأوريوس في ثلاث فئات من الأسيس Asses بأوزان متفاوتة على النحو التالي:

الفئة الأولى: تتألف من عملة ذهبية تزن سكروبل واحد، أي ما يعادل جراماً واحداً فقط، ويرمز لها بالرقم اللاتيني XX الذي يعادل القيمة المعروفة ب 20 آسيس Asses⁽⁷⁹⁾. شكل (22) صور على وجهها رأس معبود الحرب الروماني مارس الملتحي باتجاه اليسار، ويرتدي الخوذة على رأسه، وخلفه يوجد رقم لاتيني يشير إلى قيمة العملة الذهبية XX أي 20، ويحيط بالمنظر بالكامل دائرة منقوطة، بينما صور على ظهرها طائر النسر -شعار الدولة الرومانية- بوضع جانبي، فاردا جناحية، ويقبض بمخالبه على حربة المعبود جوبيتر الثلاثية الأطراف، وتحت الحربة يوجد نقش باللغة اللاتينية يشير إلى مدينة روما ROMA⁽⁸⁰⁾

الفئة الثانية: تتألف من عملة ذهبية تزن اثنين سكروبل ، أي ما يعادل ثلاثة جرامات، ويرمز لها بالرقم اللاتيني XXXX الذي يعادل القيمة المعروفة ب 40 آسيس Asses⁽⁸¹⁾. شكل (23) صور على وجهها رأس معبود الحرب الروماني مارس الملتحي باتجاه اليسار، ويرتدي الخوذة على رأسه، وخلفه يوجد رقم لاتيني يشير إلى قيمة العملة الذهبية XXXX أي 40، ويحيط بالمنظر بالكامل دائرة منقوطة، بينما صور على ظهرها طائر النسر -شعار الدولة الرومانية- بوضع جانبي، فاردا جناحية، ويقبض بمخالبه على حربة المعبود جوبيتر الثلاثية الأطراف، وتحت الحربة يوجد نقش باللغة اللاتينية يشير إلى مدينة روما على النحو التالي: ROMA⁽⁸²⁾

الفئة الثالثة: تتألف من عملة ذهبية تزن ثلاثة سكروبل ، أي ما يعادل أربعة جرامات، ويرمز لها بالرقم اللاتيني LX الذي يعادل القيمة المعروفة ب 60 آسيس Asses⁽⁸³⁾. شكل (24) صور على وجهها رأس معبود الحرب الروماني مارس الملتحي باتجاه اليسار، ويرتدي الخوذة على رأسه، وخلفه يوجد رقم لاتيني يشير إلى قيمة العملة الذهبية LX أي 60، ويحيط بالمنظر بالكامل دائرة منقوطة، بينما صور على ظهرها طائر النسر -شعار الدولة الرومانية- بوضع جانبي، فاردا جناحية، ويقبض بمخالبه على حربة المعبود جوبيتر الثلاثية الأطراف، وتحت الحربة يوجد نقش باللغة اللاتينية يشير إلى مدينة روما على النحو التالي: ROMA⁽⁸⁴⁾

العملة المطلية خلال العصر الجمهوري:

استخدم الرومان منذ الحرب البونية الثانية، العملة المطلية في التداول اليومي، وقد قام سُولا بإعدام البرايتور⁽⁸⁵⁾ Gratidians عام 84 ق.م. نظراً لاستخدامه العملة المطلية، ثم أعيد سكها من جديد بعد وفاة سُولا واستمرت حتى بداية العصر الإمبراطوري⁽⁸⁶⁾.

وقد استخدم الرومان نظام خلط العملة بمعادن أقل جودة، مثل خلط الذهب بالفضة والفضة بالنحاس والنحاس بالرصاص⁽⁸⁷⁾. وأصدر الإمبراطور أغسطس قانوناً يعاقب فيه كل من يقوم بتزوير العملة أو خلطها بمعادن رديئة، وأعتبر هذا العمل من الجرائم الكبرى التي يعاقب عليها القانون الروماني الإمبراطوري المعروف باسم قانون Lex Gulia Peculatus⁽⁸⁸⁾

الهوامش

1. G.H. Hill, A Handbook of Greek and Roman Coins. Chicago,1954,pp.1-2.
2. ريتشارد ريس وسيمون جيمس، التعرف إلى العملات الرومانية. (ت)؛ طلعت عبدالرازق زهران، الرياض، 2000، ص 11.
3. المرجع نفسه، ص 7.
4. G. Milne, The Aes Grave of Central Italy. JRS, Vol.xxxii, parts. i and ii, 1942, p.27.
5. G.H. Hill, op. cit, p.9.
6. H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. JRS. 1945, vol. 35, p. 65.
7. حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية. دار كلمة للنشر والتوزيع الإسكندرية، 2010، ص.13
8. R.A.G, Carson, Coins Ancient Medieval and Modern. London, 1962, P.106.
9. M.Jones, Dictionary of Ancient Roman Coins. London, 1990, pp.8-9.
10. H. Mattingly, Roman Coins. London, 1967, P.3.
11. H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. Op. cit, P.65.
12. حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية مدخل للدراسة الأثرية. الإسكندرية، 1997، ص.11
13. Pliny, Naturalis Historia, XXXIII,43.
14. G.H. Hill, op. cit, p.45.
15. H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. op. cit, P.65.
16. R.A.G, Carson, op. cit, p.106.
17. J.M. Jones, op. cit, p.8.
18. وهي أحد المقاطعات اليونانية الواقعة في شبة جزيرة البلقان على الشاطئ الشرقي للبحر الادرياتيكي، حيث امتدت هذه الحرب عشر سنوات وانتهت بانسحاب ملك ابيروس عام 272 ق م. راجع: لطفي عبد الوهاب يحيى، تاريخ اليونان والرومان موضوعات مختاره. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية، 2010، ص 254.
19. R.A.G.Carson, Coins of the World. London, 1975, p.106.
20. R.A.G.Carson, Coins of the World, op.cit, p.106.
21. J.P.C.Kent, Roman Coins. London, 1978, p.10.
22. R.A.G. Carson, op. cit, p.106.
23. E.A.Sydenham, The Coinage of the Roman Republic. New York, 1975, p. XV.

24. G.H. Hill, op. cit, p.45.
 25. M. Bernhart, Handbuch zum Munzkunde der Romischen Kaiserzeit. Halle, 1926, Vol.1, p.12.
 26. حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية. مرجع سابق، ص.12.
 27. J. Milne, The Aes Grave of Central Italy. JRS, Vol.32, 1942, pp.28-29.
 28. G.H. Hill, op. cit, pp.60-63.
 29. H. Mattingly, Roman Coins. op. cit, pp.4-7.
 30. G.H. Hill, op. cit, p.60.
 31. G.H. Hill, op. cit, p.46.
 32. حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية. مرجع سابق، ص.17.
 33. عبداللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني. دار النهضة العربية، بيروت، 1970، ص.126.
 34. حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية. مرجع سابق، ص 18.
 35. المرجع نفسه، ص 18.
 36. عبداللطيف احمد علي، مرجع سابق، ص.127.
 37. حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية. مرجع سابق، ص 13.
 38. عبداللطيف احمد علي، مرجع سابق، ص.129 هامش 3.
 39. H. Mattingly, Roman Coins. op. cit, pp.4-5.
 40. R.A.G. Carson, op. cit, p.108.
 41. Ibid, p.108.
 42. R.A.G. Carson, op. cit, p.108.
 43. H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. op. cit, P.69.
 44. حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية. مرجع سابق، ص 19.
 45. R.A.G. Carson, op. cit, p.108.
 46. Ibid, p.108.
 47. H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. op. cit, P.69.
 48. H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. op. cit, pp.70-71.
-

49. R.A.G. Carson, op. cit, p.109.
50. حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية. مرجع سابق، ص 20.
51. G.H. Hill, op. cit, p.47.
52. H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. op. cit, pp.66,76.
53. سيد محمد عمر، محاضرات في الآثار اليونانية والرومانية. القاهرة، 2000، ص 335.
54. H. Mattingly, Roman Coins. op. cit, p.19.
55. عبداللطيف احمد علي، مرجع سابق، ص. 128.
56. حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية. مرجع سابق، ص 21.
57. المرجع نفسه، ص.. 21
58. H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. op. cit, p.66.
59. G.H. Hill, op. cit, p.47.
60. عبداللطيف احمد علي، مرجع سابق، ص. 128 هامش.
61. G.H. Hill, op. cit, p.47.
62. H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. op. cit, p.77.
63. عبداللطيف احمد علي، مرجع سابق، ص. 129 هامش 2.
64. H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. op. cit, p.77.
65. G.H. Hill, op. cit, p.47.
66. عبداللطيف احمد علي، مرجع سابق، ص. 128 هامش 3.
67. H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. op. cit, p.77.
68. عبداللطيف احمد علي، مرجع سابق، ص. 129 هامش 2.
69. المرجع نفسه، ص. 129.
70. Pliny, Naturalis Historia, XXXIII,47.
71. سيد محمد عمر، مرجع سابق، ص 334.
72. G.H. Hill, op. cit, p.54.
73. حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية. مرجع سابق، ص ص 23 - 24.

47. المرجع نفسه، ص 22-23.
75. عبداللطيف احمد علي، مرجع سابق، ص.129.
76. H. Mattingly,Roman Coins. op. cit, p.16.
77. G.H. Hill, op. cit, p.54.
78. عبداللطيف احمد علي، مرجع سابق، ص.129.
79. H. Mattingly,Roman Coins. op. cit, p.16.
80. H. Mattingly,The First Age of Roman Coinage.1929,vol.xix,part.i, p.33.
81. H. Mattingly,Roman Coins. op. cit, p.16.
82. H. Mattingly,The First Age of Roman Coinage.vol.xix, op. cit,p.33.
83. Ibid,p.33.
84. Ibid,p.33.
85. البرايتورية: Praetura، وظيفة من الوظائف الجمهورية العامة تختص بالإشراف على العدالة. وكان برايتور الأجانب يفصل في القضايا التي يكون الزوار والأجانب المقيمون في روما طرفا فيها. ولنيل وظيفة البرايتورا من حق المرشح أن يتقدم لشغل هذا المنصب بعد تولى منصب الإيديلية ، والمقصود من هذا المنصب هو المستشار القضائي الذي يساعد القنصل. للمزيد راجع: سيد أحمد علي، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري. دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1998، ص43؛ سيد محمد عمر، الحضارة الرومانية. القاهرة، 2005، ص220.
86. حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية مدخل للدراسة الأثرية. مرجع سابق، ص19.
87. فتحية السلامى، العملة الرومانية بين الرمز والتجسيد. الحضري للطباعة، الإسكندرية، 2007، ص 4.
88. حسين عبدالعزيز، الة الرومانية مدخل للدراسة الأثرية. مرجع سابق، ص20.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- Pliny, *Naturalis Historia*, XXXIII,43.

ثانياً: المراجع العربية والمعرّبة

- حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية مدخل للدراسة الأثرية. الإسكندرية، 1997.
- حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية. دار كلمة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2010.
- ريتشارد ريس وسيمون جيمس، التعرف إلى العملات الرومانية. (ت): طلعت عبدالرازق زهران، الرياض، 2000.
- سيد أحمد على، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري. دار النهضة العربية، القاهرة، ط.3، 1998.
- سيد محمد عمر، الحضارة الرومانية. القاهرة، 2005.
- سيد محمد عمر، محاضرات في الآثار اليونانية والرومانية. القاهرة، 2000.
- عبداللطيف أحمد على، مصادر التاريخ الروماني. دار النهضة العربية، بيروت، 1970.
- فتحة السلامي، العملة الرومانية بين الرمز والتجسيد. الحضري للطباعة، الإسكندرية، 2007.
- لطفي عبدالوهاب يحيى، تاريخ اليونان والرومان موضوعات مختارة، دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية، 2010 .

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- E.A. Sydenham, The Coinage of the Roman Republic. New York, 1975.
- G. Milne, The Aes Grave of Central Italy. JRS, Vol. xxxii, parts. i and ii, 1942.
- G.H. Hill, A Handbook of Greek and Roman Coins. Chicago, 1954.
- H. Mattingly, Roman Coins. London, 1967.
- H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. JRS. 1929, part, i. vol. 19.
- H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. JRS. 1945, vol. 35.
- J. Milne, The Aes Grave of Central Italy. JRS, Vol. 32, 1942.
- J.P.C. Kent, Roman Coins. London, 1978.
- M. Bernhart, Handbuch zum Munzkunde der Romischen Kaiserzeit. Halle, 1926, Vol. 1.
- M. Jones, Dictionary of Ancient Roman Coins. London, 1990.
- R.A.G. Carson, Coins Ancient Medieval and Modern. London, 1962.
- R.A.G. Carson, Coins of the World. London, 1975.

ملحق الأشكال



شكل 1 (عن: حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية، مرجع سابق، ص 297، صورة 1)



شكل 2 (عن: J.P.C.Kent, op.cit, pl.3, fig.4)



شكل 3 (عن: J.P.C.Kent, op.cit, pl.1, fig.2)



شكل 4 (عن: H. Mattingly, The First Age of Roman Coinage. vol.xix, op. cit,pl.iii,no.1)



شكل 5 (عن: J.P.C.Kent,op.cit,pl.4,fig.5)



شكل 6 (عن: J.P.C.Kent,op.cit,pl.4,fig.6)



شكل 7 (عن: J.P.C.Kent, op.cit, pl.7, figs.15-16)



شكل 8 (عن: J.P.C.Kent, op.cit, pl.5, fig.7)



شكل 9 (عن: H. Mattingly, op.cit, pl.1, fig.4)



شكل 10 (عن: J.P.C.Kent, op.cit, pl.5, fig.8)



شكل 11 (عن: H. Mattingly, op.cit, pl.1, fig.7)



شكل 12 (عن: H. Mattingly, op.cit, pl.1, fig.8)



شكل 13 (عن: J.P.C.Kent, op.cit, pl.5, fig.9)



شكل 14 (عن: J.P.C.Kent, op.cit, pl.5, fig.10)



شكل 15 (عن: J.P.C.Kent, op.cit, pl.6, fig.11)



شكل 16 (عن: H. Mattingly, op.cit, pl.2, figs.18-20)



شكل 17 (عن: H. Mattingly, op.cit, pl.2, figs.7-8)



شكل 18 (عن: حسين عبدالعزيز، العملة الرومانية والبيزنطية، مرجع سابق، ص 298، صورة 6)



شكل 19 (عن: J.P.C.Kent, op.cit, pl.8, fig.19)



شكل 20 (عن: J.P.C.Kent, op.cit, pl.7, fig.14)



شكل 21 (عن: J.P.C.Kent, op.cit, pl.8, fig.20)



شكل 22 (عن: H.Mattingly,op.cit,pl.2,fig.5)



شكل 23(عن: H.Mattingly,op.cit,pl.2,fig.4)



شكل 24 (عن: H.Mattingly,op.cit,pl.2,fig.6)

دور الرحالة العرب والأجانب في التعريف بآثار برقة الإسلامية

د. ونيس عمر بولطبعة

جامعة عمر المختار

المقدمة :

تعتبر الآثار المعمارية الثابتة والتحف والعملات المنقولة من أهم المصادر التي يُعتمد عليها في تاريخ أي بلد. وبما أن الوثائق التاريخية والمصادر المكتوبة لا تكفي وحدها لهذا الغرض، إما لندرتها أو لتناقض ما جاء فيها من معلومات، وبما أن الآثار تعتبر سجلاً حياً للمراحل التاريخية التي مرّ بها أي بلد من البلدان، فأنت هذه المعالم الأثرية لتكون شاهداً ماثلاً على حضارة الإسلام زمنياً، وفي بلاد المغرب عامةً وليبيا وبرقة خاصةً من الناحية المكانية والجغرافية .

ولا يُختلف على أن برقة قد ضمت تراثاً هائلاً من العماير الإسلامية، من منشآت دينية، كالمساجد والزوايا والأضرحة وما تضمنتها من نقوش زخرفية ونقوش كتابية، والتي عكست روح العصر الذي أُقيمت فيه، من أوضاع سياسية واقتصادية ودينية وعادات اجتماعية، والعمارة العسكرية من تحصينات وقلاع وأسوار، بالإضافة للمنشآت المدنية من جسور وقناطر وحمامات وقصور وفنادق وخزانات وآبار .

شكلت برقة أول قاعدة إسلامية في شمال إفريقيا منذ فتحها عام 22هـ / 642م، حيث ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية ازدهاراً واسعاً، وأصبحت بعد ذلك منطلقاً للفتوحات الإسلامية نحو عموم المغرب . وتأكيداً منا على هذا الدور الذي لعبته برقة فقد تبادر إلي أذهاننا جمع ما مرّ بنا من معلومات متخذين من الرحالة العرب والأجانب مرشداً لنا في التعرف على ما جاء في كتاباتهم من آثار معمارية أو فنية أو كتابية ومقارنتها بما هو ماثل منها حتى اليوم .

وتأتي أهمية هذا العمل المتواضع كونه يُسلط الضوء على جزء مهم من بلاد المغرب وإقليم برقة تحديداً، وكذلك جاءت فكرة هذا العمل مما لاحظته الباحثة من إهمال للآثار الإسلامية في برقة وبالمقابل تحظى الآثار الكلاسيكية بالحظ الأوفر من العناية، وقد يكون ذلك راجع إلي الدور الكبير الذي لعبته بعثات التنقيب الغربية، والتي كانت دائماً ما تؤكد على تواجد حضاراتهم بالإقليم منذ آلاف السنين فجاء ذلك على حساب الحضارة والهوية الإسلامية .

وأبتعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي الإستردادي بنقل كل ما ذكره الرحالة عن آثار الإقليم، مردفين ذلك بشيء من الوصف، بالإضافة إلي التحليل والمقارنة والتي شملت بعض النصوص والآثار الماثلة حتى اليوم .

وقسمت هذه الدراسة إلي عدة محاور على النحو التالي :

المحور الأول : التعريف بإقليم برقة ودوره في استقرار فتوحات المغرب .

المحور الثاني : آثار برقة في كتابات الرحالة العرب المسلمين .

المحور الثالث : آثار برقة في كتابات الرحالة الأجانب .

المحور الرابع : دراسة مقارنة بين ما ذكره الرحالة وما هو ما ثل اليوم .

المحور الأول : التعريف بإقليم برقة ودوره في استقرار فتوحات المغرب :

أطلقت على الإقليم تسميات عدة على مرّ العصور، ففي العصر الإغريقي عُرف بإقليم قوريناية سيرينيكا CYRENAICA⁽¹⁾. وظهر في العصر الروماني اسم إقليم المدن الخمس PENTAPOLIS⁽²⁾. وأكد فرانسوا شامو على أن التسميتين تعتبران وجهين لعملة واحدة وهو إقليم برقة⁽³⁾.

أما في الفترة الإسلامية فقد تردد اسمان للإقليم وهما : (برقة- إنطابلس)⁽⁴⁾. وعن سبب تسمية برقة الإقليم في العصر الإسلامي والذي نحن بصدد دراسته يقول ابن سعيد : « وكانت برقة تعرف بأنطابلس فسماها العرب برقة لما رأتها كثيرة الحجارة المختلطة بالرمل»⁽⁵⁾.

حدد أسترابون الذي عاش في القرن الاول قبل الميلاد الحد الغربي للإقليم عند خليج سرت وتتبع المدن الساحلية مدينة بعد الأخرى حتى وصل إلي كاتاباغوس (السلوم) والتي اعتبرها الحد الشرقي له⁽⁶⁾. وخالفه بطوليموس الذي جعل الحد الغربي عند هياكل فيلاني (العقيلة) ومنها إلي مدينة دارنيس (درنة) شرقاً، أما ما يقع شرقها فقد اعتبرها إقليماً قائماً بذاته سماه إقليم مارماريكي، ومن الشمال البحر، وجعل من كاتاباغوس ضمن الاراضي المصرية⁽⁷⁾.

ونجد تطابقاً بين اليعقوبي وقدامى الجغرافيين بأن الحد الغربي عند سرت، وقد فُرق بين برقة المدينة (المرج) وبرقة الإقليم والتي عمم اسمها على باقي مدن الإقليم لأهميتها الكبرى، واستطرد ذاكراً بقية مدنه⁽⁸⁾.

ويحدد الحموي المسافة من الفسطاط إلي برقة (220) فرسخاً ومن القيروان إلي برقة (215) فرسخاً⁽⁹⁾. وبحسب ابن الفقيه المسافة بين الفسطاط وبرقة بالأيمال (660) ميلاً ومن برقة إلي القيروان (680) ميلاً⁽¹⁰⁾. وهما بذلك يشيران إلي وقوع الإقليم في منتصف المسافة ما بين الفسطاط في الشرق والقيروان في الغرب .

وهناك من الرحالة العرب من ذكر برقة باعتبارها مدينة كاليقوبي في كتابه معجم البلدان⁽¹¹⁾، والإصطخري في كتابه المسالك والممالك⁽¹²⁾، ومنهم من ذكر برقة كإقليم كابن خردذابه في المسالك والممالك⁽¹³⁾، ومنهم من وصفها وصفاً صريحاً بأنها المسماة بالجبل الأخضر عند الحشائشي⁽¹⁴⁾، ونعتها ياقوت الحموي بأنها مدينة تقع وسط سهل

زراعي خصب تحيط به المرتفعات الجبلية من كل جانب ويقول: « برقة اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وافريقية واسم مدينتها أنطابلس»⁽¹⁵⁾.

ويذكر البكري بأن عمرو بن العاص هو الذي فتح برقة صلحاً عام 22هـ/642م وفرض الجزية على أهلها وأن تربتها حمراء وبالقرب منها الجبل، ويقول: أنها دائمة الرخاء كثيرة الخير، كناية على وفرة خيراتها ويستشهد بأن ذبائح أهل مصر منها ويحمل منها إلي مصر الصوف والعسل والقطران.⁽¹⁶⁾ وبعد فتح برقة شرع عمرو بن العاص بفتح طرابلس تمهيداً لفتح أفريقية، أما الواحات الداخلية والتي كانت تؤلف مركزاً للمقاومة فقد أرسل ابن العاص قائده عقبه بن نافع إلي فزان وزويله ففتحهما وأصبحت المنطقة مابين برقة وزويلة للمسلمين.⁽¹⁷⁾

أما عن دور برقة كإقليم فقد أسهمت من خلال موقعها المتميز قبل وبعد تشييد القيروان عام 55-50هـ/670-675م بدور كبير في استقرار فتوحات المغربين الأوسط والأقصى، فكانت القاعدة لانطلاق الفتوحات، ثم أصبحت تمثل قاعدة حربية متينة بعد تشييد القيروان، ولا ننسى الدور الهام الذي لعبته برقة كحلقة وصل بين المشرق والمغرب. حيث غدت معبراً للتأثيرات الوافدة من مصر والمشرق الإسلامي بحكم تبعيتها المباشرة لمصر. ومما يدل على عظم هذا الدور العسكري هو لجوء القائد المسلم زهير بن قيس البلوي إليها بعد موقعة تهوده سنة 63هـ/683م، بعد استشهاد عقبة بن نافع واستيلاء كسيلة على القيروان، حيث استقر بها زهير إلي أن وصله المدد عام 69هـ/689م فاستطاع استرداد القيروان وقتل كسيلة. كما لجأ إليها حسّان بن النعمان، أحد قادة فتح المغرب عقب انتصار الكاهنة ملكة المغاربة عليه، فأقام بها خمس سنوات انتظاراً للإمدادات، ثم قضى على الكاهنة وخُلصت أفريقية.⁽¹⁸⁾

كل ما سبق يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على إستراتيجية الموقع الذي تمتعت به برقة مما جعلها في فترة الحرب عاملاً لاستقرار جيوش الفتح الإسلامي وضمنت ملجأً آمناً لانسحاب ذلك الجيش وتنظيم الصفوف وانتظار دعم الخلافة الآتي من الشرق، وبالتالي الاستمرار في تحقيق الغاية المنشودة المتمثلة في فتح جميع أجزاء المغرب.

والثابت انه قد تضافرت عوامل عدة كانت سبباً في تأثير برقة وتأثيرها فيما بعد الفتح في حركة التاريخ الإسلامي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. فالفتح الصلح لعموم برقة جعل منها آمنة مطمئنة من شر الفتى والانتفاضات التي عمّت باقي أقاليم المغرب، « وكان أهل برقة يبعثون بخراجهم دون أن يأتيهم حاث أو مستحث »⁽¹⁹⁾. وبدا ذلك جلياً في قول عمرو بن العاص: « لأهل انطابلس عهد يوفى لهم به»⁽²⁰⁾. وذلك يعكس أن الاتفاق الذي حدث بين الجيش الفاتح وأهل برقة كان مرضياً، مما جعل عمرو يؤكد على فضل أهل برقة وبالتالي تمسكه بالوفاء لهم بالعهد الذي قطعه لهم، مما انعكس على أمن الجيوش الفاتحة.⁽²¹⁾ والعامل الثاني جغرافي فبرقة كما وصفها الجغرافيون والرحالة بأنها صعبة المسالك والدروب فكثرة شعابها وتنوع تضاريسها بين ساحل وجبل وصحراء وجد فيها العرب أنفسهم في حماية طبيعية من أي اعتداء خارجي. وانعكست طريقة الفتح أيضاً على الأمن والرخاء في برقة وميزها عن باقي أقاليم المغرب، بالإضافة إلي ما تزخر به من ثروات اقتصادية على المستوى الزراعي والحيواني والتجاري فيما بعد الفتح، وتعبيراً عن أمن ورخاء برقة يقول عبدالله بن عمرو بن العاص: « لولا مالي بالبحار لنزلت برقة فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها»⁽²²⁾.

المحور الثاني : آثار برقة في كتابات الرحالة العرب المسلمين

كان للرحالة العرب دور مهم من اكتشاف للمدن ووضع للخرائط والتنويه لما هو موجود من عمران في عصرهم، فعن موضوعنا يذكر ابن حوقل مدينة أجدابيه الواقعة ضمن الإقليم بأن بناءها استخدم فيه الطين والأجر وبعضها بالحجارة.⁽²³⁾ ويذكر ياقوت الحموي أن مدينة برقة المرج قبر رويغ بن ثابت الانصاري صاحب

رسول الله ونوه إلي وجود سوق بالمدينة⁽²⁴⁾، كما أشار البكري إلي القبر نفسه، ثم يذكر أن باجدابيه جامعاً كبيراً وله صومعة مئمنة الشكل بديعة المنظر، بالإضافة إلي وجود حمامات وفنادق وأسواق كثيرة، ويصف البكري الهيكل المعماري لمباني اجدابيه بأنها لم تسقف بالخشب بل أن عملية التسقيف كانت بقباء من طوب معللاً ذلك بكثرة الرياح ودوام هبوبها على المدينة.⁽²⁵⁾ ويُشار إلي وجود سور بناه المتوكل على الله العباسي وأبواب من حديد وخنق، وهنا المقصود مدينة المرج الحالية وأن شرب أهلها من الجبل والأودية والبرك العظام وقد عملها الخلفاء والأمراء لشرب أهل المدينة.⁽²⁶⁾

ويضيف الحشائشي أن بركة أسواق وبناءات في غاية العمارة ممتدة تلك العمارة إلي أطراف الإسكندرية.⁽²⁷⁾

وعن أسواق بركة المدينة ذُكر أنها تنوعت ما بين الأسواق اليومية طول العام والأسواق الموسمية، فيقول ابن حوقل: «وبها (برقة) من التجارة وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع طلباً لما فيها من التجارة، وعابرين عليها مغربين ومشرقين»⁽²⁸⁾، ومن الأسواق اليومية أيضاً أسواق مدينة سرت، التي أنتشر بها العديد من الحوانيت والأفنية المتخصصة في أنواع السلع⁽²⁹⁾، ووصف سوق وادي مخيل بأنه: «عامر وراخ ويبعد عن اجدابيه خمسة مراحل».⁽³⁰⁾ أما الأسواق الموسمية فقد انتشرت عند نقاط تلاقي القوافل وعبور الحجاج، ففي مدينة أوجلة الصغيرة والتي عُرف عنها تصدير أجود أصناف التمور إلي كافة ربوع برقة، وكسوق موسمي من أسواق الإقليم⁽³¹⁾، وكذلك مثل سوق بركة المدينة سوقاً موسمياً إلي جانب السوق اليومي، حيث كان حجاج بيت الله يهرون بالمدينة لأخذ كفايتهم مما يحتاجونه من أسواقها.⁽³²⁾

من خلال ما مر بنا من ذكر للآثار لدى بعض الرحالة العرب يتضح بالدليل، كثرة وتنوع آثار الإقليم البرقاوي والتي ترجع للفترة الإسلامية، شاملة العمارة بأنواعها، المدني المتمثل في المدن المذكورة كاجدابيه، وبرقة المدينة، وطمليثة، وتوكره، وبنغازي؛ أما العمارة الدينية فقد تمثلت في مسجدي اجدابيه ومسجد المرج، وكان للعمارة الحربية نصيباً أيضاً بذكر قلاع اجدابيه الثلاث والتي لا تزال إحداها شامخة حتى اليوم، والمنسوبة للعصر الفاطمي والمعروفة بقصر اجدابية الفاطمي والتي بُنيت فترة انتقال الخليفة المعز لدين إلي مصر عام 361هـ/.

وتمثلت العمارة الخدمية في أسواق كل من بركة المدينة، واجدابيه، وسرت، وأوجله، ووادي مخيل؛ والتي الحق بها ملحقات ضرورية كالفنادق لسكن التجار والحمامات، وليس أدل على ذلك ما اشتملت عليه مدينة سرت من حمامات وجامع إلي جانب الأسواق.⁽³³⁾ وتأتي المواني كميناء طلميثة وبنغازي، بالإضافة إلي ميناء طبرق، الذي وُصف بالنهر الكبير الذي تدخله السفن الكبار⁽³⁴⁾، ووصفه ابن سعيد بأنه ليس له نظير وبأنه كالحوض المنقور في الحجر.⁽³⁵⁾

كما ورد عند اليعقوبي مدينة أجدابيه بمسجدها الجامع ومحارسها وأسوارها، وعكف على محارس وأسوار مدينة طلميثة، وبرنيق (بنغازي) مع ذكر ميناءها الكبير والعجيب، واصفاً إياه بالجودة والتي جاءت كناية عن كثرة مراكبه وعظم موقعه وكبر حجمه⁽³⁶⁾، ويذكر المقدسي أن بركة خيرات وفواكه وعسل وشربهم من آبارها تحتويه من مياه الأمطار⁽³⁷⁾، ويصف البكري بركة بالمدينة الكبيرة وعليها سور طوب وبها جامع وحمام وأسواق ولها ثلاثة أبواب وتكثر بها الآبار الحافظة لمياه الأمطار.⁽³⁸⁾

وورد ذكر العديد من القصور والعمائر الحربية من قلاع وحصون وأسوار فيذكر البكري أن بمدينة أجدابيه ثلاثة قصور واضحة محددة المسافة بينها بثمانية أميال⁽³⁹⁾، بينما يختصر عددها الحميري في قصرين فقط بصحراء أجدابيه.⁽⁴⁰⁾ مما يدل على وقوعها خارج المدينة.

والذي لا يختلف عليه من خلال ما تقدم ان بركة قد شهدت نوعاً من الازدهار الحضاري إلي القرن الرابع

الهجري/العاشر الميلادي وبدأت في التدهور من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، والسبب فيما يبدو راجع إلى انتقال مركز القيادة وعلو شأن، المغربيين الأوسط والأقصى، وكذلك تدهورها الاقتصادي، إذ لم تعد برقة ذلك الطريق الآمن للقوافل كما في السابق، فقد اكتشفت طرق أسهل من صعوبة الجبال البرقاوية مما كان سبباً في هذا الأُقول . ولكن المهم والمركزي أن شهود العيان الممثلين في الرحالة العرب الذين أكدوا بان برقة قد مرت بجميع مراحل الازدهار العمراني والفني، وكذلك الشواهد المادية سواء كانت أسوار أو تحصينات، أو مساجد ومدن، ترجع لفترة مبكرة من العصر الإسلامي، أو وجود قبور وشواهدا إلى يومنا . وهذا ما نتطلع إلى إثباته، باعتبار ليبيا وبرقة خاصة قد مرت كغيرها من بلاد العالم الإسلامي بجميع مراحل الحضارة وسُبل الازدهار، وهناك شواهد مقروءة إلى جانب الأثر المادي والذي لا تخفى أهميته في توثيق كل ذلك .

المحور الثالث : آثار برقة في كتابات الرحالة الأجانب:

لا يخفى ذلك الدور الذي قام به الرحالة الأجانب في المساهمة بالتعريف بالموروث الحضاري المحلي الغني بالآثار المادية والتاريخ المقروء .

يذكر الرحالة الفرنسي ماتوزيو Mathuisieulx أن برقة مساكن وأسواقاً، وأن بنغازي مسطحة المباني ويستعملون المنسوجات والحصير من القصب⁽⁴¹⁾، وبأن درنة أُقيمت زمن البيزنطيين (دارنيس القديمة) ووجدت من قبل الأندلسيين عام 1040هـ، ويوجد بدرنة قلاع إما عثمانية، أو أن الأمريكيان قد أقاموها عام 1805م بحجة التدخل لمساعدة مكافحة تجارة الرقيق.⁽⁴²⁾ مع العلم انه لا يوجد على هذه القلاع اليوم تاريخ واضح .

ومنطقة مارة يوجد قصر على السفح الشمالي للوادي، شكله مربع بطول 20م مربع وله أقواس وقباب كانت قائمة أيام رحلة باشو Pacho، الذي أرجعه لزمان العرب المسلمين على حد قوله، والمبنى مقسم إلى أربع غرف ومحاط بخندق عميق يحيط به من ثلاث جهات، أما عن قصر امقارنس (البرق) فهو محاط بخندق أيضاً في منخفض صغير بجانبه أطلال لحمامات قديمة، ووصف بأنه يرجع للعهد العربي.⁽⁴³⁾

ويجذب الانتباه بمنطقة الصفاف وجود صهاريج ضخمة كانت لتجميع مياه الأمطار لقورينا القديمة حيث كان يوجد بها قناة لجر المياه إلى المدينة.⁽⁴⁴⁾ وقد استعملت هذه الصهاريج على ما يبدو في فترة انتقال الفاطميين إلى مصر عصر المعز لدين الله الفاطمي حيث تم ترميمها والاستفادة منها وهذا واضح من خلال الإضافات التي أُجريت عليها، وكذلك وجود صهاريج من المياه بمنطقة التميمي حفرت في الصخر تعود للعرب المسلمين وهي مستديرة ومثلثة الشكل.⁽⁴⁵⁾

ويصف هاملتون Hamilton ما اشتملت عليه اجديبه من آثار عام 1852م واقفاً عند أبنية موزعة بين هضبتين بينهما منطقة صخرية تم استغلالها لحفر آبار المدينة، ووصف القلعة معجباً بتحصينها مؤرخاً إياها بالقرن 3هـ/9م وهي قريبة في الشكل لما عليه القلعة اليوم، مستطيلة واصفاً أبراج القلعة الاسطوانية بأنها مغطاة بقباب، ومشيراً لقاعة العرش المسقوفة بمشكاة مثمثة.⁽⁴⁶⁾

ويأتي الرحالة الألماني غيرهارد رولفس Rohlfs على ذكر قلعة القيقب، بأنها تقع على مسافة حوالي ثلاث ساعات جنوب غربي قورينا، حيث كانت ترابط به سرية عثمانية، ويصفه بأنه قصر مربع الشكل وله أربع أبراج في زواياه وهي تحمي جوانب القصر، ويبلغ طول كل جانب من السور حوالي 1000م وارتفاعه 25م، ومن الداخل وضعت الأبنية ملاصقة للأسوار، التي يتراوح سمكها ما بين 3-4 أقدام وهي الثكنة وغرف الضباط والمطبخ ومخازن السلاح، وتحتفظ القلعة دائماً بمؤنه تكفي حامية قوامها 200 رجل لمدة سنة واحدة، وكان الغرض منها توفير حماية كافية ضد المقاومة الليبية، ويوجد فوق كل برج من أبراجها مدافع ضخمة⁽⁴⁷⁾، ويرجح الرحالة

الانجليزي جيمس هاملتون Hamilton تاريخ بناء قلعة القيقب إلي عام 1852م عندما مرّ بها وشاهد جزءاً من عملية البناء. (48)

وتعتبر قلعة القيقب الوحيدة الكاملة الباقية في برقة من أربع قلاع حصينه شيدها العثمانيون، فقد أزيلت القلعان اللتان كانتا في بنغازي، أما قلعة المرج فقد أدخل عليها الإيطاليين بعض التعديلات، ولكنها دُمرت تماماً أثناء زلزال المرج عام 1963م، مع العلم بأن الأتراك شيده على أنقاض ومن مواد وأحجار مدينة باركي الإغريقية الموغلة في القدم، ولكن المهم أن القصر أبتني من حجارة أثرية إسلامية ترجع للعصر الفاطمي وهي نادرة ومميزة، وعند زيارتك لمتحف طلميثة الصغير ستجد بعض اللوحات النقشية الحجرية المتضمنة لهذه الكتابات الإسلامية تأكيداً لفرقتها الفاطمية، والتي تم إنقاذها من قبل الغيورين على ماضي هذا البلد وأضافوها لمحتويات المتحف. (49)

ويصف لنا الرحالة الإيطالي هايمان Haiman قلعة القيقب أثناء مروره بها عام 1881م بنفس الوصف الذي ذكره هاملتون، ويضيف بأنه كان يسكن القلعة اثنان وأربعين جندياً عثمانياً، وأربعون جندياً آخرون يجوبون الجهات المختلفة لجمع الضرائب. (50)

واستكمالاً للعمارة الحربية فقد مرّ الرحالة الفرنسي ريمون باشو Pacho بموقع قلعة اجدايبة عام 1824م وقام بتنفيذ رسم واضح لها يظهر فيه بقايا القلعة والمسجد الجامع (51)، كما وصف الرحالة فروند Freund مبنى القلعة عام 1881م، ذاكراً أنه يتألف من ثلاث حجرات مستطيلة مسقوفة بأقبية ومتطراً للغرفة الوسطى، والتي تظهر كالمشكاة المثلثة، والقبة تستند على القبو الطويل لهذه الحجرة، ويؤكد أن الأبراج الدائرية كانت مسقوفة بقباب وخاصة قبة البرج الأيسر والتي لازالت باقية عصرئذ. (52) ومن خلال وصف هؤلاء الرحالة يبدو ممكناً جداً لنا أن نخرج بتصور وافي عن القلعة الفاطمية بأجدايبة، مع مقارنة تلك المعلومات بما هو باقى منها حتى اليوم لإعطاء وصف واقعي متكامل لما كانت عليه القلعة .

وبالقرب من منطقة الميناء بطبرق توجد عدة تحصينات للموقع البحري، تشبه إلي حد كبير تحصينات قصر اجدايبة، وهي عبارة عن ثلاثة مباني شيّدت لحماية الساحل وتدل النقوش التي وجدت عليها بأنها قد بُنيت وفقاً لأوامر السلطان المملوكي بيبرس، الذي قام بتحصين حدوده ببناء عدة نقاط على الساحل الليبي وحولها إلي قلاع مستعدة للدفاع عندما علم بنزول القديس لويس يوحنا في تونس. (53)

وعن العمارة الدينية بالإقليم سنكتفي بذكر بعض الأمثلة الواضحة التي ذُكرت من قبل الرحالة الأجانب ، فقد أشار اغوستينو تشيرفيلي Agostini إلي أربعة أبنية عام 1812م، وعمل لها رسوم تقريبية أحدها للمسجد الجامع الفاطمي، (54) وعن المسجد العتيق بدرنة يذكر فارلونج Furlong أن مدينة درنة أزدهرت عندما استوطنتها العائلات المهاجرة من أسبانيا عام 1493م، وأن من بنى هذا المسجد والذي يحتوي على اثنين وأربعين قبة الوالي محمد القرمانلي، حيث كان ضمن إصلاحات كبيرة قدمها للمدينة، منها تزويدها بالمياه من واديها، أي وادي درنة. (55) وعن مسجد المرج يذكر هاملتون البساطة والخشونة في طراز البناء وأن الأقواس كان انتقالها من عمود إلي آخر في سهولة ويسر، وكان المسجد يقف على دعائم، أما الأحجار فقد كانت تقطع على حسب الشكل المطلوب للبناء. (56) أما قبر الصحابي رويغ بن ثابت الأنصاري، يذكر جودشايلد Goodchild بأنه قد دفن في جامع المرج العظيم سنة 663م. (57)

المحور الرابع : دراسة مقارنة بين ما ذكر لدى الرحالة وما هو مائل على أرض الواقع:

إن الاستعراض السابق يجعلنا نسأل عن حجم الآثار الإسلامية الموجودة ببرقة اليوم، هل هي كل ما ذكر سابقاً، أم أنه قد تم إغفال الكثير ولم يذكر منها إلا جزء قليل منها ؟

إن ما ذكر عند الرحالة العرب يعتبر مهماً جداً، ولكن أحياناً يتم التنويه إلى أشياء عامة وغير واضحة إلا بعض الاستثناءات كمسجد المرج وقلعتها، ومسجد أجدابيه ومدينة بنغازي ومينائها عند يعقوبي⁽⁵⁸⁾، وجامع وأسواق وحمامات وأبواب وآبار برقة المدينة (المرج) لدى البكري في مثال آخر.⁽⁵⁹⁾ والذكر في مجمله يأتي عاماً، وهذا الأمر يبدو لنا متشابهاً عند معظم الرحالة العرب المسلمين، كما ورد عند الحشاشني مثلاً بأن برقة توجد بها الأسوار ويمتد المعمار فيها إلى أطراف الإسكندرية.⁽⁶⁰⁾

كل ذلك يجعلنا نُخمن بأن ما ذكره الرحالة العرب المسلمين كان عاماً دون الخوض في التفاصيل وذلك واضح من عدم ذكرهم لمعلم واضحة، قد يكون السبب المباشر في ذلك هو عدم مرورهم بها لصعوبة مسالكها فاكتفوا بالسماع عنها ومن ثم الإشارة إليها .

إن القصر البيزنطي في منطقة قصر المقدم او (قلعة بني أقديم) والذي التصق أسمها بالقرية المجاورة له والذي تم إعادة استخدامه في الفترة الإسلامية المبكرة جداً والذي لازال قائماً منه جزء كبير حتى اليوم، لم تتم الإشارة إليه⁽⁶¹⁾، وكذلك يمثل حصن توكره في رأي جودشايلد **Goodchild** الذي قام بالإشراف على الحفريات التي قامت بها مصلحة الآثار الليبية بالمدينة عام 1962-1965م آخر موقع للبيزنطيين في توكره قبل سقوطها بيد العرب الفاتحين كما يؤكد على نسبته إلى بدايات الفتح لإقليم برقة .⁽⁶²⁾ بالإضافة إلى قصر المعزية الفاطمي هو ثاني القصور الفاطمية ببرقة، ولم يشر إليه الرحالة، بينما ذكره أحد المؤرخين القدامى بوضوح واصفا إياه بقصر المعزية.⁽⁶³⁾ ولا ننسى المقابر الإسلامية وأثرها الواضح على تأصيل الحضارة الإسلامية بالإقليم، حيث أكتفى بالذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، قبر رويغ بن ثابت الأنصاري وأُخلف في مكان دفنه بين المرج والبيضاء، وقبر الصحابي زهير بن قيس البلوي بمدينة درنة، في الوقت الذي انتشرت فيه العديد من المقابر الإسلامية المبكرة والتي لم تتم الإشارة إليها لا من قريب ولا من بعيد، وهي واضحة المعالم ولم يتم الكشف عنها لا بالحفريات ولا عن طريق الصدفة بل كانت بالأصل واضحة للعيان، ويوجد الدليل المادي المتمثل في مقبرة طرغونية المعروفة بمقبرة الصحابة وشواهداها ومقابر مدينتي مسه وشحات علاوة على ما تزخر به متاحف الإقليم من تلك الشواهد الإسلامية المبكرة .

وتتضمن مقبرة طرغونية ما يزيد عن خمسة عشر شاهداً، منها ما هو مؤرخ بالقرنين الرابع والخامس الهجريين، وجاءت أشكالها عموماً على النحو التالي: منها ما اتخذ الشكل المستطيل والمربع وعليها كتابات بالخط الكوفي الغائر والبارز، ومنها ما اتخذ شكل القمع أو الرأس المعمم أو مقبض السيف، ومنها ما اتخذ شكلاً مركباً مع وجود خطوط عرضية وطولية متقاطعة لتعطي أشكالاً هندسية عدة .

أما عن مقابر مدينة مسه فقد وجدت بالمدخل الشرقي للمدينة شواهد كاملة متناثرة ليس كما هو الحال في طرغونية، مع وجود كتابات تكاد تكون كاملة غائرة في ثلاثة أسطر تشتمل على يوم الوفاة الأحد والشهر شوال ومؤرخ بسنة 61هـ/ 680م مع الدعاء للمتوفى والفاتحة بالإضافة لبعض الشواهد الغير مؤرخه على هيئة مقبض السيف والرأس المعمم.⁽⁵⁴⁾

أما ما يخص شواهد قبور مدينة شحات فهي محفوظة بالمتحف ومنها شاهد يرجع للقرن الأول الهجري، وآخر للثاني الهجري، وآخر للثالث الهجري، والرابع والخامس الهجري، وكتابتها كانت بالخط الكوفي الغائر والبارز وبنفس التفاصيل السابق ذكرها. ⁽⁶⁵⁾

ومن خلال ما مرّ بنا من ذكر للآثار عن الرحالة الأجانب فقد كشفوا النقاب عن بنغازي ودرنه وسوسه ولكن تم إغفال قلعة توكرة العثمانية والغير مؤرخه والتي أُعيد استخدامها في الفترة الإيطالية ولا زالت شامخة إلي اليوم، كما أشار هؤلاء الرحالة إلي صهاريج بركة وآبارها، وقصر القيقب وُوصف كما هو عليه اليوم إذا استثنينا أحد الأبراج المهدم والذي أعيد بنائه، ولا ننسى قلاع كل من المرج وبنغازي .

كما جاءوا على ذكر العمارة الدينية المتمثلة في الجامع العتيق بدرنه ومسجد المرج، اللذين اكتفينا بذكرهما كمثال، لأن المساجد الموجودة اليوم والتي ترجع للفترة العثمانية عديدة، ففي درنة مثلاً الجامع العتيق وجامع رشيد 1882م ومسجد الزاوية 1846م، ومسجد حمد الشتيوي بالمرج 1861م، بالإضافة للزاوية السنوسية التي انتشرت بالإقليم في الفترة العثمانية .

وضمن هذا المبحث سنسوق مثالين بإيجاز للآثار التي لم يتم ذكرها في تلك الرحلات، النموذج الأول يمثل العمارة الحربية ببرقة، والثاني يمثل النقوش الكتابية الدينية وبخاصة شواهد القبور .

(أ) قلعة المعزية (العزيات) :

تقع هذه القلعة جنوب مدينة درنة بقرية العزيات جنوب شرق الجبل الأخضر، وتُنسب إلي الفاطميين عند انتقالهم إلي مصر، وهي ثاني القلاع الفاطمية ببرقة؛ وتم ذكر القلعة عند المؤرخ ابن أبي دينار كمحطة من محطات المعز التي نزل بها بما نصه: «...ورحل عنها ونزل بقصره الذي بُني له باجداييه ورحل من اجداييه فنزل بقصره المعروف بالمعزية في برقة»⁽⁶⁶⁾.

والنص السابق يشير إلي شيئين مهمين: الأول شهرة القلعة بأسم المعزية، والثاني عدم ذكر محطة أساسية لتوقف المعز عدا هاتين المحطتين ببرقة، ونستطيع ربط العلاقة بين أسم القصر المعروف الآن والمنطقة الموجودة بها، وبين أسم الخليفة المعز والذي يبدو أنه قد حُرّف بمرور الزمن من المعزية إلي العزيات .

تقع القلعة في المركز تماما من أسوار متعددة وبحالة متهالكة، وهي من الخارج على شكل مربع بأبعاد 15.5م×15م، والأسوار تأخذ شكلاً منحرفاً وبارتفاع 7م، بحيث تأخذ الأسوار اتساعاً من ناحية القاعدة، وتأخذ في الضيق كلما اتجهت إلي أعلى، معطية القلعة شكلاً خارجياً هرمياً .

يتم الدخول إلي القلعة من مدخلين، الأول من الجهة الجنوبية بارتفاع مترين متصل بممر مسقوف بقبو جملوني تعلوه فتحة مثلثة الشكل للإضاءة، والمدخل الثاني يقع باتجاه الشرق ويفتح في بهو القلعة الذي يفضي إلي قاعة مربعة مسقوفة بقبة، ومما يثير الاهتمام وجود فتحة على هيئة نافذة بمنتصف البهو بالجدار الغربي يتم الانتقال عن طريقها بدرج ينتهي إلي سطح القلعة وبشكل سري، ويأخذ الدرج قلبتين للوصول إلي السطح .

(ب) شاهد قبر طاهر بن علي مؤرخ بسنة 359هـ/ 969م

يقف هذا الشاهد المستطيل الشكل، والمحفوظ بمتحف آثار البيضاء والمسجل تحت رقم (274)، دليلاً على الوجود الفاطمي ببرقة في التاريخ المذكور، وذلك من خلال أسلوب الكتابة الفاطمية وعدد الأسطر التي بلغت أحد عشر سطراً، وكذلك الخط الكوفي المورق والمزهر الذي أُستعمل في كتابة الشاهد، ونفذت الكتابة بالحفر الغائر، ومادة الشاهد من الحجر الجيري المحلي، وما يبرز هذا الشاهد عن الأمثلة الكثيرة في برقة أنه مؤطر وكأنه وضع داخل برواز.

قراءة الشاهد :

بسم الله الرحمن الرحيم

حييم لا اله إلا الله و

حده لا شريك له

محمد عبده ور

سوله... السماوا

ت والأرض ...

قبر طاهر بن علي تو

في شهر رمضان

من سنة تسع وخمسين

وثلاثمائة....

رضي الله عنه

الخاتمة:

- لم تحظ الآثار الإسلامية بنفس القدر من الاهتمام الذي حظيت به الآثار الكلاسيكية، حتى في رحلات الرحالة الأجانب، أيضاً على مستوى البحث والتنقيب، فالمرسوم الملكي الإيطالي المؤرخ في 6 فبراير 1913م والذي كان مليئاً بالثغرات حيال المعالم الإسلامية نسباً لها أهمية أقل مما نالتها الآثار الكلاسيكية، علي الرغم من أن هذه الأخيرة كانت مغطاة ولم يجر الكشف عنها بعد .⁽⁶⁷⁾

- لا مجال للشك في أن الإقليم غني تاريخياً وحضارياً في العصر الإسلامي، هذه الفترة التي غالباً ما يتجنبها الدارسون، إما لشح المعلومات أو لمضاعفة الجهد المبذول للوصول إلي حقائق واضحة فيها .

- مرّ بإقليم برقة العديد من الرحالة العرب المسلمين الذين سجلوا ملاحظاتهم عنه، ولكن في العموم لم يكن وصفهم لتلك الآثار التي شاهدوها دقيقاً، بل كان عاماً مما جعلنا نظن بأنهم لم يقفوا على كثير منها واكتفوا فقط بالسماع عنها؛ ولكننا لا ننكر إسهامهم والذي وصل إلي حد تفسير بعض الظواهر المعمارية المعمول بها آنذاك عندما تطرقوا إلي التسقيف واتخاذ الأقباء بدلاً من الأسقف المسطحة، والتي كان من السهل تلفها أمام كثرة هبوب الرياح بمدينة اجدايبة .

- كان الرحالة الأجانب أكثر دقة ولكنهم أيضاً أهملوا الكثير من الآثار الماثلة في الإقليم آنذاك واكتفوا بأشهر المعالم .

- تتبعاً لما ذكر عند الرحالة الأجانب عن الآثار الإسلامية المبكرة خصوصاً لمسننا منهم اضطلاعاً لما كتب عن الإقليم في الفترة الإسلامية، واشهر المصادر الجغرافية لذلك كانوا أكثر توفيقاً، ولا أدل على ذلك من وقوفهم على معالم ذكرت بعينها في كتب الرحالة والجغرافيين العرب المسلمين .

- بمقارنة ما ذكر من معالم أثرية بالإقليم عند الرحالة العرب والأجانب وما هو ماثل اليوم لاحظنا أنهم عكفوا على العديد منها ولكنهم أهملوا جزءاً كبيراً أيضاً .

- وأخيراً نوصي بصون المعالم الحضارية الباقية من الفترة الإسلامية وحمابتها، وإعداد كتالوجات متخصصة بها من قبل المختصين للتعريف بها وبيان أهميتها، والسعي لإعداد موسوعات علمية وتنظيم لقاءات بين المختصين في التاريخ والحضارة والآثار الإسلامية في ليبيا، في شكل مؤتمرات وندوات علمية وورش عمل يتم رعايتها من قبل المؤسسات العلمية وعلى رأسها الجامعات والمراكز البحثية .

الهوامش

- 1- بطوليمبوس: جغرافية كلاوديوس بطوليمبوس، تر محمد الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 2004، ص57 .
- 2- نفس المصدر ص 60 .
- 3- فرانسوا شامو: الإغريق في برقة، تر محمد الوافي، جامعة قاريونس، بنغازي، ط1 1990م، ص 21 .
- 4- ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، مكتبة المثنى، بغداد، ليدن، ص170- 171 .
- 5- ابن سعيد المغربي: بسط الأرض، تح اخوان قرنيط خينيس، قطوان، 1958م، ص81 .
- 6- استرابون: جغرافية استرابون، تر محمد الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 2003م، ص114-119 .
- 7- المصدر السابق: ص57، 87، 88 .
- 8- اليعقوبي: البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 2002، ص 181، 182 .
- 9- ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج1، دار صادر بيروت، 1979م، ص 389 .
- 10- ابن الفقيه: كتاب البلدان، تح يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط1 1996م، ص 132 .
- 11- اليعقوبي: البلدان، ص 181.
- 12- الاضطري: المسالك والممالك، تح محمد الحسيني، وزارة الثقافة، 1961م، ص 33 .
- 13- ابن خرداذبة: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، د ت، ص 91.
- 14- الحشاشي: جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تح علي مصطفى المصراقي، دار لبنان بيروت، ط1، 1965م، ص99.
- 15- الحموي: معجم البلدان، مج 1، ص388.
- 16- البكري: المسالك والممالك، ج2، تح ادريان فان ليوفن واندرلي فيري، الدار العربية للكتاب، 1992م، ص650.
- 17- نفس المصدر، ص 650.
- 18- ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص201.
- 19- البلاذري: فتوح البلدان، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1 2008، ص 209 .
- 20- ابن عبدالحكم : فتوح مصر، ص171 ، ابن غلبون: التذكار، تح ايمن البحري، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط1 1998م، ص 20، 21.
- 21- ونيس بولطبعة: الأهمية الإستراتيجية العسكرية والاقتصادية لإقليم برقة 4-1 هـ دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2014م، ص63.
- 22- البلاذري: فتوح ، ص 209 .
- 23- ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 69 .
- 24- الحموي : معجم البلدان، مج 1، ص 574-573.

- 25- البكري : المسالك والممالك، ج2، ص 651-650.
- 26- البعقوبي : البلدان، ص 181 . محمد المرتضى: المعالم الأثرية الإسلامية بالجبل الأخضر، مجلة آثار العرب، العدد 3، سبتمبر، طرابلس، 1991م، ص66.
- 27- الحشاشي : جلاء الكرب، ص 98.
- 28- ابن حوقل، صورة الارض، ص 69.
- 29- البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 651 .
- 30- نفس المصدر، ص 649.
- 31- البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص 56.
- 32- العياشي: الرحلة العياشية، مج1، تح سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، ابوظبي، ط1 2006م، ص 203.
- 33- البكري المسالك والممالك، ج2، ص 651.
- 34- الحموي ، معجم البلدان، مج 4، ص 16.
- 35- ابن سعيد، بسط الأرض، ص 81.
- 36- البعقوبي: البلدان، ص 181.
- 37- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3 1991م، ص 224.
- 38- البكري: المسالك والممالك، ج2، ص650-651.
- 39- نفس المصدر، 651.
- 40- الحميري: الروض المعطار، إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، دار القلم، 1975م، ص 11.
- 41- ماتوزيو: رحلة الي طرابلس وبرقة، تر جمعه عطيه حسين، جامعة قاريونس، بنغازي، ط2 2002م، ص 161.
- 42- نفس المصدر، 185.
- 43- ريمون باشو: رحلة الي مرمرة وقورنيه وواحتي أوجله ومراده، تر مفتاح المسوري، دار الجيل، بيروت، ط1 1999م، ص 156، 205.
- 44- غيرهارد رولفس: رحلة من طرابلس إلي الإسكندرية، عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين، ط1 2002م، ص 185.
- 45- باشو، ص 156.
- 46-James Hamilton, wandering in north Africa, p.173-7
- 47- رولفس : رحلة من طرابلس الي الاسكندرية، ص 186- 187 .
- 48-Hamilton : wandering in north Africa, p. 55 .
- 49- محمد عبدالكريم الوافي: منهج البحث في التاريخ، جامعة قاريونس، بنغازي، 1990م، ص 67 .

50- Giuseppe Haiman , Cirenaica, p. 1145.

51- باشو، ص 409

52- عبدالله الرحبيبي : دراسات في آثار ليبيا الإسلامية، جامعة قاريونس، بنغازي، 2009م، ص 54

53- باشو، ص 95.

54- الرحبيبي : دراسات في آثار ليبيا الإسلامية، ص 52-53.

55- Geoffrey Furlonge: The Lands of Barbary, p. 12 .

56- Hamilton wandering in north Africa, pp. 188-189.

57- G. Good child : Cyrene and Appolonia, P. 29.

58- البلدان، ص 181 .

59- المسالك والممالك، ج2، ص651-650 .

60- جلاء الكرب، ص 98 .

61- Smith M. and Prcher,E.A: History of the recent discoveries at Cyrene, P. 22.

62- Goodchild R.G : Excavation in progress, p5

انظر التفاصيل: ونيس بولطبعة، الأهمية الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية لاقليم برقة، ص 210-212 .

63- ابن أبي دينار: المؤنس في اخبار افريقة وتونس، دار المسيرة، لبنان، ط3 1993م، ص 82 . الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دراف المحددة، لندن، ط 3 1985م، 257 .

64- عدد من هذه الشواهد محفوظ بالجمعية التراثية بمدينة مسة (جمعية عين الصقر).

65- يوجد دراسة وافية للدكتور ونيس بولطبعة بعنوان : شواهد القبور بإقليم برقة في العصر الإسلامي. المبكر دراسة تاريخية وأثرية، جاءت على هامش المؤتمر الوطني التاريخي الأول (برقة عبر العصور)، جامعة بنغازي، كلية الآداب والعلوم 9-8/أكتوبر/2017م.

66- ابن أبي دينار، المؤنس، ص 82.

67- سعيد علي حامد: دور بعض العلماء الإيطاليين في الاكتشافات الأثرية في ليبيا، المركز الوطني للمحفوظات التاريخية، 2010م، ص 13 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر العربية:

- 1- ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقة وتونس، دار المسيرة، لبنان، ط3 1993 م .
- 2- ابن حوقل: صورة الارض، دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، 1992 م .
- 3- ابن خردذابه: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، د ت .
- 4- ابن سعيد المغربي: بسط الأرض في الطول والعرض، تح. اخوان قرنيط خينيس، قطوان، 1958م.
- 5- ابن عبد الحكم: فتوح مصر واخبارها، مكتبة المثنى، بغداد، ليدن، 1930 م .
- 6- ابن الفقيه: كتاب البلدان، تح . يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1996 م .
- 7- الاصطخري: المسالك والممالك، تح. محمد جابر الحسيني، وزارة الثقافة، 1961م .
- 8- البكري: المسالك والممالك، ج2، تح ادريان فان ليوفن، واندرى فيري، الدار العربية للكتاب، 1992م.
- 9- البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت .
- 10- البلاذري: فتوح البلدان، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1 2008، ص 209 .
- 11- الحشاشي: جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تح. علي مصطفى المصراقي، دار لبنان، بيروت، ط1، 1965 م .
- 12- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح. إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت، دار القلم للطباعة، 1975 م .
- 13- العياشي: الرحلة العياشية، مج1، تح سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، ابوظبي، ط1 2006م، ص 203.
- 14- ابن غلبون: التذكار، تح ايمن البحري، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط1 1998م
- 15- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3 1991 م .
- 16- البعقوي: كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م
- 17- ياقوت الحموي : معجم البلدان، مج 1، دار صادر، بيروت، 1979 م .

ثانياً- المراجع العربية:

- 18- سعيد علي حامد: دور بعض العلماء الايطاليين في الاكتشافات الاثرية في ليبيا، المركز الوطني للمحفوظات التاريخية، 2010 م .
- 19- الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دراف المحددة، لندن، ط3، 1985 م .
- 20- عبد الله الرحيبي : دراسات في آثار ليبيا الإسلامية، جامعة بنغازي، ليبيا، 2009 م .
- 21- محمد عبد الكريم الوافي : منهج البحث في التاريخ، جامعة قاريونس، بنغازي، 1990 م .
- 22- محمد حسين المرتضي: المعالم الأثرية الإسلامية بالجبل الأخضر، مجلة آثار العرب، العدد3 سبتمبر، طرابلس، 1991 م .

23- ونيس بولطبعة : الأهمية الإستراتيجية العسكرية والاقتصادية لإقليم برقة 4-1 هـ رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2014م .

24- ونيس بولطبعة : شواهد القبور بإقليم برقة في العصر الاسلامي المبكر(دراسة تاريخية اثرية في الشكل والمضمون)، المؤتمر الوطني التاريخي الأول «برقة عبر العصور»، جامعة بنغازي- كلية الآداب والعلوم (المرج)، 2017/10/9-8 م .

ثالثاً- المصادر الأجنبية المترجمة:

25- استرابون: جغرافية استرابون (وصف ليبيا ومصر)، تر. محمد المبروك الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 2003 م .

26- بطوليموس: جغرافية كلاوديوس بطوليموس (وصف ليبيا ومصر)، تر. محمد المبروك الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004م

27- جان ريمون باشو: رحلة إلى مرمرة وقورنيه وواحتي أوجله ومراده، تر مفتاح المسوري، دار الجيل، بيروت، ط1 1999م،

28- غيرهارد رولفس: رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، تر. عماد الدين غانم، مركز جهاد اللبيني، ط1، 2002 م .

29- فرانسوا شامو: الإغريق في برقة، تر. محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 1990 م .

30- ماتويزيو: رحلة إلى طرابلس وبرقة، تر. جمعة عطية حسين، جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 2002 م .

رابعاً- المراجع الأجنبية:

31.R.G. Goodchild :Excavation in progress, 1964-

32- R.G. Good child : Cyrene and Apollonia , history guide 2nd Ed dept of Antiquities ,1965

33- (Giuseppe Haiman : Cirenaica, Milano, Hoepli, (1866

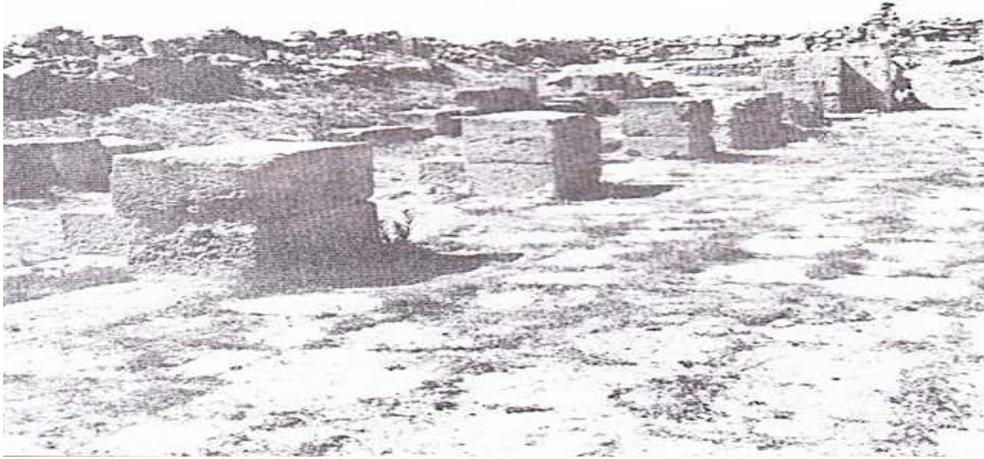
34-Geoffry Furlong, The Lands of Barbary, London, John Murry,(1966).

35- (James Hamilton, Wandering in north Africa, London, jhon Murry, (1856

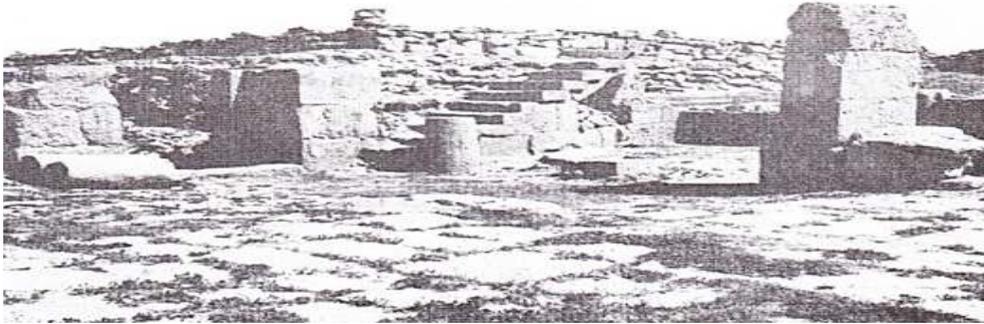
36-Smith M. and Porcher ,E.A :history of the recent discoveries at Cyrene ,1864.

ملحق اللوحات

اللوحة رقم 1،2	جامع اجدابية وجزء من بقايا المئذنة وأسلم المؤدي اليها .
اللوحة رقم 3	بقايا من جامع سلطان .
اللوحة رقم 4	قصر اجدابية الفاطمي، يوضح جزءا من الابراج وقاعة العرش .
اللوحة رقم 5	قلعة المعزية او قصر العزيات .
اللوحة رقم 6	قلعة القيقب العثمانية ، جانب من السور الشمالي الغربي والبرجين الاسطوانيين .
اللوحة رقم 7	قلعة توكرة العثمانية
اللوحة رقم 8	شاهد قبر كتابي مؤرخ ب 334هـ/945م ذو كتابة كوفية مورقة منفذ بالحفر الغائر بمتحف شحات .
اللوحة رقم 9	شاهد قبر كتابي مؤرخ ب 335هـ/946م ذو كتابة كوفية مورقة متطورة منفذ بالحفر الغائر بمتحف شحات .
اللوحة رقم 10	شاهد قبر كتابي مؤرخ ب 359هـ/969م ذو كتابة كوفية مورقة ومزهرة ومبروز باطار نفذ بالحفر الغائر بمتحف البيضاء .
اللوحة رقم 11	شاهد قبر مؤرخ ب 369هـ/979م ذو كتابة كوفية قليلة منفذ بالحفر الغائر بمتحف شحات .
اللوحة رقم 12	شاهد قبر صامت مستطيل الشكل زخرفته هندسية منفذ بالحفر الغائر بمتحف البيضاء .
اللوحة رقم 13	شاهد قبر صامت مجسم مزخرف بخطوط متقاطعة بالحفر الغائر بمتحف البيضاء
اللوحة رقم 14	شاهد قبر صامت ذو رقبة ورأس معمم مزخرف بخطوط بالحفر الغائر بمتحف البيضاء .
اللوحة رقم 15	شاهد قبر صامت معمم ايضا ولكن خطوطه اقل رقة و يستند على رقبة نحيفة منفذ بالحفر الغائر بمتحف البيضاء .



اللوحة رقم (1)



اللوحة رقم (2)



اللوحة رقم (3)



اللوحة رقم (4)



اللوحة رقم (5)



اللوحة رقم (6)



اللوحة رقم (7)



اللوحة رقم (8)



اللوحة رقم (9)



اللوحة رقم (10)



اللوحة رقم (11)



اللوحة رقم (12)



اللوحة رقم (13)



اللوحة رقم (14)



اللوحة رقم (15)

الحركة الثقافية في إقليم برقة وطرابلس في العصر الفاطمي

د. حنان العجيل الغويل

جامعة عمر المختار

الملخص:

شهد إقليم برقة وطرابلس في العصر الفاطمي، نشاطاً علمياً متعدد الجوانب، في شتى العلوم، حيث قامت المؤسسات الثقافية من مساجد وكتاتيب وأربطة بدور بارز في إثراء الحياة العلمية بالإقليم، إلى جانب شغف علماء برقة وطرابلس بتدريس العلوم الدينية واللغوية والأدبية وعلم التاريخ والفلك، ولم يقتصر دورهم على التدريس، وإنما أضافوا إلى التراث العلمي نصيباً وافراً من المصنفات القيمة، وبذلك خلف لنا علماء تلك الحقبة تراثاً فكرياً، وإبداعاً علمياً يتسم بروح الأصالة، وينطق بجدارة علماء ذلك العصر.

In the Fatimid period, the province of Cyrenaica and Tripoli witnessed a multi-faceted scientific activity in various sciences, where cultural institutions, mosques, Kuttab and other played a prominent role in enriching the scientific life in the region. As well as the passion of scientists in Tripoli and Cyrenaica to teach religious, linguistic and literary sciences, history and astronomy sciences. Their role was not limited to teaching. They added to the scientific heritage a large share of valuable works. The scholars of that era left us with an intellectual heritage, an original scientific creativity, and present the academic abilities of the scholars in that time

المقدمة

حظى إقليم برقة وطرابلس بأهمية كبيرة في تاريخ المغرب الإسلامي، إن لم يكن في تاريخ العالم الإسلامي قاطبة، بحكم موقعه الجغرافي، فعن طريقه تقدم المسلمون لفتح المغرب، وانتشرت القبائل الإسلامية في ربوع المغرب تحمل معها عقيدتها ولغتها وحضارتها.

وعلى الرغم من هذه الأهمية إلا أن الحركة الثقافية بالإقليم تفتقر إلى دراسة متخصصة متكاملة، وانطلاقاً من هذا جاء اختياري لهذا البحث، ومن المشكلات الأساسية التي واجهتني في أعداده هي ندرة المصادر التي يمكن من خلالها كشف النقاب عن الحركة الثقافية بالإقليم إبان الحقبة التاريخية المراد دراستها.

ومهما يكن من أمر فقد حاولت طرح هذه الدراسة من خلال ما هو متاح من نصوص مصدرية متناثرة، متبعة المنهج التاريخي الموضوعي بهدف بيان مدى إسهامات المؤسسات التعليمية وعلماء برقة وطرابلس في ازدهار الحياة العلمية في تلك الفترة واثرائها بالمصنفات القيمة.

ومن المصادر التي أفادت الدراسة كتب الرحلات، التي يأتي في مقدمتها « رحلة التجاني » التي قام بها من سنة 706 - 708 هـ / 1306 - 1308 م، حيث أورد معلومات ثقافية عن المساجد والأربطة وعلماء الإقليم في الحقبة التاريخية المراد دراستها.

كذلك كتب التراجم والطبقات التي أثرت الدراسة، إذ أنها أمدتني بإشارات ومعلومات هامة افتقرت إليها المصادر الأخرى، فاستفدت بشكل كبير من كتاب رياض النفوس « للملكي (ت 494 هـ / 1100 م) حيث يعتبر من أقدم ما بين أيدينا من المؤلفات عن المغرب، وترجم لعلماء إفريقية طبقة طبقة.

وبالإضافة إلى ذلك هناك العديد من الدراسات والمراجع الحديثة التي تحدثت عن برقة وطرابلس خلال الحقب الإسلامية وإن كانت جلها قد ركزت وبشكل كبير على الأوضاع السياسية، ومن هذه المراجع التي استفدت منها: كتاب النشاط الثقافي في ليبيا لأحمد مختار عمر، وهو كتاب يتناول الدور الثقافي للبيبا الإسلامية معدداً أعلام الثقافة في برقة بشكل عام وطرابلس بوجه خاص، حيث تناول أبرز العلماء الذين ظهوروا في هذه المنطقة ابتداء من القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن العاشر الهجري.

وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى محورين، تناولت في المحور الأول: المؤسسات الثقافية من مساجد وكتاتيب وأربطة، ومدى مشاركتها في ازدهار النشاط الثقافي، وتحدثت في المحور الثاني: عن العلوم الدينية واللغوية والأدبية من شعر ونثر، فضلاً عن علم التاريخ والفلك، وأهم مؤلفات علماء كل علم ودورهم في نشر علومهم في عصر الفاطميين، وفي الخاتمة عرضت لأهم النتائج التي توصلت إليها.

لمعرفة نمط الحركة الثقافية في إقليم برقة وطرابلس فترة الفاطميين لابد أن نتناول أهم المؤسسات الثقافية مثل: المساجد، والكتاتيب، والأربطة، ومدى دورها في الازدهار الحضاري، كذلك نذكر العلماء المحليين والوافدين على الإقليم، وإسهاماتهم الثقافية في شتى العلوم.

المؤسسات الثقافية:

لقد أسهمت المؤسسات الثقافية في نمو النشاط الثقافي في الإقليم، وإن تفاوتت في القدر الذي أسهمت به إلا أنه لكل منها أثره في تشجيع الحركة الثقافية، ويأتي في مقدمة تلك المؤسسات المساجد التي تعد من أهم المباني الإسلامية، إذ حرص المسلمون على تشييدها في كل موطن يطأه الإسلام، ولم يقتصر دورها على العبادة فقط؛ بل قامت بدور تعليمي بارز حيث كان يقصدها الطلاب من كل مكان، للأخذ من العلماء في شتى المعارف الدينية⁽¹⁾.

وكانت المساجد منتشرة في الإقليم، ولم تخل مدينة أو قرية من مسجد أو أكثر، ونستشف ذلك من قول التجاني: أن مساجد مدينة طرابلس « لا تحصى كثرة، وهي تكاد تناهز الدور عدة » واستكمل قوله: « وبخارج البلد مساجد كثيرة مشهورة بالفضل»⁽²⁾، كذلك ذكر ساحل البحر من طرابلس إلى جنزور وما فيه من مساجد بقوله: « وعلى هذا الساحل مساجد كثيرة »⁽³⁾.

ويصف سمير خضيري المساجد في برقة بأنها: تتألف من مبنى مربع الشكل، متوسط المساحة، يحتوي سقفه على بعض القباب مخروطية الشكل، ويميل في ارتفاعه إلى الانخفاض⁽⁴⁾.

وأولت الدولة الفاطمية اهتماماً بالمساجد، فنجد مسجد «بست» ببرقة يرجع للعصر الفاطمي⁽⁵⁾، ومسجد أجدابية الذي أطلق عليه عدة أسماء منها: مسجد الفاطمي أو الشيعي⁽⁶⁾، وبعد الجامع الكبير في طرابلس من المساجد التي شيّدت في عصر الأغالبة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، ثم قامت الدولة الفاطمية بتوسيعته⁽⁷⁾ في عصر الخليفة عبيدالله المهدي، حيث قام العالم الطرابلسي خليل بن اسحاق بن ورد (ت 332هـ/943 م)، ببناء منار للجامع متسعاً ومرتفعاً و قائماً من الأرض على أعمدة مستديرة⁽⁸⁾.

وهناك جامع الناقة الذي بناه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، إذ يذكر عند مرور الخليفة المعز بطرابلس سنة (972/362م) متوجهاً إلى مصر، أهدى أهل المدينة ناقة محملة بالذهب، فبنوا بهذه الأموال هذا الجامع؛ ولذا سمي بجامع الناقة⁽⁹⁾.

ويتجلى دور المسجد في النشاط الثقافي، إنه كان مركزاً يوج بالعلماء والفقهاء وطلاب العلم، فكان علي بن أحمد بن زكريا المعروف بابن زكرون الطرابلسي (ت 370هـ/980 م) من علماء الفقه والحديث والنسك، يسكن مسجد المجاز بطرابلس، وروى عنه جماعة من علماء إفريقية ومصر والأندلس⁽¹⁰⁾، كما كان أبو عبدالله محمد بن حسن الزويلي السرتي (ت 383 هـ/993 م) - من أهل العلم والقرآن والفرائض - يجلس في مؤخرة الجامع، ويجتمع إليه الناس ويفتيهم في المسائل⁽¹¹⁾.

كما كانت المساجد ملتقى للعلماء والحجاج الوافدين على إقليم برقة وطرابلس والمارين به، إذ كان بعض العلماء والصالحين يلزمون الجلوس بها، فقد سئل المؤدب محرز ابن خلف (ق 4هـ/10م) بعد عودته من الحج إلى إفريقية عن من لقي من الصالحين؟ فقال: رأيت بطرابلس رجل وامرأة، أما الرجل فهو أبو عثمان الحساني (ت 362هـ/972م)، وأما المرأة فسمدونة (توفيت ق 4 هـ / 10 م) إذ كانت عجوزاً صالحة تسكن مسجد الشعاب، ويزورها الشيخ أبو نزار خطاب البرقي ويعتقد بركتها⁽¹²⁾. وتعد الكتابات من أهم المؤسسات الثقافية لتلقي التعليم الديني، وقد اشتق اسم الكتاب من التكتيب وتعليم الكتابة⁽¹³⁾، والكتاتيب بمثابة مدارس ابتدائية لتعليم الصبية القرآن الكريم ومبادئ الدين والأخلاق، وهؤلاء عادة ما تكون أعمارهم ما بين الخامسة والسادسة عند التحاقهم بالكتاب، وتقام الكتابات في القرى والمدن⁽¹⁴⁾.

وكان الكتاب أول أمره في زاوية من زوايا المسجد أو أمام المحراب، ثم انفصل ليكون في مكان مستقل؛ لكرامية كثير من العلماء المسلمين وجود الصبية في المسجد؛ بسبب كثرة التشويش على المصلين، وعلى حلقات الدرس، كذلك لما يحدثونه من عبث بجدران المسجد وعدم مراعاتهم لقدسية المكان⁽¹⁵⁾، ويرى ابن سحنون أن مواد الدراسة في الكتاب تنقسم إلى مواد إلزامية، ومواد غير إلزامية يتم الاتفاق عليها بين ولي الأمر وبين المعلم، فتشتمل المواد الإلزامية على إعراب القرآن ورسمه والشكل و إتقان الهجاء والقراءة الحسنة من توقيف وترتيل، أما المواد التي لايلتزم المعلم بتعليمها للصبى فتشمل الحساب، والشعر والنحو⁽¹⁶⁾.

ولم نعثر فيما هو متاح من مصادر على معالم واضحة للكتاب في العصر الفاطمي في الإقليم، حتى أن أحد الباحثين بالغ في هذا قائلاً: أن النظام التربوي الفاطمي في المغرب لم يتبلور بوضوح؛ لأن حياتهم في المغرب كانت

تتسم بعدم الاستقرار وكثرة الاضطرابات والقلاقل⁽¹⁷⁾، وعلى الرغم من ذلك فإن الكتاب الفاطمي في الغالب لم يختلف دوره كثيراً عن ذي قبل، سوى في اتخاذه طابعاً مذهبياً شيعياً، يث من خلاله أفكار المذهب ومبادئه⁽¹⁸⁾.

ومن أشهر معلمي برقة أبو ركوة الوليد بن هشام، الذي اشتغل بتعليم الصبية القرآن، وتميز بعلمه ورواياته مما أتاح له فرصة التفاف الناس حوله من قبيلتا لواته وزناته وغيرها حتى بلغ الأمر بهم أن نصبوه إماماً يصلي بهم وحاكماً عليهم، بل وبايعوه بالخلافة، مما أصابه بالغرور فقام بالثورة على الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وساعده في ذلك اتخاذه المذهب السني في برقة منهجاً له معارضاً بذلك المذهب الشيعي الفاطمي⁽¹⁹⁾.

ومن مؤيدي طرابلس يونس بن أبي النجم (ت305هـ/917م) الذي كان يجلس مع أبو محمد عبدالله الشعاب في غرفته بمسجده المعروف بمسجد الشعاب في طرابلس⁽²⁰⁾.

ومن المؤسسات التعليمية أيضاً الرباطات ويعني مصطلح الرباط: « المكث في مواطن الضعف بقصد ارهاب العدو وحراسة المسلمين »⁽²¹⁾، ومع مرور الوقت صار الرباط مأوى يقيم به المنقطعون للعبادة⁽²²⁾، ويتكون الرباط من صحن حوله عشرات الغرف الانفرادية، وتنتهي بجامع كبير وصومعة مستديرة للأذان ومراقبة العدو وإقامة العلامات النارية ليلاً⁽²³⁾.

أما عن تكلفة بناء الرباط والإنفاق عليه فقد تكفلت بها الدولة نظراً لارتفاع نفقات التكلفة، بالإضافة إلى مساهمة الكثير من المقتدرين في المشاركة في البناء أو الإنفراد ببناء رباط على نفقتهم الخاصة⁽²⁴⁾، وهناك من يحبس بعض أمواله لتصرف على الرباط والمقيمين فيه⁽²⁵⁾. والغالب أن الفاطميين لم يحرصوا على تأسيس أربطة خاصة بهم بقدر ما حرصوا على السيطرة على الأربطة القائمة قبل عهدهم ونسبتها إلى أنفسهم، وهذا ما تؤكد رواية المالكي التي تشير إلى أنهم أمروا بإزالة أسماء الذين بنوا الأربطة وكتابة اسم الخليفة المهدي الفاطمي، وفي هذا الصدد نجد أول قضاة الفاطميين محمد بن عمر المرودي (ت303هـ/909م) يقوم بالإستيلاء على أموال الأقباس الموقوفة على المساجد والأربطة⁽²⁶⁾.

ويتضح دور الرباط في النشاط الثقافي في أنه يعد مدرسة للرجال وللنساء، ومعمل لصناعة الورق، ودار لنسخ الكتب، خصوصاً المصاحف وكتب الفقه والحديث احتساباً لوجه الله، بالإضافة إلى كونه منزلاً للمسافرين والحجاج⁽²⁷⁾.

كذلك لعب الرباط دوراً هاماً في استقبال الوافدين من العلماء ومما يدل على ذلك قول أبو عبدالله محمد بن هنتون إنه مضى للحج سنة (382هـ/992م)، ومر بأجدابية، ولقى العالم عبدالله محمد بن يحيى الأجدابي، وكان من أصحاب أبي اسحاق بن شعبان الفقيه المالكي، فباتا في رباط بربنيق يعرف باسم « ميلة » وتدارسا مسألة الكرامات وأقوال العلماء فيها⁽²⁸⁾.

ويذكر أن أبو إبراهيم بن العربي المتعبد (ت335هـ/946م) من عباد إفريقية، وأصله من برقة، كان يمر بها أثناء حجه ويقيم بها، وكان إذا خرج للرباط مع إخوانه، يشاور والدته، حيث كان باراً بها فيقول له أصحابه: مثل السير إلى الرباط وأبواب البر تشاور والدتك؟ فقال لهم: نترك ما هو أفضل من طاعة الوالدة، ونخرج فيما هو أتعب وأشقى علي وأقل أجراً⁽²⁹⁾.

ومن مرابطي طرابلس عبدالله بن محمد الأعمش المشهور بالعازب (ت306هـ/918م)، وكان من خيرة المتعبدين، وروى عن جماعة من العلماء⁽³⁰⁾.

العلوم والعلماء:

هياً موقع برقة وطرابلس الذي يتوسط أقطار العالم الإسلامي فرصة مرور العلماء والأدباء بالمنطقة، وخاصة في موسم الحج مما أتاح للطلاب والدارسين الذين لم تكن امكانياتهم تسمح لهم بالرحلة في سبيل العلم أن يلتقوا بهم فينهلوا من علومهم وثقافتهم، وبالمقابل يتيح للعلماء الوافدين تبادل الأفكار معهم فيفيدونهم ويستفيدون منهم⁽³¹⁾.

1 / العلوم الدينية:

لعب إقليم برقة وطرابلس دوراً مهماً في مجال العلوم الدينية، من خلال المشاركة في الإفتاء أو ابداء الرأي في مسائل معينة، وكان لانتشار المذاهب الفقهية أثر واضح على الحركة الدينية في عموم الإقليم، فقد اشتهر مذهب الخوارج و الإباضية و المعتزلة إلى جانب مذهب أهل السنة ثم الشيعة الذي قوي نفوذهم مع قيام الدولة الفاطمية، فقد أسهم فقهاء الشيعة ودعاتهم في إثراء الحركة الثقافية في الإقليم بشكل مباشر من خلال مؤلفاتهم، ومنهم: قاضي طرابلس الشيعي أفلح بن هارون الملوسي (ت300هـ/913م) الذي كان محدثاً وداعياً، وألف بعض الأعمال في الفقه الشيعي، إلا أنها اندثرت ولم تصلنا⁽³²⁾.

والقاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون (ت363هـ/973م) الذي تولى قضاء طرابلس سنة 336 هـ / 947 م ثم كلف بعقد مجالس الحكمة في قصر الخلافة كل يوم جمعة عقب صلاة الظهر، وإلقاء العلوم الدينية⁽³³⁾، ولديه العديد من المؤلفات مثل: كتاب الإيضاح في عصر الخليفة المهدي، وأورد فيه أحاديث عن المسائل الفقهية، وكتاب الأخبار، وكتاب الأروزة المنتخبة التي وضعها شعراً ليسهل على الطلاب حفظها في عصر الخليفة القائم بأمر الله⁽³⁴⁾. بالإضافة إلى أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت402هـ/1011م) الذي كان من أئمة علماء المالكية بالمغرب، وأملى بطرابلس كتابه في شرح الموطأ المسمى (بالنامي) وكذلك له الواعي في الفقه والنصيحة في شرح البخاري وغيرها، ومن كتبه التي وصلت إلينا كتاب الأموال في أحكام أموال الغنائم والأراضي التي يتغلب عليها المسلمون، وكتاب الأسئلة والأجوبة في الفقه⁽³⁵⁾، وأبو الحسن علي بن محمد بن المنمر الطرابلسي (ت432 هـ / 1040م) الذي وصفه التجاني بقوله: « الفقيه المشهور بفضله وعلمه ورئاسته »، ولد بطرابلس سنة (9348هـ/959م)، وتلمذ على يد عدد من شيوخ طرابلس ثم رحل سنة (9389هـ/998م) إلى مكة لحضور حلقات أهل الفكر والأدب، والتقى بالشاعر أحمد بن زريق البغدادي، وهو أول من أظهر السنة بطرابلس، وأمر بقطع عبارة (حي على خير العمل) من الأذان، وكذلك هو أول من أقام بطرابلس صلاة القيام وأول من صلى الضحى جهراً ولم يكن أحد من العالمين يصلها إلا متخفياً، وألف مجموعة من الكتب منها: الكافي في الفرائض⁽³⁶⁾، وقد تعرض أبو الحسن في آخر أيامه إلى بعض الضغوط لاشتراكه في خلافات سياسية بين بني خزرون وكان مصيره النفي من البلد واستباحة أملاكه، فترك طرابلس سنة (1038هـ/430م)، وتوجه للسكن في قرية من قرى مسلاته تدعى غنيمة أو غامية وظل بها إلى وفاته سنة (1040هـ/432م)⁽³⁷⁾.

كما ظهر في برقة بعض فقهاء الشيعة مثل: محمد بن سلام بن سيار الهمذاني (ت310هـ/922م)، وكان متفهماً في المذهب الشيعي⁽³⁸⁾، وأبو جعفر أحمد بن أبي عبدالله محمد بن خالد بن عبدالرحمن (ت376هـ/986م) الذي يرجع بأصله إلى الكوفة، سافر جده إلى برقة فولد ونشأ بها وله العديد من الكتب منها: في اختلاف الحديث، تفسير الأحاديث والأحكام، وأنساب الأمم، بنات النبي وأزواجه، مغازي النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرها⁽³⁹⁾.

ومن فقهاء أجدابية أبو جعفر أحمد بن خلف الأجدابي (ت391هـ/1001م) الذي تميز بأسلوب مثير في النقاش وبراعة في الجدل، كريم النفس محبوباً من الناس كافة⁽⁴⁰⁾.

و أبو محمد الحسن بن أبي العباس عبدالله بن عبدالرحمن الأجدابي (ت432هـ/1040م) أحد شيوخ المالكي

صاحب كتاب رياض النفوس، واشتهرت أسرته بالفقه والتاريخ⁽⁴¹⁾.

2 / العلوم اللغوية:

كان الإسلام باعثاً قوياً على اهتمام العرب بلغتهم وإيجاد القواعد لها، فبعد انتشار الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية وتوسع الفتوحات الإسلامية واختلاطهم بأقوام أخرى كثر اللحن في لغة العرب ومن أجل المحافظة على ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف من اللحن عملوا على إيجاد تلك القواعد⁽⁴²⁾.

وقد انتشرت اللغة العربية في إقليم برقة وطرابلس مما أدى إلى ظهور بعض اللغويين والنحاة منهم: أبو بكر محمد بن مؤمن بن محمد بن مؤمن الكندي (ت 962/835م) من نحاة برقة، كتب الحديث والنحو، وكان رجلاً صالحاً⁽⁴³⁾، وعبدالله بن عبدالله الأندلسي المعروف بالبرقي كان عالماً بالنحو واللغة وإماماً فيهما، وله مكانة عند الأمراء ومؤلفاته كثيرة، وكان الخليفة الحكم المستنصر يوقره ويعظمه⁽⁴⁴⁾، وكان أبو الحسن علي بن نصر بن سليمان البرنيقى (عاش في القرن 10/4م) نزيل مصر، نحويّاً فاضلاً مشهوراً بالأدب، وكتب بخطه الكثير، وكان الناس يتنافسون في جمال خطه⁽⁴⁵⁾، أما تسميته بالبرنيق نسبة إلى مدينة بين الإسكندرية وبرقة على الساحل⁽⁴⁶⁾.

ومن علماء طرابلس اللغويين في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبدالله الأجدابي اللواتي الطرابلسي⁽⁴⁷⁾، وإن كان ينتسب إلى أجدابية إلا أنه عاش ومات في طرابلس، ولذلك عرف بالطرابلسي⁽⁴⁸⁾ وصفه القفطي بأنه « من أهل اللغة وممن تصدر في بلده واشتهر بالعلم...وكانت له يد جيدة في اللغة وتحقيقها وإفادتها»⁽⁴⁹⁾، وقال عنه التجاني: «الفقيه أبو إسحاق هذا من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاماً وفقهاً ونحواً ولغةً وعروضاً ونظماً ونثرًا»⁽⁵⁰⁾، وقد أولى عناية فائقة بلقاء الوافدين والقيام على حسن ضيافتهم والانتفاع بعلمهم⁽⁵¹⁾، وله مؤلفات عديدة في شتى العلوم مثل: كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ، وكتاب في العروض، قال عنه التجاني: «ناهيك به حسناً وترتيباً وتهذيباً، وهو نسختان كبرى وصغرى»⁽⁵²⁾، وكتاب في شرح ما آخره ياء مشددة من الأسماء وبيان اعتلال هذه الياء، استوفى فيه أحكامها على اختلاف أحوالها من تصغير وتكبير وغير ذلك، وتعرض لشرح المقاطع الواقعة في سورة مريم لاشتغالها على كثير من تلك الأحكام، فجاء هذا التأليف غاية في الإفادة والتحقيق⁽⁵³⁾.

3 / الشعر والنثر:

على الرغم من قلة المعلومات عن الحياة الأدبية في الإقليم خلال فترة الدراسة إلا أنه سطع نجم الشاعر أبي العباس خليل بن إسحاق بن ورد في هذا العصر⁽⁵⁴⁾ وكان شاعراً مبدعاً، ذا شعر جيد⁽⁵⁵⁾، ولد بطرابلس ونشأ بها، وكان أول الأمر يطلب العلم والأدب، ويصحب الصوفية، وبيت في المساجد، وحينما ثار أهل طرابلس سنة (299هـ/911م) على الشيعة، تولى هو تعذيب أهلها واستخلاص أموالهم، وسار مع أبي القاسم بن المهدي لمحاربة أهل مصر وهناك ولاه جباية الأموال، والنظر فيها، وتولى صقلية في أول دولة القائم الفاطمي سنة (325هـ/937م)، ولما عاد من صقلية كانت نهايته على يد أبي يزيد مخلد بن كيداد أثناء ثورته على الفاطميين⁽⁵⁶⁾.

ومن شعره يمدح الخليفة عبيد الله المهدي الفاطمي بقوله:

قف بالمنازل واسألن أطلالها***ماذا يضريك إن أردت سؤالها

هل أنت أول من بكى في دمنة*** درست وغيرت الحوادث حالها

ومنها: صلى الإله على النبي محمد***وعلى الإمام وزاده أمثالها

إن الإمام قد أقام سنة جده*** للمسلمين كما حدوت نعالها

أحيا شرائعها وقوم كتبها*** وفروضها وحرامها وحلالها

وهدى به الله البرية بعدما*** طلب الغواة الظالمون ضلالها

إن الخلافة يا ابن بنت محمد*** حطت إليك عن النبي رحالها⁽⁵⁷⁾

وقد تأثر هذا الشاعر في بناء قصيدته بالشعر الذي ساد في العصر الجاهلي في المدح فبدأ بالغزل وبكاء الأطلال وأوصاف محبوبته التي تعلق بها لا تخرج عن الأوصاف العربية التقليدية، وخيال الشاعر في هذه القصيدة خصب ولهذا جاءت صورته الخيالية رائعة معبرة وتنوعت بين التشبيه والاستعارة والكتابة⁽⁵⁸⁾.

أما عن النماذج النثرية التي وصلت إلينا عن فترة الدراسة قليلة جداً، فلم تمدنا المصادر الأدبية والتاريخية إلا بالنزر اليسير⁽⁵⁹⁾، ورغم ذلك فقد وردت رسائل في كتاب سيرة الأستاذ جوذر تعبر عن النثر الأدبي في ذلك العصر، منها على سبيل المثال: رسالة من جوذر إلى الأمير عبدالله بن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وهو في طريقه إلى برقة يطلب فيها أن يسأل أمير المؤمنين أن يرسل إليه مدداً من السلاح والعدة، حتى يدخل مدينة برقة وحصنها بصورة بهية وقد قال لكتابه تعبيراً عن ذلك: «والواجب أن نجعل عسكرينا بالعدة والسلاح الشاكي، والزي الحسن، حتى يكون دخولنا تاماً بهياً، فأكتب إلى الأمير عبدالله صلى الله عليه وسلم، وتعرفه بذلك وتساءله سؤال مولانا عليه السلام بإنقاذ شيء من السلاح والعدة، زيادة على ما عندنا، وتعرفه أي أحب الوصول إلى القصر المبارك بهذا الزي»، وقد جاء رد الأمير عبدالله قائلاً: «سلمك الله، وأتم نعمته عليك، وتابع آلاه لديك، ومنع فقدك، وقضى لك بالحج إلى بيت الله الحرام، مع مولانا عليه السلام، انتهى إلينا كتابك، ... أن أمره نفذ إلى نصير الخازن ببعثه الجمال وصدراً كثيراً من السلاح لا حد له، وهو يصل إليك إن شاء الله ...»⁽⁶⁰⁾.

ومن أغراض النثر أيضاً آداب عامة وحكم ومواعظ فمن الأدب الصوفي قول أبي الفضل العباس بن محمد الصواف الغدامسي المتعبد (ت309هـ/921م): «ثلاثة أشياء تنبت النفاق في القلب كما ينبت الزرع على شاطيء الفرات: المنكر، والاختلاف إلى أبواب الحكام، واستماع الغناء»⁽⁶¹⁾.

4 / علم التاريخ:

أولى علماء برقة وطرابلس اهتماماً بالتاريخ الإسلامي، ومن أشهرهم: تميم بن خيران بن تميم السرتي (ت346هـ/957م) الذي كان عالماً بأخبار إفريقية وأنساب أهلها⁽⁶²⁾، كما كان أبو العباس عبدالله بن عبدالرحمن الأجدابي (ت384هـ/994م) عالماً فاضلاً عارفاً بالتاريخ⁽⁶³⁾.

وأبو عبدالله الحسين بن عبدالرحمن الأجدابي (ت432هـ/1040م) كان عالماً ثقة ومؤرخاً جليلاً⁽⁶⁴⁾، أما أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبدالله الأجدابي فهو من أعلم أهل زمانه واشتهر بكثرة تأليفه في فروع متنوعة من العلوم، ومنها في التاريخ: مختصر في علم الأنساب، اختصر فيه كتاب أنساب قريش لأبي عبدالله الزبير بن أبي بكر بن عبدالله بن مصعب الزبيري، وقد زاد فيه ابن الأجدابي بعض الإضافات⁽⁶⁵⁾.

5 / علم الفلك:

من علماء طرابلس في هذا العلم أبي الحسن علي بن محمد بن المنمر (ت432هـ/1040م)، ومع اتساع معارفه في علوم شتى فقد ألف في هذا العلم كما يذكر التجاني: «له تأليف في الحساب والأزمنة وغير ذلك»⁽⁶⁶⁾، ويعد أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبدالله الأجدابي من علماء طرابلس الذين نبغوا في هذا العلم

ومن أشهر مؤلفاته: كتاب « الأزمنة والأنواء»⁽⁶⁷⁾، وقد تحدث فيه عن الكثير من الأمور الفلكية، ومنازل الشمس والقمر، وأوقات الليل والنهار، والرياح والأنواء وغيرها⁽⁶⁸⁾. هكذا كان لعلماء برقة وطرابلس دوراً في مجال التأليف، والشرح والتلخيص، مما يعد تنوعاً ملحوظاً للحركة الثقافية السائدة آنذاك، إذ لم يكونوا بمعزل عن علماء عصرهم فاستفادوا وأفادوا.

الخاتمة:

نستنتج من خلال هذه الدراسة أن تلقي العلم اقتصر في المؤسسات الثقافية ألا وهي المساجد والكتاتيب والأربطة، فلم توجد مدارس نظامية في إقليم برقة وطرابلس خلال فترة الدراسة، كما قدمت تلك المؤسسات خدمات جليلة تمثلت في تقديم الطعام والإيواء للحجاج والمسافرين .

وقد شهد الإقليم رواجاً ثقافياً بفضل ما توفر لديه من علماء محليين وعلماء وافدين من البلدان الأخرى، وكان لهم دورهم في شتى مجالات العلوم والذي لم يقتصر على التدريس والشرح بل أسهموا في حركة التأليف، ولكن ما نأسف له ضياع بعض هذه المؤلفات، ولعل هذا أحد العوامل في قصور المعلومات المتوفرة لدينا عن تاريخ الإقليم وعلمائه .

الهوامش

- 1 - حسن علي حسن، الحياة الدينية في المغرب، القرن الثالث الهجري، القاهرة، 1985م، ص77.
- 2 - أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1981م ص254، 247.
- 3 - رحلة التجاني، ص218 - 220.
- 4 - سمير عبدالمنعم خضيري، العمارة الإسلامية في أوجله، جامعة عمر المختار، البيضاء، 2005م، ص15.
- 5 - عبدالفتاح رجب حمد بولبيص، تاريخ برقة الإسلامي في الفترة من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن العاشر الهجري (400-925هـ) ط1، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م، ص186.
- 6 - مصطفى السعيطي، مدينة أجدابية تاريخها وأعلامها، دار البيان، بنغازي، 2003م، ص33.
- 7 - عثمان الكعك، مراكز الثقافة في المغرب، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1958 م، ص116-117.
- 8 - رحلة التجاني، ص253.
- 9 - الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، ليبيا، 1968م، ص254.
- 10 - إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث، القاهرة، (1974/هـ1394م)، ج2، ص103، الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط3، 2004م، ص256، 257.
- 11 - أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس، د.ت، ج1، ص91، 92.
- 12 - رحلة التجاني، ص251، الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، ص176، ولم نعثّر فيما هو متاح من مصادر على ترجمة لمحرز بن خلف المؤدّب.
- 13 - حسن علي، الحياة الدينية، ص221.
- 14 - نجاح القابسي، المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي، مجلة كلية التربية، منشورات الجامعة الليبية، طرابلس، 1981م، العدد الرابع عشر، ص12.
- 15 - هاشم منصور مفتاح بدر، الحياة العلمية في إقليم برقة وطرابلس من قيام الخلافة الفاطمية إلى سقوط دولة الموحدية (296-668هـ/909-1269م) رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2012م، ص136-137.
- 16 - راجع محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، تونس، 1972م، ص42، 102.
- 17 - عبدالرحمن عثمان حجازي، التربية الإسلامية في القيروان في القرون الهجرية الثلاث الأولى، بيروت، 1997م، ص309.
- 18 - عبدالرحمن حجازي، التربية الإسلامية، ص346.
- 19 - الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، ص416.
- 20 - الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، ص421، 422.

- 21 - سمير عبد المنعم خضيري، الأربطة الباقية بالقاهرة خلال العصر المملوكي 648 - 923هـ، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1998م، ص 3 .
- 22 - حسن الباشا، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة، ص 126 .
- 23 - عثمان الكعك، مراكز الثقافة، ص 16 .
- 24 - إبراهيم بن موسى بن علي الطرابلسي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، مكة، 1406هـ، ص 71، حسن علي، الحياة الدينية، ص 88 .
- 25 - إبراهيم الطرابلسي، الإسعاف، ص 73، 80، 81 .
- 26 - عبدالله بن أبي عبدالله المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق البشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ج 2، ص 56 .
- 27 - عثمان الكعك، مراكز الثقافة، ص 116-117 .
- 28 - المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 383 - 384، ولم نجد ترجمة لمحمد بن هنتون، فيما وقع بين أيدينا من مصادر، والظاهر أنه من الرواة الذين سمع منهم المالكي، إذ يذكر أنه حدثه بتلك القصة .
- 29 - المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 352 - 353 .
- 30 - المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 159، راجع أيضاً الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، ص 244.
- 31 - عبداللطيف البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، بيروت، 1972 م، ص 300 - 301، صالح مصطفى المزيني، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، جامعة قاريونس، بنغازي، 1994م، ص 244 .
- 32 - عماد الدين الداعي ادريس، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأمة الأطهار، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس، 1979م، ج 5، ص 137، 138، محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول أحمد البدوي، الجزائر، 1984م، ص 17 .
- 33 - القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون، المجالس والمسائرات، تحقيق إبراهيم شيوخ والحبيب الفقي ومحمد البعلاوي، الجامعة التونسية، 1978م، ص 80، 81، 386، 435، 487، 546 .
- 34 - فرهاد دفترتي، الإسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين القصير، دار المدى، بيروت، ط 1، 1999م، ص 130 .
- 35 - أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي، منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية، 1971م، ص 137 .
- 36 - راجع رحلة التجاني، ص 265 - 266 .
- 37 - أحمد عمر، النشاط الثقافي، ص 137-138 .
- 38 - محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج . س كولان و.إيفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط 3، 1983م، ج 1، ص 188 .
- 39 - إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج 1، ص 67 .
- 40 - أحمد النائب، المنهل العذب، ج 1، ص 95، 96 .
- 41 - المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص 245، هامش 117 .

- 42 - عبدالرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المقدمة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ/2006م، ج1، ص634 .
- 43 - جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة وبيروت، 1986م، ج3، ص218، الحافظ جلال الدين بن عبدالرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المكتبة العصرية، بيروت، 1964م، ج1، ص254 .
- 44 - القفطي، انباه الرواة، ج2، ص121 .
- 45 - القفطي، انباه الرواة، ج2، ص323 .
- 46 - شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي، معجم البلدان، ط8، دار صادر، بيروت، 2010م، مج1، ص404 .
- 47 - الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، ص50، 51 .
- 48 - رحلة التجاني، ص262 .
- 49 - القفطي، انباه الرواة، ج1، ص193 .
- 50 - رحلة التجاني، ص262 .
- 51 - رحلة التجاني، ص264 .
- 52 - رحلة التجاني، ص262 .
- 53 - رحلة التجاني، ص262 - 263، البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص10 .
- 54 - صالح المزيني، ليبيا منذ الفتح، ص268 .
- 55 - أحمد عمر، النشاط الثقافي، ص219 .
- 56 - أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر بن الأبار القضاعي، الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1963م، ج1، ص302، ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص215 .
- 57 - ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص303 .
- 58 - أحمد عمر، النشاط الثقافي، ص220 .
- 59 - أحمد عمر، النشاط الثقافي، ص200، البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، ص324 .
- 60 - أبو علي منصور الجوزدي، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين وعبدالهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م، ص144 - 145 .
- 61 - المالكي، رياض النفوس، ج2، ص451، الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، ص198، 200 .
- 62 - المالكي، رياض النفوس، ج2، ص121، هامش 43 .
- 63 - المالكي، رياض النفوس، مقدمة ج1، ص20، ج2، ص451، هامش 117، ص464 - 465، أحمد النائب، المنهل العذب، ج1، ص92، 93 .
- 64 - أحمد النائب، المنهل العذب، ج1، ص102، الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، ص146 .

65 - رحلة التجاني، ص 263 - 264 .

66 - رحلة التجاني، ص 265 .

67 - ابن الأجدابي، الأزمة والأنواء، تحقيق عزة حسن، دمشق، 1964م.

68 - رمضان عبدالتواب، ابن الأجدابي وأثره في الدرس اللغوي العربية، مراجعة وتقديم عبدالحميد عبدالله الهرامة، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، تنقلات العلماء والكتب، 20، 23 ديسمبر 1995 م، كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية الليبية، طرابلس، 1998م، ص 415 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:

- 1- ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/1260م): الحلة السرياء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة 1963م .
- 2- ابن الأجدابي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبدالله (من علماء ق 5 هـ / 11م): الأزمنة والأنواء، تحقيق عزة حسن، دمشق، 1964م .
- 3- التجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد (ت717هـ/1317م): رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م.
- 4- الجوذري، أبو علي منصور(ت منتصف ق4هـ / 10م): سيرة الاستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين وعبدالهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م.
- 5- ابن حماد الصنهاجي، محمد بن علي (ت 628هـ/1230م): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول أحمد البدوي، الجزائر، 1984م .
- 6- ابن حيون، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور (ت363هـ/973م): المجالس والمساربات، تحقيق إبراهيم شيوخ وآخرون، الجامعة التونسية، 1978م .
- 7- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م): تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المقدمة، ج1، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427 هـ / 2006م.
- 8- الداعي إدريس، عماد الدين القرشي (ت872هـ/1467م): عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس، 1979م.
- 9- ابن سحنون، محمد بن سحنون (ت256هـ/869م): كتاب آداب المعلمين، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، تونس، 1392هـ / 1972م .
- 10- السيوطي، الحافظ جلال الدين بن عبدالرحمن (ت911هـ/1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المكتبة العصرية، بيروت، 1964م .
- 11- الطرابلسي، إبراهيم بن موسى بن علي (ت22هـ/1516م): الإسعاف في أحكام الأوقاف، مكة، 1406هـ .
- 12- ابن عذاري، محمد بن عذاري المراكشي (ت نهاية ق7هـ / 13م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج . س كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط 3، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1983م .
- 13- ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد (ت799هـ/1411م): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدى

أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1394هـ/1974م .

14- القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ/1248م): انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة وبيروت، 1406هـ / 1986م .

15- المالكي، عبدالله بن أبي عبدالله (ت نهاية ق 4هـ/10م): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، ج 2، تحقيق البشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.

16- النائب، أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي (ولد تقريباً 1256هـ): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس، د.ت.

17- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبدالله الحموي البغدادي (ت 626هـ/1228م): معجم البلدان، ط 8، دار صادر، بيروت، 2010م

المراجع

1- الباشا، حسن - مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة، د.ت .

2- البرغوثي، عبداللطيف - تاريخ ليبيا الإسلامي، بيروت، 1972م .

3- البغدادي، اسماعيل باشا - هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

4- بولبيض، عبدالفتاح رجب حمد - تاريخ برقة الإسلامي في الفترة من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن العاشر الهجري (400 - 925هـ)، ط 1، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م.

5- حجازي، عبدالرحمن عثمان - التربية الإسلامية في القيروان في القرون الهجرية الثلاث الأولى، بيروت، 1997م.

6- حسن، علي حسن - الحياة الدينية في المغرب، القرن الثالث الهجري، القاهرة، 1985م.

7- خضيري، سمير عبدالمنعم - العمارة الإسلامية في أوجلة، جامعة عمر المختار، البيضاء، 2005م .

8- دفتر، فرهاد - الإسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين القصر، ط 1، دار المدى، بيروت، 1999م .

9- الزاوي، الطاهر أحمد - معجم البلدان الليبية، ليبيا، 1968م .

- أعلام ليبيا، ط 3، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.

10- السعيطي، مصطفى - مدينة أجدابية تاريخها وأعلامها، دار البيان، بنغازي، 2003م .

11- عمر، أحمد مختار - النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي، منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية، 1391هـ/1971م .

12- الكعك، عثمان - مراكز الثقافة في المغرب، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1958م .

13- المزيني، صالح مصطفى - ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة القائمة إلى مصر، جامعة قاريونس، بنغازي، 1994م .

ثالثاً: الدوريات:

1- عبدالنواب، رمضان

ابن الأجدابي وأثره في الدرس اللغوي للعربية، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، تنقلات العلماء والكتب،

مراجعة وتقديم عبدالحميد عبدالله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1998م .

2- القابسي، نجاح

المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي، مجلة كلية التربية، منشورات الجامعة الليبية، طرابلس، العدد الرابع عشر، 1981م .

رابعاً: الرسائل العلمية:

1- بدر، هاشم منصور مفتاح

الحياة العلمية في إقليمي برقة وطرابلس من قيام الخلافة الفاطمية إلى سقوط دولة الموحدين (668-296هـ / 909-1269م)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2012م.

2- خضيري، سمير عبدالمنعم

الأرْبطة الباقية بالقاهرة خلال العصر المملوكي 648 - 923هـ، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1998م .

النظام الاجتماعي في برقة خلال العهد العثماني الثاني (1835 - 1911م)

أ. مريم الصادق جمعة

جامعة عمر المختار-البيضاء

ملخص البحث

أصبحت دراسة التاريخ الاجتماعي للشعوب تحتل موقعاً مهماً في الدراسات التاريخية، فهي تُعد مرتكزاً أساسياً لفهم طبيعة المجتمع والدولة، وتفسير الأحداث والوقائع التاريخية، وتتناول هذه الدراسة أحد جوانب الحياة الاجتماعية في برقة وهو «النظام الاجتماعي في برقة خلال العهد العثماني الثاني»، وتهدف إلى التعرف على البناء الاجتماعي للمجتمع ودراسة مكوناته ووظائفه وأعرافه .

اتسم النظام الاجتماعي في برقة بالطابع القبلي، حيث انقسم سكان الإقليم إلى مجموعة من القبائل يتفرع بناؤها الاجتماعي إلى سلسلة من الشُعب الرئيسة والثانوية مثل: القبيلة - البيت - العائلة، وكان هذا النظام يؤدي عدة وظائف في ظل ضعف السلطة المركزية وعجزها عن تحقيق الأمن والاستقرار ومن هذه الوظائف: الوظيفة الاجتماعية المتمثلة في توفير القبيلة الحماية لأفرادها وتعزيز الشعور بالانتماء للجماعة، والوظيفة الاقتصادية المتمثلة في التعاون والتكافل بين أفراد القبيلة لتحقيق المنافع الاقتصادية، مما عزز من دور القبيلة ودفع بالإدارة العثمانية إلى التعامل معها كوحدة إدارية وسياسية، كما تميز النظام الاجتماعي في برقة بأعرافه ودروبه ونظمه التي اعتمدت عليها القبائل في إدارة شؤونها وحل نزاعاتها، وكان لها أثر كبير في المحافظة على السلم الاجتماعي والترابط بين سكان الإقليم .

عناصر الموضوع

المقدمة

المحور الأول: البناء الاجتماعي في برقة خلال العهد العثماني الثاني

مكونات البناء الاجتماعي:

أ. الأسرة.

ب. العائلة والبيت.

ج. القبيلة.

المحور الثاني: وظائف النظام الاجتماعي في برقة

أ. الوظيفة الاجتماعية :

1. الدور الوظيفي (البيولوجي).

2. تعزيز العلاقات الروابط الاجتماعية.

ب. الوظيفة السياسية للنظام القبلي.

ج. الوظيفة الاقتصادية للنظام القبلي.

المحور الثالث: الأعراف والنظم الاجتماعية في برقة خلال العهد العثماني الثاني

أ. الأعراف والدروب القبلية :

المجلس العرفي (الميعاد) - الدية - النزلة - البراوة - الصنيعة - اليمين.

ب. النظم القبلية في برقة:

الولاء-الحلف -المؤاخاة والمكاتبة - الجوار.

الخاتمة.

المقدمة

كان النظام الاجتماعي لسكان برقة خلال العهد العثماني الثاني يغلب عليه الطابع القبلي في تكوينه وبنائه الاجتماعي ونظمه وأعرافه، فقد عاش السكان في ظل تكتلات قبلية تربطها رابطة العصبية والدم ويتألف بناؤها الاجتماعي من مجموعة من الوحدات الاجتماعية التي تجمعها علاقات القرى والجوار، وقد شكلت هذه الوحدات سلسلة من الحلقات الاجتماعية المتشابكة تبدأ من الأسرة ثم العائلة ومن مجموع العائلات الممتدة تتكون البيوت التي تعد الوحدات أو الفروع الأساسية في الحياة القبلية، وتنتهي بالقبيلة وهي الوحدة الاجتماعية الكبرى في المجتمع.

إن النظام القبلي الذي تميز بفروعه وتقسيماته ومجالسه (مواعيده) كان ملائماً للظروف الطبيعية والاقتصادية والسياسية السائدة في الأقليم، التي فرضت على السكان العيش في ظل هذا النظام لمواجهة ظروف البيئة الطبيعية الصارمة والتكاتف والتعاون من أجل البقاء، وتعزيز شعور الفرد بالحاجة إلى الانتماء الاجتماعي لجماعة معينة يرتبط بها وتوفر له الأمن والحماية، وقد أنتج هذا النظام نظاماً وأعرافاً اجتماعية توارثتها الأجيال وتحولت مع مرور الزمن إلى قوانين اجتماعية متعارف عليها لحل النزاعات والصراعات القبلية وتنظيم العلاقات بين السكان.

إن دراسة النظام الاجتماعي السائد في برقة خلال العهد العثماني الثاني تساعد على التعرف على تركيبة المجتمع وبنيته والنظم والعوامل المؤثرة فيه، كما تساهم في فهم الظروف والأحداث السياسية والاقتصادية التي شهدتها الإقليم خلال هذه الفترة.

ونظراً لأهمية دراسة التاريخ الاجتماعي للشعوب وصعوبة تناول الحياة الاجتماعية برمتها لمجتمع ما أو لجماعة سكانية معينة في بحث محدود، وبسبب تعدد جوانب الحياة الاجتماعية فقد تناول هذا البحث النظام الاجتماعي في برقة خلال العهد العثماني الثاني.

ويهدف البحث إلى دراسة البناء الاجتماعي للمجتمع البرقاوي والمكونات التي يتألف منها هذا البناء وخصائصها، والتعرف على الوظائف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للنظام القبلي، كما يهدف إلى دراسة الأعراف والنظم الاجتماعية المنظمة لهذا المجتمع.

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة و ثلاثة محاور رئيسة وخاتمة وقائمة بالهوامش والحواشي، تناولت المقدمة الخلفية التاريخية للموضوع وأهميته والهدف من دراسته وتقسيماته العلمية والمنهجية المتبعة في دراسته وأهم المصادر والمراجع المستخدمة في كتابته، المحور الأول تطرق إلى دراسة البناء الاجتماعي في برقة خلال العهد العثماني الثاني والمكونات التي يتألف منها هذا البناء مثل الأسرة - العائلة والبيت - القبيلة، و المحور الثاني يتناول وظائف النظام الاجتماعي في برقة، والمتمثلة في الوظيفة الاجتماعية، والوظيفة السياسية للنظام القبلي، وكذلك الوظيفة الاقتصادية لهذا النظام، أما المحور الثالث فيدرس الأعراف والنظم الاجتماعية في برقة خلال العهد العثماني الثاني، وتضمنت الخاتمة أهم النتائج التي تم التوصل إليها، وأخيراً قائمة بالهوامش والحواشي

وقد اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج التاريخي السردى القائم على التحليل لدراسة الظواهر الاجتماعية وفق منظور تاريخي.

واستعنت خلال إعداد وكتابة هذا البحث بمجموعة من المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ ليبيا السياسي والاجتماعي في الفترة الحديثة والمعاصرة، منها كتاب: برقة العربية بين الأمس واليوم لمحمد الطيب الأشهب، ودراسة لآمال محمد الطالب بعنوان: الحياة الأسرية في ولاية طرابلس في العهد العثماني الثاني (1835_1911)،

وكذلك مؤلفات الباحث وعالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية الإنجليزي إ. إيفاتر بريتشارد وفي مقدمتها كتابه: السنوسيون في برقة، الذي أنجزه عام 1949م، بعد أن أمضى عامين متجولاً بين بدو برقة خلال فترة عمله لدى الإدارة البريطانية في الإقليم، وقد تناول في هذا الكتاب الحركة السنوسية وعلاقتها بسكان برقة، وهو من الدراسات القيمة التي اهتمت بدراسة المجتمع في برقة وأسلوب حياة البدو ونظامهم القبلي، ويعد من المصادر التي اعتمدت عليها الإدارة البريطانية لجمع المعلومات المتعلقة بحياة السكان ونظمهم لتحقيق أغراضها الاستعمارية.

البناء الاجتماعي في برقة خلال العهد العثماني الثاني

عاش سكان برقة خلال العهد العثماني الثاني في ظل نظام اجتماعي يتسم بالطابع القبلي، وتعود أصول هذا النظام القبلي إلى القرن الحادي عشر الميلادي بعد هجرة قبائل بني سليم إلى شمال إفريقيا واختلاطها مع القبائل العربية التي سبقتها منذ الفتح الإسلامي (22هـ/642م) والقبائل البربرية المحلية الموجودة سابقاً⁽¹⁾، وقد لعبت هجرة هذه القبائل دوراً حاسماً في تعريب المنطقة حيث تمكنت من اختراق معظم تجمعات البربر وأماكن إقامتهم وعيشتهم، ونجح هذا التدفق البشري في تمييز الحواجز الاثنية والاجتماعية الأمر الذي أدى إلى ارتباط العرقين وأنجب ليبيا التي نعرفها اليوم بتركبتها القبلية⁽²⁾، وكانت برقة التي تمثل الجزء الشرقي من ليبيا (تمتد من حدود مصر الغربية إلى خليج سرت غرباً)⁽³⁾ نتيجةً لموقعها الجغرافي البقعة الأولى التي تعرضت لهذه التغيرات، مما جعلها من أنقى مناطق شمال أفريقيا في عروبته، وهذا جلي في نسب قبائلها ولهجاتها وشعرها، ولم تقتصر التغيرات الجذرية التي تعرضت لها هذه المنطقة بشكل خاص والمغرب العربي بشكل عام على اللغة وتعريب السكان بل شملت النظم الاجتماعية والعادات والتقاليد والتراث⁽⁴⁾.

مكونات البناء الاجتماعي في برقة :-

كان المجتمع في برقة في العهد العثماني الثاني مكوناً من وحدات اجتماعية تجمعها صلة القرى، فالتنظيمات الاجتماعية والتقسيمات المختلفة في المجتمع القبلي محددة وفق الموقع والنسب وليست وفق تقسيمات طبقية أو مصطلحات إدارية⁽⁵⁾، والقبيلة في برقة لا تختلف في بنائها الاجتماعي عن القبيلة العربية حيثما كانت فهي مكونة من عشائر وبطون وأفخاذ وكل فرع يمثل في بنائه القبيلة⁽⁶⁾، وفي ليبيا اختصرت التشعبات والتقسيمات في العائلة والبيت والقبيلة، ولم تقتصر هذه التقسيمات على البدو بل إن سكان المدن البرقاوية (الحضر) وهم عبارة عن أقوام مختلفي الأعراق وروابط الدم، كانوا يعيشون مع بعضهم البعض في تكتلات عائلية داخل المدن مثل بنغازي ودرنة وبعض الواحات، وأحياناً في تكتلات قبلية وإن كان الشعور بالعصبية والولاء القبلي أقل ظهوراً لديهم من البدو⁽⁷⁾، ومن أقدم التكتلات القبلية في المناطق الحضرية في برقة (الطواهر) ويضم جماعات قدمت إلى بنغازي ودرنة من زليطن وتاجوراء ومسلاطة⁽⁸⁾، وتكتل الشويخات ويضم عائلات من ورفلة والخمس وتاجوراء ومصراة وقد شكلوا قبيلة بحكم تجاورهم في بنغازي⁽⁹⁾، والمجابهة في جالو وهو تكتل يضم مجموعات جمعت بينها صفة التجابر أو الإتحاد من أجل العيش معاً وكذلك الكراغلة* وغيرها من المجموعات التي تحمل أسماء قبائل ومدن من الغرب الليبي⁽¹⁰⁾، وعلى الرغم من أن السكان الحضر في برقة هم خليط من العناصر العربية التي ينتمي أغلبها إلى غرب البلاد والكراغلة والبربر إلا أن التقسيمات السكانية التي ظهرت في مدن برقة أخذت شكل الطابع القبلي، فقد انقسم السكان الحضر في مدينة بنغازي إلى كتلتين رئيسيتين هما (الحاشية) و(ذكيران) وضم القسم الأول قبائل بدر والكوافي وقزير وزمورة وقصر حمد وخدام الزروق وضم القسم الثاني قبائل بلالة والشويخات واليعاقب والكراغلة⁽¹¹⁾ وفي درنة انقسم السكان الحضر إلى قسمين هما (مصراة) و(الليخة)، وضم القسم الأول السكان القادمين من مصراة وورفلة، وضم القسم الثاني التواجير وزليطن والطواهر والكراغلة⁽¹²⁾.

وعلى الرغم من أن النظام الاجتماعي في برقة تميز ببنيته الفرعية إلى حد كبير إلا أنه يمكن اختصارها في التقسيمات الآتية:-

أ. الأسرة

تعد الأسرة الوحدة الاجتماعية الأساسية والخلية الأولى في بناء المجتمع، وقد لعبت الأسرة أدواراً ووظائف متعددة

منها الدور الاجتماعي والتربوي والدور الاقتصادي، وكان النمط الأساسي السائد في الحياة الأسرية من حيث التركيبة والعلاقات هو نمط الأسرة الممتدة والمركبة، وذلك بسبب غلبة الطابع والتقليد القبلي حتى في المناطق الحضرية، وتتكون الأسرة الممتدة من الزوج والزوجة والأولاد وزوجات الأولاد والأحفاد وغيرهم من الأقارب الذين يقيمون تحت رعاية الأب أو رب العائلة⁽¹³⁾، إلى جانب الأسرة الممتدة كانت هناك الأسر الزوجية البسيطة التي تضم الزوج والزوجة والأولاد، وكان هذا النوع منتشراً بين الأسر التي استوطنت المدينة حديثاً نازحة إليها من القرية أو موطن القبيلة، ولكنها رغم انفصالها الجغرافي عن أسرتها الأبوية الكبيرة فقد ظلت مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً وجدانياً واجتماعياً وأخلاقياً⁽¹⁴⁾.

وقد لعب العامل الاجتماعي دوراً كبيراً في حياة الأسرة، فالتركيبة القبلية للمجتمع فرضت عادات وتقاليد وقيم توارثتها الخلف عن السلف أثرت على تكوينها البنيوي وعلى العلاقات الأسرية⁽¹⁵⁾، ويبدو تأثير العادات والتقاليد في حياة الأسرة في توزيع الأدوار والواجبات والحقوق، فالرجل في المجتمع القبلي هو العنصر المسيطر على الأسرة ويتمتع بصلاحيات واسعة على كافة أفرادها استناداً إلى الأعراف والتقاليد المتوارثة واستناداً إلى العامل الاقتصادي، فهو الذي ينفق على الأسرة في أغلب الأحيان، وقد عززت تعاليم الشريعة الإسلامية من مكانة الرجل فقد حث على طاعة الزوج والأب، وانعكست هذه السلطة الأبوية على نواحٍ عديدة في حياة الأسرة مثل الناحية الاقتصادية إذ يعد الأب المالك الشرعي لأموال العائلة، ومن الناحية الاجتماعية كان الأب هو المتحكم بمصير أبنائه وله الكلمة العليا في مسائل الزواج، وللزوج بحكم الشرع الحق في أن يتخذ أكثر من زوجة ولا سيّما إذا كان يتمتع بوضع اقتصادي جي⁽¹⁶⁾، وقد تأثر وضع المرأة أيضاً بالعادات والتقاليد القبلية، وعلى الرغم من أن المرأة في برقة تميزت بكونها عنصراً مهماً ومنتجاً في المجتمع إذ كانت الأعباء الملقاة على عاتقها تفوق في كثير من الأحيان أعباء الرجل، ويتمثل دورها الرئيسي في إنجاب الأطفال وتربيتهم والاعتناء بأسرتها والقيام بالأعمال المنزلية الكثيرة مثل: إعداد الطعام، وجلب الماء والحطب، وغزل ونسج الصوف وصناعة البيوت، فضلاً عن مشاركتها للرجل في أعماله مثل: رعي الحيوانات، والزراعة⁽¹⁷⁾، إلا أن العادات والتقاليد في برقة حرمت المرأة من الكثير من حقوقها التي أقرها الدين الإسلامي، مثل حقها في الميراث بحجة أنها تنقل أرض العائلة أو ممتلكاتها إلى الغريب، وفي كثير من الأحيان لا يؤخذ برأيها عند الزواج وقد تجبر على الزواج من ابن عمها الذي يملك الحق في منعها من الزواج برجل غريب⁽¹⁸⁾.

ولكن حرمان المرأة من الكثير من حقوقها لا يعني أنها لم تكن تتمتع بمكانة محترمة في المجتمع، فقد كانت القبائل تحترم النساء خلال الحروب والمنازعات، فلا يجوز المساس بهن أو إهانتهم⁽¹⁹⁾، كما عُرف عن الرجل البدوي افتخاره بأمه إلى درجة إن عدداً من القبائل أو فروعها من بيوت أو عائلات تحمل أسماء النساء⁽²⁰⁾ مثل بيت مريم وقابس في قبيلة العبيدات، وفروع طامية وخضرة والدائخة والمغربية من قبيلة البراعة، والريضات والقطيطات من فروع البراعة (العواقر)⁽²¹⁾، بل أن التنظيم القبلي الأكبر في برقة والذي يعرف بقبائل السعادي ينسب نفسه إلى سعدى، وهي جدة عليا يدعى السعادي نسبتهم إليها بهدف إيجاد رابطة اجتماعية فيما بينهم تقوم على وحدة عصبية الدم والانتماء، الأمر الذي يثير التساؤل في مجتمع قبلي تميز بأعرافه وتقاليد المتوارثة عبر الأجيال والتي تعطي أهمية كبرى للنظام الأبوي والتفاخر بأنساب الآباء والأجداد⁽²²⁾، ويمكن تفسير ذلك في ضوء المكانة التي تحتلها الأم في المجتمعات البدوية فقد عرف البدوي باعتزازه بأمه وكثيراً ما كان الرجل منهم يكتسب أو يسمى بأمه.

ب. العائلة والبيت

يمثل الفرد في المجتمع البدوي نواة التنظيم القبلي، والأسرة هي النواة التالية، ومن مجموعة الأسر تتكون العائلات، ثم تكون فروعاً تعرف باسم البيوت، وهذه الوحدات من أسرة أو عائلة أو بيت تنضوي تحت وحدة أكبر تسمى القب⁽²⁵⁾، فالنظام أو البناء القبلي عبارة عن سلسلة من الشُعب الرئيسية التي تنحدر من الجد المشترك للقبيلة، ومن سلسلة من الشُعب الثانوية التي تنسب نفسها إلى أحفاد ينحدرون من الجد الأعلى وتستمر سلسلة النسب في التسلسل حتى تصل إلى جماعات القرابة الصغرى المتمثلة في (العائلة والبيت)⁽²⁴⁾.

والعائلة هي أحد فروع النسب الصغرى التي تتجزأ إليها القبيلة والتي تنحدر من أحفاد الجد الأعلى للقبيلة الذين تستمد العائلات أسمائها من أسمائهم⁽²⁵⁾، وعادةً ما تكون العائلة متجانسة من ناحية النسب وقرابة الدم، أما البيوت (جمع بيت) فهي الوحدات الاجتماعية التي تشكل أساساً للبيان القبلي⁽²⁶⁾، والبيت عبارة عن تجمع لمجموعة من العائلات الممتدة⁽²⁷⁾، وكان البيت في بادئ الأمر يجمع الأبناء حتى الجد الخامس فهو الأسرة الكبيرة التي تتمتع بوضع مستقل في العشيرة⁽²⁸⁾، ولا يوجد نمط معين لهذه التقسيمات فليس هناك حد معين بالنسبة للعدد أو الخصائص في هذه الوحدات، فالذي يحدد تقسيم أي مجموعة إلى بيت أو لحمة أو قبيلة هو تنسب يكون مقبولاً بين كل الأفراد الذين يشكلون هذا النسب⁽²⁹⁾، والبيوت هي المالكة الفعلية للأرض بحكم التصرف والانتفاع ويعيش أفراد هذه البيوت في نفس الرقعة من أرض القبيلة ويتنقلون معاً خلال موسم الأمطار إلى المراعي نفسها، ويستخدمون الآبار ذاتها خلال مواسم الجفاف، كما تعرف البيوت الصغيرة بأنها تعيش متجاورة في المراعي وفي نجوع متراسة قرب موارد المياه، وقمبل للعمل معاً، ويوجد لدى أفراد كل بيت شعور قوى بالتضامن فيما بينهم ويتجلى ذلك بوضوح أثناء النزاعات أو القتال ضد الدخلاء⁽³⁰⁾.

ج. القبيلة

القبيلة هي الوحدة الاجتماعية الأكبر في المجتمع وهي عبارة عن تجمع كبير من الناس تربطهم رابطة النسب غالباً، أو روابط الحلف والجوار في بعض الأحيان، وهذا التجمع لا يكون موحداً دائماً ففروعه وبطونه يمكن أن تنتقل بصورة مستقل⁽³¹⁾، ولكل قبيلة أراضيها الخاصة بها (موطنها) حيث أصبحت هذه القبائل بمثابة إمارات صغيرة ذات أراض وحدود وزعامات، كما كان لكل قبيلة اقتصادها المستقل عن السلطة المركزية والمتمثل غالباً في حيواناتها ومراعيها وآبارها، وكلما كان الموقع الجغرافي لأراضي القبيلة مهماً انعكس ذلك على مواردها الاقتصادية الزراعية والرعية مما زاد من أهميتها وجعلها ملاذاً لاستقطاب المزيد من الراغبين في الانضمام إليها ضمن تحالفات تكفل لهم حياة أفضل وللقبيلة المنضمين إليها قوة ومنعة⁽³²⁾.

وفي العادة تنقسم كل قبيلة إلى فرعين (عشيرتين) أو أكثر، ثم تتفرع كل عشيرة إلى فروع ثانوية وأخرى صغرى مما يؤدي إلى تقسيم حصص الأرض وفقاً لهذه التقسيمات⁽³³⁾، وتعيش هذه المجموعات بشكل مستقل ويتنقل أفرادها معظم شهور السنة معاً، وفي الحروب تتكتل هذه الفروع على شكل مجموعات ثأرية ترتبط برباط العصبية الدموية وتقاتل معاً من أجل الأرض ومن أجل الثأر لأفرادها⁽³⁴⁾.

وهذه التقسيمات نتيجة لعوامل بيئية وعوامل ترجع إلى الأنساب وتفرعها، وكان لكل فرع من فروع القبيلة من أصغرها إلى أكبرها شيخ، ولذا يتعذر وجود سلطة تسيطر على كل القبيلة⁽³⁵⁾، وعادةً ما يكون منصب الشيخ متوارثاً في عائلة واحدة، ويُشترط فيمن يتولى هذا المنصب مواصفات خاصة مثل الحكمة وكبر السن والثراء، ويقوم الشيخ بإدارة شؤون القبيلة، فهو الذي يتولى حل الخلافات والمنازعات ويترأس القبيلة في حالة الحرب وعقد الصلح، ويقوم بجمع الضرائب للسلطة العثمانية⁽³⁶⁾.

وظائف النظام الاجتماعي في برقة

إن النظام القبلي الذي اتسمت به الحياة الاجتماعية في برقة خلال العهد العثماني الثاني كان ملائماً لظروف ومتطلبات البيئة البدوية، وكذلك لخصائص الإقليم الطبيعية والاقتصادية، وعلى الرغم من أن المجتمعات القبلية توصف عادةً بأنها تجمعات ثأرية⁽³⁷⁾، وأن الحياة القبلية كانت تشكل عائقاً قوياً يعوق أي سلطة ضعيفة عن بسط نفوذها، وأن حركات التمرد على السلطة والحروب القبلية كانت غالبية طوال فترة الحكم العثماني للمنطقة⁽³⁸⁾، إلا أن النظام القبلي في برقة استطاع أن يؤدي إلى جانب وظيفته الاجتماعية دوراً سياسياً واقتصادياً في ظل ضعف وعجز السلطة المركزية.

وقد لعب النظام القبلي في برقة بمختلف وحداته ومكوناته ووظائفه وأدواراً متعددة أهمها :-

أ. الوظيفة الاجتماعية

كان الدور الاجتماعي للبناء القبلي بمختلف وحداته وتقسيماته يتمثل في وظيفتين أساسيتين هما :

1. **الدور الوظيفي (البيولوجي):** كانت الأسرة تؤدي وظائف عدة، ساعدت على بقاء المجتمع واستمراره، وأسهمت في تعزيز علاقات الأسرة بالوسط الأكبر المحيط بها، ومن هذه الوظائف تجديد الخلايا الاجتماعية للمجتمع، وتمثل في التكاثر وإنجاب المواليد الجدد ورعايتهم والحرص على مواصلتهم للحياة لغرض استمرار الأجيال والأنساب في المجتمع، وترتبط هذه الوظيفة ارتباطاً وثيقاً بالزواج حيث كانت من أهم واجبات الأسرة تزويج أبنائها للحفاظ على تواصل الأجيال⁽³⁹⁾، وكانت الأسر تزوج أبنائها في سن مبكرة تطبيقاً للشريعة الإسلامية التي تحث على الزواج عند الاستطاعة⁽⁴⁰⁾ وعملاً بالحديث النبوي الشريف (عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء).⁽⁴¹⁾، وقد احتلت طقوس الزواج ومراسمه المرتبة الأولى بين المناسبات الاجتماعية من حيث الاحتفال بها، حيث تقام هذه المراسم وسط مظاهر احتفالية ومشاعر البهجة والسرور، وتمثل الخطوات المتعلقة بمراسم الزواج في الخطبة ثم عقد القران ثم احتفالات الزواج والتي قد تستغرق عدة أيام، واستناداً إلى ذلك فقد شكل إنجاب الأطفال مصدر فرحة كبيرة للأسرة وعادةً ما كان يجري التعبير عن هذه الفرحة أيضاً بمظاهر احتفالية تتمثل في تقديم العصيدة وذبح رأس أو أكثر من الأغنام وتوزيعه على الأقارب والجيران⁽⁴²⁾، وكما هو الحال في كافة المجتمعات العربية فقد كانت الأسرة تفضل إنجاب الذكور على الإناث، ويعود السبب في ذلك إلى الثقافة السائدة في المجتمع التي ترى أن الأبناء الذكور هم الذين يسهمون في بقاء شجرة العائلة قائمة ويحافظون على استمرار الأنساب، ويقومون بإعالة أسرهم⁽⁴³⁾.

2. **تعزيز العلاقات والروابط الاجتماعية:** أسهم البناء الاجتماعي في برقة بمختلف مكوناته في تعزيز العلاقات والروابط الاجتماعية، فعلى مستوى الأسرة كانت الأسرة اللبنة بشكل عام تصنف ضمن الأسر الممتدة كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وفي ظل هذه الأسرة تعيش عادةً ثلاثة أجيال هي الآباء والأبناء والأحفاد، فقد ألزمت العادات والتقاليد الاجتماعية الأبناء بعدم ترك أسرهم تحت أي ظرف، ولذلك فقد كان عدد أفراد هذه الأسرة غالباً ما يكون كبيراً مما أدى إلى تعزيز الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ففي إطار هذا الترابط كان الآباء والأجداد والأفراد الكبار في السن يحظون بالرعاية والاهتمام من قبل الأبناء⁽⁴⁴⁾، كما كان الأطفال يجدون من يهتم بهم في

حالة غياب أو موت أحد الوالدين⁽⁴⁵⁾، وقد أسهم هذا الترابط الاجتماعي في تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع والذي يظهر جلياً في المناسبات الاجتماعية المختلفة مثل الأفراح والمآتم وغيرها⁽⁴⁶⁾، كما أسهم في إيجاد نمط من العادات الاجتماعية والقيم الأخلاقية التي ميزت المجتمع في برقة، فالاحترام والطاعة والحياء هي أساس العلاقة بين الأبناء والوالدين والأقارب، حيث يتربى الأبناء على احترام أقاربهم من كبار السن مثل الأخوة الأكبر سناً والأعمام والأخوال والأجداد ومعاملتهم كما يعاملون والديهم⁽⁴⁷⁾.

ولم يقتصر تعزيز العلاقات الاجتماعية على الأسرة فقط، فقد لعبت الوحدات الاجتماعية الأخرى مثل العائلات والبيوت دوراً في تحقيق الترابط الاجتماعي، فكل عدد من العائلات تربط بينها علاقات القرابة أو الجوار تكون وحدة اجتماعية أكبر (بيت) يربط بين أفرادها الشعور بالانتماء والإحساس بالتضامن والتكافل الاجتماعي وتبادل المنافع العامة وغيرها من الامتيازات، أما القبيلة باعتبارها منظمة تجمع جماعات من الناس عبر سلسلة مترابطة من العلاقات الاجتماعية، فقد كانت تمثل مصدراً للشعور بالأمن بالنسبة لأفرادها، إذ أن الإلتواء لقبيلة معينة كان يعطي لأفرادها إحساساً بالحماية ولا سيّما أثناء الحروب والمنازعات، فمهما كان هناك من تفاوت بين عائلات القبيلة من حيث النفوذ والهيمنة أو خلافات فإنه على جميع أفراد القبيلة حمايتها والدفاع عنها ضد أي عدوان عليها أو على أحد من أفرادها⁽⁴⁸⁾.

ب. الوظيفة السياسية للنظام القبلي

لعبت القبيلة دوراً بارزاً خلال فترة الحكم العثماني موازياً للنشاط الرسمي الذي مارسته سلطات الدولة العثمانية⁽⁴⁹⁾، وكان الدور السياسي للقبيلة يتمثل في أن شعور البدو بالانتماء القبلي كان أقوى من شعورهم بالمواطنة، مما جعل ولاء الفرد يكون للقبيلة أكثر من أي شيء آخر، وكان مفهوم الوطن بالنسبة للبدو ينحصر في مراعيهم وأراضيهم القبلية، ولذلك تحولت القبيلة إلى نوع من النظام السياسي بالنسبة لأفرادها، وهذا الأمر جعل السلطات العثمانية تدرك أهمية الشعور بالانتماء القبلي بالنسبة لسكان برقة، ولذلك وضعت نظاماً إدارياً للإقليم يعتمد في بنائه وهيكله على التقسيمات القبلية السائدة في محاولة لاستيعاب القبائل ضمن أجهزتها، فقسمت في عام 1863م برقة إلى عدة مديريات أو قائمقاميات على أساس التقسيم القبلي حملت أسماء القبائل القاطنة فيها، كما قامت بتعيين شيوخ هذه القبائل في مناصب إدارية⁽⁵⁰⁾، ومن ناحية أخرى فإن النظام القبلي في برقة تميز بعدم وجود سلطة فردية أو نظام رأسي هرمي، فلكل فرع من فروع القبيلة من أصغرها إلى أكبرها شيخ يمثله، مما جعل السلطة موزعة في جميع نقاط البنيان القبلي، لأن التنظيم القبلي يحرص على إيجاد توازن بين القبائل وفروعها من العشيرة والبيت والعائلة، وموجب ذلك النظام لا وجود لسلطة مركزية، والقيادة السياسية لشيوخ القبيلة تقتصر على المواقف التي تتخذها القبيلة أو أحد فروعها، وذلك من خلال قيادتها في الحروب أو عندما تتعامل أي سلطة خارجية مع القبيلة كوحدة إدارية⁽⁵¹⁾، فقد قامت السلطة العثمانية بتعيين بعض المشائخ والأعيان في برقة مدراء بالقائمقاميات وكانت اختصاصاتهم تتمثل في جباية الضرائب للإدارة العثمانية والمحافظة على الأمن⁽⁵²⁾.

ج. الوظيفة الاقتصادية للنظام القبلي

كان لكل وحدة من الوحدات الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي في برقة خلال العهد العثماني الثاني وظيفة اقتصادية، فعلى مستوى الأسرة البرقاوية تميزت الحياة الأسرية في برقة بمشاركة جميع أفراد الأسرة في العمل والإنتاج ولا سيّما أن الأنشطة الاقتصادية التي كان يزاولها السكان، تتطلب درجة من التعاون والعمل الجماعي، مثل الرعي والزراعة⁽⁵³⁾، فقد اعتاد السكان الاعتماد في حياتهم وتحصيل قوتهم على جهودهم اليدوي وجهد عائلاتهم وإنتاج حيواناتهم⁽⁵⁴⁾، فالأسر التي تعتمد في حياتها على نشاط الرعي كان رجالها ينتقلون بقطعانهم من مكان إلى آخر بحثاً عن المرعى⁽⁵⁵⁾، في الوقت الذي تقوم فيه النساء بأعمال تتعلق بهذا النشاط الاقتصادي، مثل أعمال الحلب

والمخض واستخراج الزيت واستخلاص السمن والعناية بصغار الحيوانات التي لا تستطيع الذهاب إلى المرعى⁽⁵⁶⁾، وكان الفلاحون المالكون للأراضي الزراعية يعملون في أراضيهم غالباً بأنفسهم، حيث يقوم الفلاح وأسرته بزراعة الأرض وبيع قسم من الإنتاج أو مياضته بمنتجات أخرى⁽⁵⁷⁾، ولم يقتصر الدور الاقتصادي للأسرة على مشاركة كل أفرادها في عملية الإنتاج، بل شملت وظيفتها الاقتصادية إعداد وتدريب الأبناء على ممارسة حرف معينة ولا سيما أن معظم الأبناء كانوا يزاولون المهنة التي يمارسها الآباء، ففي مجال التجارة مثلاً أشار الرحالة الإنجليزي (جيمس هاملتون) الذي زار برقة عام 1852م إلى أن التجار المجابرة كانوا يدرّبون أبناءهم في أعمار مبكرة على حرفة التجارة، وذلك من خلال قيامهم برحلات إلى بنغازي ثم يرسلونهم بعد ذلك في رحلات لمسافات أطول إلى مصر أو فزان⁽⁵⁸⁾، ولذلك كان معظم التجار في المدن والواحات ينتمون إلى أسر تجارية تقليدية معروفة في المجتمع امتازت بنشاطها التجاري الواسع مع الدواخل الأفريقية، وكانت هذه الأسر في المدن تمثل طبقة اجتماعية محافظة توارث فيها الأبناء مهنة التجارة عن الآباء وفق نظام تقليدي جرى التعارف عليه⁽⁵⁹⁾.

وقد انعكست علاقات الترابط والتكافل الاجتماعي التي كانت سائدة بين الأسر والعائلات في المجتمع على الجانب الاقتصادي مما خلق نوعاً من التكافل الاقتصادي، فقد كانت الأسر تقدم المساعدة لبعضها البعض في الأعمال التي تتطلب جهداً جماعياً وكان يطلق على ذلك اسم (الرهاطة) ويتجلى هذا التعاون في مواسم حراثة الأرض⁽⁶⁰⁾، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره هاملتون بأنه شاهد مجموعة كبيرة من الخيام العربية في السهول المحيطة ببنغازي يقطنها أناس قدموا من المدينة لحراثة تلك السهول وفُدر عددهم بحوالي ثلث سكان بنغازي⁽⁶¹⁾، كما تتعاون الأسر في موسم الحصاد الذي كان يأتي عادةً في وقت ترتفع فيه درجة الحرارة ويتطلب جهداً كبيراً، وكذلك في موسم جز الصوف (الجمامة) وعملية وسم الحيوانات⁽⁶²⁾.

أما الدور الاقتصادي الذي تلعبه القبيلة فيتمثل في أن النظام القبلي ليس نظاماً اجتماعياً فقط بل هو نظام اقتصادي فرضته ظروف البيئة الطبيعية مما دفع بالسكان إلى ممارسة أنماط معينة من الحياة⁽⁶³⁾، فالقبيلة في برقة كانت تعتمد اعتماداً كلياً على دوابها التي كانت تشكل العمود الفقري الاقتصادي وعلى الزراعة البعلية للقمح والشعير⁽⁶⁴⁾، وكان كل فرع من فروع القبيلة يمتلك حصة من أراضي القبيلة لمزاولة حرفة الرعي أو الزراعة⁽⁶⁵⁾، وقد أسهم هذا الاقتصاد الحر المتنقل وامتلاكهم لأراضٍ واسعة وعرة، وقدرتهم على التكيف مع الظروف القاسية على ضمان شيء من الاستقلالية والتكافل الاجتماعي لهذه القبائل⁽⁶⁶⁾، وكانت الملكية الجماعية للأراضي في برقة تمثل قاعدة للعلاقات الإنتاجية المشتركة بين القبائل، فاعتمدت الزراعة والرعي على الأسس القبلية التي تقوم على الاستغلال الجماعي لأراضي القبيلة والتي تعتمد في الغالب على زراعة نوع معين من المحاصيل ولا سيما الحبوب، ومن الأمثلة على هذا النمط من الاقتصاد القبلي قيام القبائل التي تقطن وسط الجبل الأخضر بالانتقال بحيواناتها على شكل جماعات في شهر ديسمبر إلى المناطق الواقعة جنوب الجبل بحثاً عن المراعي بعد قيامها بحراثة الأرض وبذرها في أراضيها في شهر مايو⁽⁶⁷⁾، كما أن النظام القبلي كان مناسباً لحياة جماعات البدو الرحل الذين كانوا ينتقلون بشكل جماعي بقطعانهم بعيداً عن موطنهم الأصلي مثل قبائل الفواخر والقطعان والجوارة وأولاد شاهين (العبيدات)⁽⁶⁸⁾.

ولكن الدور السياسي والاقتصادي للنظام القبلي لا يعني أن القبيلة استطاعت أن تحل محل الدولة، فالقانون الجنائي مفقود والقانون المدني موجود في حالته البدائية فقط وحُكم الشيوخ لقبائلهم ليس حكماً مطلقاً⁽⁶⁹⁾، ومن الناحية الاقتصادية يلاحظ غلبة الاقتصاد الزراعي والرعي كما أن القوى الإنتاجية كانت عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على مستوى متدنٍ من التطور، نتيجة للنزاعات الداخلية التي لا تنتهي بسبب المراعي ومصادر المياه ونظام الري المتخلف وأدوات الزراعة البدائية⁽⁷⁰⁾.

الأعراف والنظم الاجتماعية في برقة

عاشت قبائل برقة خلال العهد العثماني الثاني معتمدة على نفسها في تسيير أمورها وإدارة شؤونها، وعلى الرغم من قيام السلطات العثمانية بإجراء تغييرات إدارية في الإقليم، بهدف استيعاب هذه القبائل ضمن هياكل الدولة وأجهزتها، إلا أن النظام القبلي في برقة ظل نظاماً تقليدياً بفروعه وتقسيماته ومجالسه ومواعيده⁽⁷¹⁾، فقد تميزت المجتمعات البدوية بالعصبية الجماعية التي تنظم العلاقات فيما بينها قيم وعادات مجتمعية تتجاوز حدود أرض القبيلة الواحدة، يمكن تسميتها بـ (قوانين الخيام)⁽⁷²⁾، حيث أوجدت هذه القبائل لنفسها سنناً خاصة بها استمدت بعضها من الشريعة الإسلامية ولكنها استندت في قوانينها وتطبيقها إلى قيم البدو وعاداتهم⁽⁷³⁾، وتتلخص هذه السنن الاجتماعية في مجموعة من القوانين والنظم الاجتماعية أهمها :-

أ. الأعراف والدروب القبيلة

أدخلت السلطات العثمانية النظام القضائي إلى ليبيا سنة 1869م، وحاولت تطبيقه والعمل به في الولاية والمتصرفية، إلا أن تطبيق هذا القانون ظل اسماً فقط، لأن السلطات العثمانية لم تستطع فرض هذا القانون إلا في المدن الساحلية، أما سكان المناطق الداخلية فقد ظلوا يتمسكون بقوانينهم التقليدية⁽⁷⁴⁾، والتي تعرف بالأعراف والدروب القبيلة، ويقصد بالعرف كل ما هو متعارف عليه بين الناس وما ساروا عليه من قول أو فعل، واستقر في النفوس وتلقته الطبائع بال⁽⁷⁵⁾، أما (الدربة) فهي مجموعة من الأحكام الشرعية والعرفية المتعلقة بأفعال البدو التي أصبحت القانون المتعارف عليه لدى عرب الصحراء⁽⁷⁶⁾، وقد لجأت القبائل إلى اتباع الأعراف والدروب القبيلة نتيجة لعدة عوامل منها ضعف سلطة الدولة، وغياب القانون المدني والجنائي، وجهل الكثير من أبناء القبائل بالشريعة الإسلامية⁽⁷⁷⁾، فكان البدو بحاجة إلى هذه الأعراف التي تساعد على ضبط الأمن وإفشاء السلام إلى حد ما بين القبائل المتناحرة، وهي ما أصبحت تعرف فيما بعد بالقضاء القبلي⁽⁷⁸⁾، ومن هذه الأعراف ما يتفق مع نصوص الشريعة الإسلامية ومنها ما يخالف هذه النصوص⁽⁷⁹⁾، ونظراً إلى وجود القضاء الشرعي والجنائي والمحاكم التجارية في حواضر الإقليم وافتقار المناطق الداخلية إلى وجود المحاكم فقد كان تطبيق الأعراف والدروب القبيلة سائداً في المناطق القبيلة أكثر من المناطق الحضرية، وقد أشارت إحدى الوثائق التركية إلى أن أغلب الأفضية التابعة لمدينة بنغازي ونواحيها لا يوجد بها قضاة للشرع وذلك عام 1287هـ-1872م⁽⁸⁰⁾.

المجلس العرفي (الميعاد)

يتم الفصل في القضايا والنزاعات وإصدار الأحكام في مجلس عرفي لا يجوز التخلف عنه أو مخالفته من قبل المتخاصمين ويسمى الميعاد، والميعاد هو اجتماع قبلي حاشد يتم فيه نقاش المشكلة ومن ثم النطق بالحكم بعد مقابضة ومساومة بين القبائل، لإنهاء النزاع بين الأطراف المتنازعة بحضور أعضاء من القبائل الأخرى، ويصبح القرار الذي تمّ اتخاذه في الميعاد ملزماً للجميع⁽⁸¹⁾، وعادةً ما يُعقد الميعاد في بيت الشيخ أو أحد أعيان القبيلة أو في بيت فقيه من الأشراف، وإذا كان النجعان المتخاصمان متجاوران يعقد الميعاد بينهما في الخلاء⁽⁸²⁾، كما كانت المجالس العرفية تعقد في المساجد أو الزوايا السنوسية، وكذلك عند أضرحة الأولياء الصالحين (المرابطين) المنتشرة في ربوع برقة، والذين تحولت قبورهم مع مرور الزمن إلى أماكن للاحتفالات والاجتماعات القبيلة والعشائرية التي تعقد لحل النزاعات بين القبائل، وكانت سلالات هؤلاء المرابطين تحظى باحترام سكان برقة مما جعل أحفادهم يعملون كوسطاء خير بين القبائل، وفي كثير من الأحيان عندما ينشب نزاع بين قبيلتين على ملكية قطعة من الأرض تتم تسويته بتخصيصها للمرابطين، وهذا يعني هبتها لأحفاده ونسله، مما جعل هؤلاء الأولياء نواة لتجمعات اجتماعية تطورت وغدت مجموعات قبلية تعيش بين القبائل المتنازعة⁽⁸³⁾.

وتتمثل أهم معالم العرف في العادات والأحكام العرفية الآتية :-

الدية: عبارة عن غرامة مالية تصرف على سبيل التعويض لأهل القتل⁽⁸⁴⁾، فقد كان من عادات وأعراف البدو أنه إذا قتل أحدهم شخصاً آخر سواء عن طريق الخطأ أو عمدًا فإنه يصبح عرضةً للانتقام (الثأر)، ولا يُنسى هذا الثأر حتى مرور الزمن، ولا يمكن لأي حكومة مهما كانت قوتها حماية القاتل من أهل القتل، ولا يكفي عقابها القانوني لإرضاء أهل المقتول⁽⁸⁵⁾، والوسيلة الوحيدة لتجنب الثأر هي طلب الصلح، وفي حالة المصالحة كان القاتل يفتدى بدفع الدية، وكان جميع أفراد القبيلة يشاركون في دفع القيمة المحددة من المال⁽⁸⁶⁾، وهذه القيمة إما أن تكون مقدرة سلفاً أو قيمة يتم تقديرها من قبل المجلس العرفي وتعتبر الدية من الأحكام العرفية المستمدة من الشريعة الإسلامية.

النزلة: في حالة القتل تقوم قبيلة القاتل بالجلء والتحرك من أراضيها لتنزل في حماية قبيلة أخرى (المنزول عليها)، وذلك بعد موافقة وقبول القبيلة التي ستتولى الحماية، وذلك كعملية فصل بين الأطراف المتنازعة لتفادي حدوث أية عواقب قد تجعل الأمر أكثر تعقيداً⁽⁸⁷⁾، ومن العادات المتبعة أنه إذا التجأ قاتل إلى قبيلة أخرى فلا يمكن لطالبيه أن يتجاسروا عليه احتراماً كما يقولون (للنزلة)، ولا تقل مدتها عن سنة ولا تزيد عن السنتين، وفي هذه الأثناء تبذل القبيلة ما في وسعها لعقد الصلح بين نزليهم وطالبيه، أما إذا انقضت مدة النزلة ولم يحدث صلح فعلي القاتل أن ينتقل إلى مكان آخر طلباً للحماية، وقد يصبح نزيلًا دائماً فإذا لم يصل الفريقان إلى اتفاق يحسب القاتل من أهل الحي أو القبيلة الملتجئ إليها⁽⁸⁸⁾.

البراءة: وهي البراءة أو التبرؤ وتنصل القبيلة من أفعال وأعمال إجرامية قد تحدث من بعض أفرادها أو حتى عائلاتها وتعدها القبيلة مخلة بالأمن العام وسلامة الناس، ومروقاً عن تقاليد القبيلة وآدابها، وكذلك في حالة الخروج عن طور القبيلة والانفصال عنها، وفي هذه الحالة لا تتحمل القبيلة مسؤولية أفعال هذا الشخص، وعادةً ما يحدث ذلك في جلسة علنية يعقدها مشايخ القبيلة ووجهائها ويُدعى إليها أفراد القبيلة، ويصدر فيها قرار البراءة الذي تصحح القبيلة بموجبه في حل من أمر المعني، ويعمم هذا القرار على جميع القبائل حتى لا تتحمل قبيلته نتائج تصرفاته، وتُحاط سلطات الدولة علماً بذلك في حالة إذا ما كان لها ممثل أو مجلس بلدي أو قائمقامية⁽⁸⁹⁾.

الصنيعة: في حالات القتل يقوم أهل القاتل حماية له من القتل بتسليم القاتل لأهل المقتول، وذلك بأن يأتي عقلاء عشيرة القاتل وكبار القوم إلى أهل القتل ويقولون لهم إن هذا فلان هو لكم إن شئتم أن تقتلوه فهذا كفنه فوق رأسه، وإن شئتم تصنعوه (تعفوا عنه)، وعندئذ يحصل التراضي والتقاضي بطريقة ودية، ويكون القاتل بعد هذا الاتفاق وهذه (الصناعة) في مأمن⁽⁹⁰⁾، فالمنوع لا يقتل⁽⁹¹⁾.

اليمين: في حالات السرقة أو التخريب أو وقوع الأشياء المنافية للعادات يتعين على المدعي إثبات ذلك بالدليل، فإذا عجز عن ذلك يكون المدعي والمتهم ملزمين بالقسم (اليمين)، المدعي ليثبت حقه والمتهم ليبرئ نفسه، ويتم اختيار عدد من الرجال من عائلة الطرفين لأداء اليمين في المكان والزمان المحددين وفي حالة التخلف عن الحضور بدون عذر يعد ذلك دليلاً على ثبوت التهمة، ويلزم المتخلف بما يحكم به المجلس العرفي (الميعاد)⁽⁹²⁾، ويعد اليمين من الأحكام العرفية المستمدة من الشريعة الإسلامية ولكن طريقة أداء اليمين غالباً ماتت بطريقة مخالفة للشرع حيث يذهب المتخاصمون لأداء اليمين إلى ضريح أحد المرابطين ويحلفون بأغلظ الأيمان على صدق ما قالوا أو فعلوا⁽⁹³⁾.

ب. النظم القبلية في برقة :-

تتميز المجتمعات البدوية بالعصبية الجماعية التي تنظم العلاقات فيما بينها مجموعة من الروابط والسلوكيات الاجتماعية التي تعرف (بالسلوك القبلي)⁽⁹⁴⁾، ومن أهم أنماط السلوك القبلي التي عُرفت في برقة الأماط والنظم الاجتماعية الآتية :-

نظام الولاء: وهو أكثر النظم تطوراً في برقة، فقد كان الصيغة الأكثر مرونة وملائمة لقبول أعضاء جدد في القبيلة، وقد يكون الأفراد الموالين أشخاصاً متفرقين أو أسراً أو قبائل، وهؤلاء يصبحون من ضمن أفراد القبيلة التي انضموا إليها بالولاء (أي أنهم يختلفون عن الأنساب بالدم) فيكتسبون اسم القبيلة، وتسري عليهم كافة الحقوق والواجبات التي تفرضها العصبية، وتكون العلاقة بين الطرفين علاقة مصالح متبادلة بحيث يساعد أحدهما الآخر في الحروب ودفع الديات، وفي الواقع فإن معظم القبائل الكبرى في برقة وجدت بها عناصر أو فروع التحقت بها وأصبحت جزءاً منها عن طريق الولاء⁽⁹⁵⁾، ويلاحظ هذا النظام في تركيبة العديد من قبائل السعادي مثل العبيدات والدرسة والحاسة والعواقر والمغاربة وكذلك البراعصة، فقد ضمت هذه القبائل في صفوفها بيوتاً وعائلات من قبائل أخرى⁽⁹⁶⁾، ويحقق هذا النوع من النظم لهذه القبائل التفوق العددي خلال الحروب والمنازعات، فضلاً عن استثمار الأراضي الشاسعة التي يصعب عليها حمايتها من القبائل المغيرة سواء من داخل المنطقة أم من خارجها ويستخدم البدو كلمة (لف) في وصف هذه العملية ويقولون أن القرابة المبنية على هذه الطريقة قد تغدو قوية بقدر قرابة الدم⁽⁹⁷⁾.

الحلف: التحالف هو ارتباط جماعة أو قبيلة بقبيلة أخرى بعهود ومواثيق للتعاون فيما بينها في حالات الحروب والمنازعات⁽⁹⁸⁾، وهذا النمط أملتته الضرورة حيث كانت البيئة القبلية بيئة صارمة، الغلبة والبقاء فيها للأقوى، فكان على الجميع التكتل تحت مظلة تتبنى اسماً واحداً، ومن هذه التكتلات الناجحة قبيلة المجابرة التي جمعت بين فروعها صفة (التجابر) أي الاتحاد فيما بينهم والالتحام لضرورة العيش معاً من أجل البقاء في ظروف عصبية، فسموا بالمجابرة وانتقلوا من حياة البداوة والترحال إلى الاستقرار، ومارسوا حرفتي الزراعة والتجارة لينشروا هذا الاسم (المجابرة - المجبري) في أماكن متعددة خارج الحدود القطري⁽⁹⁹⁾.

المؤاخاة والمكاتبه: عاشت القبائل البدوية في برقة منذ القرون الأولى التي تلت تغريبة بني هلال وبني سليم ضمن تكتلات، مما أدى إلى تجذير رابطة الاندماج والتأخي، و «المؤاخاة» تعني ارتباط الأفراد أو بعض القبائل الصغيرة بقبائل أكبر ذات نفوذ عن طريق التأخي والمصاهرة، وقد حرص الأعيان ومشايخ القبائل على إضفاء الصبغة الرسمية على ذلك بما عُرف بينهم بـ (المكاتبه) والتي تعني ارتباط الأفراد والجماعات بقبائل أخرى عن طريق الكتابة، مما يؤهلهم لنيل ما يضمنه النظام القبلي من حقوق كالحماية والأرض وغيرها، وفي الوقت نفسه يفرض عليهم واجبات نحو القبيلة التي انتموا إليها، والالتزام بالناموس القبلي ودعم بعضهم البعض في السراء والضرا⁽¹⁰⁰⁾.

الجوار: هو حق تمنحه قبيلة ما لقبيلة أخرى تطلب منها الحماية، ويُعطى هذا الحق أيضاً للأفراد كالأغراب أو الضعفاء، وكانت القبيلة المانحة للجوار تتحمل مسؤولية الغريب مثلما تتحمل مسؤولية أبناء القبيلة، وتسري على طالب الجوار عصبية تلك القبيلة⁽¹⁰¹⁾.

الخاتمة

يتضح مما سبق أن البناء الاجتماعي في برقة يتميز بتفرعه، فهو يتكون من وحدات اجتماعية تحكمها صلة القربي أو الجوار، وأن الأسرة البرقاوية وهي الخلية الأولى في هذا البناء قد تأثرت بالطابع القبلي ويتضح ذلك في تركيبها وعلاقاتها ووظائفها، فالنمط السائد في الحياة الأسرية هو نمط الأسرة الممتدة، والعلاقات الأسرية تحكمها العادات والتقاليد والأعراف القبلية، ويظهر ذلك من خلال الأدوار والوظائف التي يؤديها أفراد الأسرة، وكذلك من خلال الواجبات والحقوق حيث نلاحظ بأن العادات والتقاليد قد منحت الرجل صلاحيات واسعة على أسرته، وحرمت المرأة من الكثير من حقوقها على الرغم من أهمية الدور الذي كانت تقوم به في المجتمع، كما نستخلص أن القبيلة في برقة عبارة عن مجتمع مستقل بذاته يتفرع إلى فروع كبرى وفروع صغرى، منها العائلات والبيوت التي تجمعها صلة القربي، وتتميز الفروع الصغرى باستقلاليتها في ملكيتها للأرض عن باقي فروع القبيلة الأخرى وحرية التنقل والحركة.

إن النظام الاجتماعي الذي كان سائداً في برقة ظهر نتيجة لمتطلبات البيئة والظروف الاقتصادية والسياسية، ويتضح ذلك من خلال الوظائف التي كانت تؤديها الوحدات الاجتماعية، حيث لعبت الأسرة والعائلة والبيت دوراً هاماً في تعزيز الروابط الاجتماعية وتحقيق التكامل الاقتصادي والاجتماعي بين أفراد القبيلة والمجتمع، كما أن هذا النظام كان يلبى حاجات الأفراد في ظل عدم وجود سلطة مركزية تبسط سلطتها على كامل الإقليم، وتوفر الأمن والاستقرار للسكان، وفي مقدمة هذه الاحتياجات شعور الفرد بالأمن والحماية والإحساس بالانتماء والولاء للجماعة، وهو ما جعل القبيلة تلعب دوراً سياسياً هاماً، ودفع بالسلطات الحاكمة إلى التعامل معها كوحدة إدارية ضمن النظام الإداري الذي استحدثته في برقة، في محاولة منها لاستيعاب القبائل ضمن أجهزة الدولة، ومن الناحية الاقتصادية فإن النظام القبلي كان مناسباً لحياة البدو التي تقوم على اقتصاد رعوي متنقل، وعلى ملكية يتشارك فيها أفراد كل بيت أو عائلة الأراضي والمراعي وموارد المياه بشكل مستقل عن باقي الفروع الأخرى.

وقد تميز النظام الاجتماعي في برقة بأعرافه ودروبه الاجتماعية التي استمدت من قيم البدو وعاداتهم، وكان من هذه الأعراف والدروب ما يتفق مع نصوص الشريعة الإسلامية ومنها ما يخالف هذه النصوص، وقد أصبحت بمثابة قوانين ثابتة اعتمدت عليها القبائل في إدارة شؤونها وحل نزاعاتها، ومن هذه الأعراف والقوانين القبلية التي توارثها الناس جيلاً بعد آخر (الدية والنزلة واليمين والبراة والصنيعة)، وقد ساعدت على بسط الأمن وفي المحافظة على السلم الاجتماعي بين سكان الإقليم في ظل ضعف السلطة، كما ظهرت في برقة بعض النظم الاجتماعية وأنماط من السلوك القبلي كان لها أثر كبير في تحقيق الترابط بين العديد من قبائل الإقليم، ومن هذه النظم والأنماط الاجتماعية (الولاء والحلف والمؤاخاة والمكاتبه والجوار).

الهوامش

- 1- ياسين شهاب الموصلي، الأوضاع في ولاية طرابلس و متصرفية بنغازي (1835-1911)، منشورات مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 2006) ص259.
- 2- فرج عبدالعزيز نجم، القبيلة والإسلام والدولة، مكتبة 17 فبراير (بنغازي، 2011) ص77.
- 3- هنريكو دي أوغسطيني، سكان ليبيا، ترجمة خليفة التليسي، الجزء الثاني، د.ط، الدار العربية للكتاب (1990) ص7.
- 4- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص250.
- 5- عقيل البربار، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث، منشورات E.L.G.A (فاليتا، د.ت) ص8.
- 6- نفولا زيادة، برقة الدولة العربية الثامنة، دار العلم للملايين (بيروت، 1950) ص24.
- 7- فرج عبدالعزيز نجم، المرجع السابق، ص248.
- 8- محمد مصطفى بازامه، بنغازي عبر التاريخ منذ نشأتها حتى الغزو الإيطالي، الجزء الأول، د.ط، دار ليبيا للنشر والتوزيع (بنغازي، 1968) ص246.
- 9- هنريكو دي أوغسطيني، المصدر السابق، ص208.
- *- ظهرت هذه الفئة الاجتماعية نتيجة لتزاوج جنود الإنكشارية بالنساء المحليات أو السبايا المسيحيات، وقد تكونت من سلالاتهم مع الزمن وحدات اجتماعية استخدمتها السلطات العثمانية لخدمة أغراضها في الولاية مقابل مزايا معينة، وانضمت إليها فيما بعد قبائل عربية وأمازيغية بنفس المزايا وليس لهذه العنصر أهمية في برقة إلا في المراكز الحضرية (المدن) وهم يمثلون عناصر انتقلت إليها من الغرب الليبي، أنظر المصدر السابق، ص21.
- 10- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص248.
- 11- محمد مصطفى بازامه، المرجع السابق، ص255.
- 12- صلاح الدين محمد جبريل، تجريدة حبيب، ط2، منشورات دار الكتاب العربي (بنغازي، 1995) ص49.
- 13- آمال محمد الطالب، الحياة الأسرية في ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني (1835-1911) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس، 2006) ص27.
- 14- تيسير بن موسى، المجتمع العربي في العهد العثماني الثاني، الدار العربية للكتاب (طرابلس، 1990) ص31.
- 15- مفتاح خبليل السنيني، الأمراء من أهل برقة والصحراء، منشورات دار القمة (الأسكندرية، 2011) ص217.
- 16- آمال محمد الطالب، المرجع السابق، ص31.
- 17- مفتاح خليل السنيني، المرجع السابق، ص237.
- 18- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص280.

- 19- محمد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم (القاهرة، 1936) ص 83.
- 20- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص 281
- 21- محمد عبد الرازق مناع، الأنساب العربية في ليبيا، د.ت، ص 132، 199، 196، 239.
- 22- إيفانز بريتشارد، السنوسيين في برقة، صفاقس للنشر والتوزيع (2011) ص 86.
- 23- مفتاح خليل السنيني، المرجع السابق، ص 217.
- 24- إيفانز بريتشارد، برقة القبائل البرقاوية وتفرعاتها، ترجمة إبراهيم المهدي، مكتبة التمور، (بنغازي، 2011) ص 51.
- 25- إيفانز بريتشارد، السنوسيون في برقة، ص 95.
- 26- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص 228.
- 27- إيفانز بريتشارد، القبائل البرقاوية وتفرعاتها، ص 54.
- 28- إيفانز بريتشارد، السنوسيين في برقة، ص 54.
- 29- عقيل البربار، المرجع السابق، ص 17.
- 30- إيفانز بريتشارد، القبائل البرقاوية وتفرعاتها، ص 52.
- 31- ن. إبروشين، تاريخ ليبيا في نهاية القرن التاسع حتى عام 1969، ترجمة عماد حاتم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس، 2005) ص 47.
- 32- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص 249 .
- 33- إيفانز بريتشارد، القبائل البرقاوية وتفرعاتها، ص 51 .
- 34- إيفانز بريتشارد السنوسيون في برقة، ص 93.
- 35- إيفانز بريتشارد، القبائل البرقاوية وتفرعاتها، ص 54.
- 36- ن. إبروشين، المرجع السابق، ص 48.
- 37- عمرو سعيد بغني، أبحاث في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس، 1986) ص 59.
- 38- محمد مصطفى بازامة، المرجع السابق، ص 265.
- 39- آمال محمد الطالب، المرجع السابق، ص 57.
- 40- مفتاح خليل السنيني، المرجع السابق، ص 228.

- 41- متفق عليه، انظر مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب النكاح، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي، ب1/ح1400، دار طيبة، د.ط (2006) ص630.
- 42- وهبي أحمد البوري،مجتمع بنغازي في القرن العشرين،مجلس الثقافة العام(سرت،2008) ص ص64،56
- 43- آمال محمد الطالب، المرجع السابق، ص83
- 44- أشرف منصور الطريدي، يوميات بنغازية من خلال الوثائق العائلية،مكتبة التمور(بنغازي، د. ت) ص21
- 45- المرجع السابق، ص84
- 46- آمال محمد الطالب، المرجع السابق، ص91.
- 47- محمد الطيب الأشهب، المرجع المصدر السابق، ص ص96،95.
- 48- إ.إيفانز بريتشارد، برقة القبائل البرقاوية وتفريعاتها، ص49.
- 49- عمرو سعيد بغني، المرجع السابق، ص49.
- 50- صلاح الدين السوري، الأوضاع القبلية في شرق ليبيا في العهد العثماني، أسماء وأعلام القبائل البرقاوية من خلال دفاتر الضرائب العثمانية، تجميع أشرف منصور الطريدي، دار الكتب الوطنية (بنغازي، د.ت) ص15.
- 51- إ.إيفانز بريتشارد، برقة القبائل البرقاوية وتفريعاتها، ص ص53،52.
- 52- صلاح الدين السوري، المرجع السابق، ص 16.
- 53- آمال محمد الطالب، المرجع السابق، ص91.
- 54- إ.إيفانز بريتشارد، السنوسيون في برقة، ص60.
- 55- مفتاح خليل السنيني، المرجع السابق، ص228.
- 56- عبد الجواد عباس، رعي الأغنام في التراث، مركز الجبل الأخضر للطباعة والنشر(البيضاء،1992) ص27.
- 57- ياسين شهاب الموصلي، المرجع السابق، ص265.
- 58- جيمس هاملتون، جولات في شمال أفريقيا، تعريب المبروك الصويغي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع (طرابلس، د.ت) ص215
- 59- ياسين شهاب الموصلي، المرجع السابق، ص215.
- 60- عبد الجواد عباس، المرجع السابق، ص136.
- 61- جيمس هاملتون، المصدر السابق، ص ص188،189.
- 62- عبد الجواد عباس، المرجع السابق، ص ص16،47.
- 63- عمرو سعيد بغني، المرجع السابق، ص59.

- 64- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، 272.
- 65- إيفانز بريتشارد، برقة القبائل الرقاوية وتفرعاتها، ص50.
- 66- ياسين شهاب الموصلي، المرجع السابق، ص240.
- 67- إيفانز بريتشارد، السنوسيون في برقة، ص62.
- 68- ياسين شهاب الموصلي، ص257.
- 69- إيفانز بريتشارد، السنوسيون في برقة، ص ص97،99.
- 70- ن.إ.بروشبن، المرجع السابق، ص38.
- 71- صلاح الدين السوري، المرجع السابق، ص ص14،15.
- 72- إيفانز بريتشارد، السنوسيون في برقة ص ص91،103.
- 73- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص279.
- 74- أنتوني.ج.كاكيا، ليبيا في العهد العثماني الثاني (1835-1911)، دار الفرجاني(طرابلس، 1975) ص80.
- 75- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص279.
- 76- مفتاح خليل السنيني، المرجع السابق، ص251.
- 77- إيفانز بريتشارد، السنوسيون في برقة، ص ص104،97.
- 78- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، 282.
- 79- محمد الطيب الأشهب، المصدر السابق، ص82.
- 80- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص255.
- 81- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص285.
- 82- محمد الطيب الأشهب، المصدر السابق، ص81.
- 83- إيفانز بريتشارد، السنوسيون في برقة، ص ص110-112.
- 84- مفتاح خليل السنيني، المرجع السابق، ص252.
- 85- محمد الطيب الأشهب، المصدر السابق، ص81.
- 86- مفتاح خليل السنيني، المرجع السابق، ص ص252، 253.
- 87- المرجع السابق، ص252.
- 88- محمد الطيب الأشهب، المصدر السابق، ص82.

89- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص255.

90- محمد الطيب الأشهب، المصدر السابق، 81.

91- مفتاح خليل السنيني، المرجع السابق، ص253.

92- المرجع السابق، ص255.

93- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص191.

94- مفتاح خليل السنيني، المرجع السابق، ص255.

95- المرجع السابق، ص218.

96- ن.إ.بروشين، المرجع السابق، 41-49.

97- إ.إيفانز بريتشارد، برقة القبائل البرقاوية وتفريعاتها، ص ص31،.39.

98- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص296.

99- إ.إيفانز بريتشارد، السنوسيون في برقة، ص94.

100- فرج عبد العزيز نجم، المرجع السابق، ص ص250،291.

101- ن.إ. بروشين، المرجع السابق، ص41.

أثر تطوّر المعرفة على تغيّر دلالة المفاهيم

”مفهوم الزمان بين بعض التصورات الفلسفية والنظرية النسبية أمودجاً“

دكتور / صالح سعد صالح

جامعة السيد محمّد بن علي السنوسي الإسلامية

ملخّص البحث

سعى الباحث من خلال هذا البحث إلى التديليل على فرضه المبدئي المتمثل في: أن هناك استحقاقات معرفية كثيرة جاءت مرتبة على التطور الذي حدث في نظريات علم الطبيعة، ومن ضمن ما بدت فيه هذه الاستحقاقات هو تطور بعض الدلالات لمفهوم الزمان ما بين التصورات العلمية والفلسفية السابقة وما بين النظرية النسبية المعاصرة التي قدّمها ألبرت آينشتاين عام 1905.

هذا الفرض أو الإجابة المبدئية كان محاولة للإجابة عن السؤال الذي تبلورت فيه إشكالية البحث، وهو: هل دلالة مفهوم الزمان واحدة لم تتغير ما بين التصورات الفلسفية الأقدم عهداً وما بين التصور المعاصر الذي جاءت ترسخ وفقاً للنظرية النسبية التي تمثّل انقلاباً كبيراً في تاريخ الفكر العلمي والفلسفي.

وتوضّل الباحث من هذا إلى النتائج التالية:

1. الزمان مبدأً أو فكرةً يقوم ويرتكز عليها عالمنا المحسوس، ووجودها الحقيقي مثالي.
2. الزمان مقياساً للحركة ومرتبباً بها، كما أنها مرتبطة به و تتطلّبه.
3. الزمان حوادث متتالية، وهو مكوّن منها ومقيد بها فلا يوجد إلا بها، ومن هنا فهو ذاتي أي مرتبط بالذات البشرية من حيث أنها هي تستشعر هذه الحوادث.
4. الزمان إطار قبلي موجود في الذهن وهو وعاء لكل الأحداث من حيث أنها تقوم فيه، وهو بهذا أيضاً ذاتي.

موجود داخل الذات لا من خارجها.

5. الزمان جزئيات افتراضية غير واقعية ولا وجود حقيقي له.

6. الزمان سريان للأحداث و هو وتراكم وديمومة واستمرار.

7. الزمان بُعد رابع مع أبعاد المكان الثلاثة الأخرى (الطول والعرض والارتفاع أو العمق).

وعليه تمكّن الباحث من القول بأن دلالات مفهوم الزمان قد تعددت بتعدد التصورات المعرفية له؛ الأمر الذي يعني أن هناك أثراً واضحاً للتصورات المعرفية على تغير دلالات المفاهيم، وبالتالي فإن ما يوصي به الباحث هو أنه ينبغي علينا تحريّ الدقة عند استعمال المفاهيم خصوصاً عند الانتقال من نسق معرفي إلى آخر، فرمها تتغير دلالة المفهوم من نسق لآخر وإن ظل المسمّى هو هو.

مقدمة

كان التقدم العلمي خلال القرن العشرين مذهلاً، إلى الحد الذي أصبح فيه الواحد منّا عاجزاً عن التوقّف أمام تياره المتسارع.

فلقد توّصل علماء الطبيعة مثلاً إلى «التمكّن من ملاحظة عنصراً مادياً، يبلغ في صغره واحداً على مائة مليون مليون من السنتيمتر، الحد الذي تفقد فيه الجسيمات كيانها المادي وتترأى في صورة أمواج وطاقة». (1).

وكان مما ترتب على هذا التقدم العلمي أن تغيرت الفهوم لبعض التصورات وإن بقيت التصورات على ذات مسمياتها القديمة، الأمر الذي دفع بالعقل العلمي إلى بناء خطاب جديد. حيث «أظهر التطور السريع والمتلاحق للعلوم الطبيعية، وبالتالي العلوم الإنسانية، بأن مقولات الفكر القديم التي اخترعها العقل اليوناني ... أصبحت عاجزة عن تفسير، أو حتى تأويل ما استجد وانبثق من تجارب حديثة، وما ظهر في الكون من ظواهر معقدة ومركبة ...» (2).

فضلاً عما سبق فقد «تميّزت العلوم المعاصرة بمفاهيم جديدة متطورة، وإن كان يصعب تصوّرها في بعض الأحيان لأنها لا تتفق مع ما اعتدنا عليه من تصورات كلاسيكية. فمفاهيم تغير المسافة والزمن تبعاً لسرعة مناط الإسناد، وتحديب الفضاء ... وعلاقة اللاتحديد، وغيرها يصعب تصوّرها بالطريقة الاعتيادية الكلاسيكية ... لذلك وُضعت القوانين الحديثة لتفسير تلك العمليات باستخدام مفاهيم جديدة وصياغات رياضية ...» (3).

وفي كل ذلك فقد تعرض الفلاسفة والعلماء والمفكرون لمحاولات لفهم طبيعة الزمان «فمنهم من يقول: إن الزمن كالنهر الجاري الذي يسري تياره بصفة منتظمة من منبعه إلى مصبه، هذا يعني أن للزمان بداية ونهاية، فإذا كانت له بداية فمن أين جاء؟ وإذا كانت له نهاية، فهذا يعني أنه سيأتي زمن لن يكون فيه زمن .. ولكن العقل لا يستطيع أن يتقبل هذا القول، فمن الصعب أن نتصور مثلاً أن لحظة قد ظهرت بدون لحظة سابقة، أو أن تكون هناك لحظة قادمة، بدون لحظة تتبناها...»(4).

وفق ما تقدم ذكره تبلورت إشكالية البحث في: هل يمكن أن يكون مفهوم الزمان دلالة واحدة لم تتغير ما بين التصورات الفلسفية الأقدم عهداً وما بين التصور المعاصر الذي جاءت به النظرية النسبية التي تمثل انقلاباً كبيراً في تاريخ الفكر العلمي والفلسفي.

الفرض:

نعم لقد كانت هناك استحقاقات معرفية كثيرة جاءت مترتبة على التطور الذي حدث في نظريات علم الطبيعة، ومن ضمن ما بدت فيه هذه الاستحقاقات هو تطور بعض الدلالات لمفهوم الزمان ما بين التصورات العلمية والفلسفية السابقة وما بين النظرية النسبية المعاصرة التي قدمها ألبرت أينشتاين (1879 - A. Einstein 1955) عام 1905. بل من الممكن استنباط دلالات جديدة لمفهوم الزمان على إثر ظهور النظرية النسبية، الأمر الذي بدا معه اختلافاً بيناً لفهم المقصود بالزمان بين هذين المنظورين المعرفيين.

التساؤلات::

كيف كانت الدلالات المعرفية لمفهوم الزمان وفقاً للتصورات الفلسفية في الفكر الفلسفي القديم؟

كيف كانت الدلالات المعرفية لمفهوم الزمان وفقاً للتصورات الفلسفية في الفكر الفلسفي الحديث؟

ما الذي استجد من دلالات لمفهوم الزمان بعد ظهور النظرية النسبية؟

وقد هدف هذا البحث إلى استبانة كيف أن مفهوم الزمان المتداول بين علماء الطبيعة أو حتى بين العامة من الناس، بالرغم من أن المسمى هو هو (الزمان) منذ القدم، إلا أن مدلوله المعرفي قد تغير على أثر المدّ المعرفي الذي حدث خصوصاً في العصر الحالي.

أما عن أهمية الدراسة فقد بدت في إظهار التطور الذي يمكن أن يحدث للمفاهيم ومدلولاتها إثر التطور المعرفي، وبالتالي ضرورة التركيز على تحديدها لأنه سبيل إلى المعرفة العلمية.

فالمفاهيم متطورة بتطور المعرفة، ومتغيرة من وقتٍ لآخر ومن مجتمع لآخر «ولهذا فهي دائماً تحتاج إلى تحديد علمي من أجل تقصي الحقائق واكتشاف المعارف الجديدة، وهي ليست قوالب جاهزة، وليست مطلقة،

بل إنها متعددة ونسبية... وهي ليست أحكاماً، بل هي معانٍ تُعقل وتُدرك كلما تبيّنت دلالاتها ومراميتها» (5).
وقد قُسم البحث إلى: مقدمة، تمهيد، ومبحثين.

أما المقدمة، فقد أوضح الباحث فيها إشكالية البحث والفرض والتساؤلات، والهدف من البحث وأهميته. أما عن التمهيد فقد جعلته لإيضاح المصطلحات المتعلقة بالبحث. في حين رتبتُ المباحث على النحو التالي:
المبحث الأول: معالم بارزة في تاريخ دلالة مفهوم الزمان. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التفاسير والفهوم قديماً.

المطلب الثاني: التفاسير والفهوم حديثاً.

المبحث الثاني: نظرية النسبية والدلالات الجديدة لمفهوم الزمان. وفيه أيضاً مطلبان:

المطلب الأول: ما النظرية النسبية؟

المطلب الثاني: الزمان وفقاً للنسبية.

نتائج البحث: وتضمنت استنباط أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

تمهيد

« إيضاح المصطلحات »

من المصطلحات التي يبدو لي أن بها شيئاً من الغموض هي: علم الطبيعة - النسبية - التصور.

1 - علم الطبيعة Natural science:

« العلوم الطبيعية مأخوذة ... من ثلاثة تقسيمات رئيسة للمعرفة الإنسانية (الآخران هما العلوم الاجتماعية والعلوم المعنية بالفكر) ... ويدرس العلم الطبيعي الأشكال المختلفة للمادة وأشكال حركاتها، وكيف تعمل وتتكشف في الطبيعة، وروابطها وقوانينها، وكذلك الأشكال الأساسية للوجود... وحيث إنه من المفيد إيجاد صورة علمية طبيعية أو فيزيقية للعالم، فإن العلم الطبيعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفلسفة، وبصفة أساسية بجانبها النظري (المفاهيم والمقولات والقوانين والنظريات والفروض) ...» (6).

2 - النسبية:

النسبي (Relative في مقابل المطلق Absolute) النسبي يدل على الموضوع الأبدي اللامتناهي وغير المشروط

والكامل والذي لا يتغير. إذ تُعد الظاهرة نسبية عند وصفها في علاقتها وارتباطها بغيرها من الظواهر واعتمادها عليها، في المقابل تعد الظاهرة مطلقة إذا كانت غير مرتبطة وغير معتمدة على غيرها من الظواهر، وغير مشروطة الوجود بوجود ظاهرة أخرى تحددها(8).

نظرية النسبية Theory of relativity «ترجع إلى أينشتاين وقد ألفها على مرحلتين: المرحلة الأولى تسمى النسبية الخاصة عام 1905 والمرحلة الثانية تسمى النسبية العامة 1913...» (9).

3 - التصور Notion:

«عنصر هام من عناصر الوعي؛ لأنه يربط دائماً بين الماصدق والمعنى لمفاهيم وصور الأشياء. وهو يَمَكِّن وعينا في الوقت نفسه من أن يعمل بحرية مستخدماً الصور الحسية للأشياء» (10).

ومن هذا يبدو لي أن مصطلح الماصدق ذاته يحتاج إلى شيء من الإيضاح. فالماصدق يعني: الشيء أو فئة الأشياء التي تصدق على تعبير معين(11). وفي المنطق يرتبط الماصدق بما يسمى بالمفهوم، مثل قولنا: «إنسان» هي المفهوم، الذي يصدق على جزئيات كثيرة مثل: علي خالد وعلي وزيد من الناس اللذين يطلق عليهم في المنطق ماصدقات لمفهوم الإنسان(12).

المبحث الأول

معالم بارزة في تاريخ دلالة مفهوم الزمان

المطلب الأول: التفاسير والمفهوم قديماً

إن تاريخ وجود الإنسان على الأرض هو ذات تاريخ فكره ووعيه ومحاولات تفسيره وفهمه، وبالتالي تاريخ معرفته، والعكس أيضاً صحيح.

ما أودُّ الوقوف عنده هنا هو منظور الفكر القديم لمفهوم الزمان وبالأخص الفكر اليوناني القديم، الذي يبدو لي أنه يمثل أهم المعالم البارزة لتاريخ الفكر العلمي، ومن تأثر بهذا الفكر من فلاسفة ومفكرين أحدث عهداً. لا أعني بهذا أن تاريخ الفكر العلمي قد بدأ قطعاً من الفكر اليوناني، إذ أن هناك حضارات (حضارات الشرق القديم) تمثل إرهاصات سابقة لتاريخ الفكر العلمي اليوناني، وكل ما عنيتهُ هو أنه في الفكر اليوناني تبلورت العديد من الرؤى في شكل أنساق فلسفية وعلمية بشكل بَيِّن، وذلك بعد تخلصها من روح الأسطورة.

لكن ما أهم هذه المعالم البارزة في تاريخ الفكر العلمي اليوناني القديم؟ وما الدلالة أو الدلالات التي بدت لمفهوم الزمان من خلالها؟.

بداية فإن الزمان كفكرة يُعد سابقاً على التفكير العلمي التي بدت بواوره على يد اليونان. إن الإنسان مفطور

على حاستي الذاكرة والتوقع، ووفق هذا فإن حياته تقوم داخل نسيج مكون من ماضٍ وحاضر ومستقبل.

هذا الحس الزماني يرجع إلى الحضارات القديمة جداً «فلقد توصل إنسان نياندرتال (50.000 Neandertha ألف سنة قبل الميلاد) إلى دفن موته (وهو ما لا يفعله حيوان آخر) مما يؤذن بأنه يفكر بنوع من الوجود المتصل لهؤلاء الراحلين. فكانت ضرورات الحياة المقبلة من طعام وأدوات وأسلحة توضع إلى جوار الجسد عند الدفن ابتداءً من العصر الحجري القديم (حوالي 35.000 سنة ق.م). كما مارس الإنسان منذ أقدم العصور ديانات عبادة السلف... وقد تُشكل الأحجار من نوع المغليث الضخمة في أطلال ستونهنج (التي بدأت حوالي 1900 ق.م) أداة متقدمة للزمن. ويمثل أقدم النقوش الباقية للأحداث ... تسجيلاً منتظماً لعهود الفراعنة وضيانات النيل. من الجلي إذن أن هناك طابعاً شاملاً تتسم به الحاجة إلى الفرار من سجن الحاضر ... [كما تطلب منهم الحفاظ على التماسك الاجتماعي] توثيق الحاضر بالرجوع إلى التراث... كما أن القرابين الدينية واسترضاء المعبود هي محاولات للوفاء بأسباب الفوز بالمستقبل...»(13).

ففي كل هذا يمكنني استنباط إشارات لوجود فكرة الزمان عند الإنسان البدائي، تلك الإشارات التي تبدو في اعتقاده في حياة أخرى بعد فناء جسده في الحياة الدنيا، الأمر الذي يدل على فهم ذلك الإنسان للتسلسل الزمني. فضلاً عن ذلك فإن النقوش تدل على معرفة الإنسان البدائي لفكرة الزمن، كما بدت هذه الفكرة في عملية توثيقه لتاريخه الذي تطلب منه الرجوع إلى الماضي، وكذلك توقعه كيف يمكن أن يكون المستقبل. ما يعني تبلور فكرته عن الماضي والحاضر والمستقبل (الأثافي الثلاث للزمان).

وفق هذه الإشارات البسيطة فإن الزمان لا يُعدُّ إبداعاً من الفكر اليوناني على غير مثال، ولكن ما أعنيه هنا هو أنه في هذا الفكر (اليوناني) بدت بوادر التفكير العلمي الممنهج مقارنة بالحقب السابقة عليه.

تصورات في مفهوم الزمان:

بشكل عام يمكن القول بأن الزمان والمكان يمثلان الخلفية التي يتحرك فيها كل شيء، فالمكان يوجد كله مرة واحدة في ثبات وانتظام لانهائي، والزمان يتدفق في تساوي من الأزل إلى الأبد، والأشياء كلها بطبيعتها تتحرك في داخل المكان والزمان(14). هذا أمرٌ بدهي، فهذان التصوران يعدّان الأسس والأساس لكل تصرفاتنا وتصورتنا.

فضلاً عن هذا، فإن الزمان «... هو الملاحظ الذي لا يمكن مشاهدته، والذي لا يقاس بغيره أو من خارجه، فالزمان لا يقاس إلا بالزمان...»(15). كذلك فهو «لا يُلمس ولا يُشم ولا يُذاق ولا يُشاهد ولا يُسمع، ولكنه يُدرك ويُعقل مجرداً...»(16). الأمر الذي يعني أن تصور الزمان يلاحظ عن طريق ما يتضمنه من حوادث وبدونها لا يمكن لنا ملاحظته. ويمكن وصف الزمان بأنه تيار متدفق يحتوي أحداثاً بجانبها النفسي والفيزيقي (الطبيعي)، وفي هذا يقول سمارت Smart : « نحن نشبه الزمن بأنه نهر متدفق السريان لا يتوقف مطلقاً ولا يمكن عكس اتجاهه... » والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يشعر بتعاقب الأحداث من حيث القبل والبعد والتزامن(17).

ولو أردتُ أن استبين آراء بعض فلاسفة اليونان لوجدت أن أفلاطون (428 Plato - 347 ق.م) - مثلاً - لا يعترف بالمكان والزمان كخاصيتين جوهريتين للمادة، لأن عالم الأفكار (عالم المثل) الذي يمثّل لديه جوهر العالم المادي يوجد بلا مكان ولا زمان (18).

ويمكننا فهم الزمان - حسب زعم أفلاطون - على أنه من خلق الصانع المبدع، وقد ولد الزمان بميلاد العالم المحسوس «فهو الصورة المتحركة للأبدية التي يتصف بها العالم المعقول. إن الصانع قد رغب الزمان في العالم أسوة بصورة الإله كرونوس Chronos ... خلق الصانع الزمان وجعله صورة متحركة للأبدية. واختار مقياس للزمان حركات الكواكب، وقد أنشأ لها الصانع أجساماً نارية كروية خالدة...» (19). بالإضافة إلى ذلك يذهب أفلاطون إلى أن الزمان الذي نعيشه غير حقيقي، وإن هو إلا انعكاس للزمان الحقيقي الأزلي الأبدي (20).

هذا فهم يبدو لي أنه ثيولوجي (ديني) يعتمد فيه أفلاطون لوضع تصوره للزمان في هذا العالم على أنه ليس من صنع البشر وإنما هو من كائن علوي مبدع تمثّل في صورة الإله، وأنه الزمان الحقيقي وهو مثال أو نموذج الزمان لدى الإنسان. هذا دأب أفلاطون في نظريته في المثل التي تدور حول المثل أو النماذج الحقيقية التي هي في عالم آخر علوي تمثّل الحقائق القصوى لعالمنا المحسوس غير الحقيقي.

ولكن على الرغم من هذا فإن أفلاطون يربطه بالعالم المحسوس، حيث يجعل من حركات الكواكب مقياساً للزمان، وهذا الفهم يمكن أن نستنبط منه - بالرغم من مثاليته - إرهافاً أو مقدمة للتفسيرات العلمية في العصور اللاحقة، كما سيأتي الحديث عنها.

ومع هذا الفهم المرتكز عند أفلاطون على التفسير المثالي إلا أنه يربط بين الزمان والكون المادي، فلا يمكن - وفق رأيه - تصور الزمن من غير الكون والعكس (21).

وفي سياق حديثي عن ارتباط الزمان بالمكان أجد أن أرسطو (322-384 Aristotle) ق.م) يذهب إلى أن المكان يوجد وجوداً موضوعياً، ولكنه ليس وعاء توجد فيه الأجسام المادية، إنما ترتيبها، وبما أن هذا الترتيب يتغير فالمكان متغير أيضاً. وكما أن المكان يتحدد بترتيب الأجسام المادية فكذلك الزمان يتحدد بترتيب الحوادث في تتابعها (قبل وبعد). (22)

ويعنى أوضح فإن الوجود الموضوعي الذي يتحدث عنه أرسطو هنا يعني الوجود الذهني العقلي، ووفق هذا التصور الأرسطي فإن المكان والزمان كفكرتين وليسا ككيانين محسوسين هما المعول عليهما، وهما بالتالي لا يختلفان من شخص لآخر؛ أي المكان والزمان كما يستمدهما الوعي البشري من الواقع ويكونان مشتركين عند العامة من الناس.

إن الزمان حسب فهم أرسطو يرتبط أيضاً بالحركة، إذ أنه يشكّل «مقدار الحركة من جهة المتقدم والمتأخر» (23). فالزمان عنده هو مقياس الحركة، فهو مرتبط بها ولازمٌ عنها، كما أنه يمثّل تتالي الحركة وتعايقها بحسب ما

قبلها وما بعدها(24). في المقابل فإنه - حسب زعم أرسطو- يتطلب الحركة؛ إذ أنه مرتبط بها، ولا يمكن قياسه إلا من خلالها(25).

فضلاً عن هذا فإن أرسطو يربط أيضاً بين الزمان والكون كما فعل أفلاطون، ويضيف إليهما الحركة التي لولاها لما عرفنا الزمان. فنحن نعرف الزمان فيما يرى عن طريق «قبل وبعد» الناتجين عن الحركة(26).

وفي سياق محاولتي لاستجلاء طبيعة ارتباط الزمان والمكان حسب الفهوم اليونانية القديمة، أجد أن ديمقريطس (460 Democritus - 370 ق.م) يجعل للزمان والمكان وجوداً واقعياً موضوعياً، فالمكان أو الفراغ هو ما تتحرك فيه الذرات، وهو شرطٌ ضروري لحركتها. أما الزمان فيوجد بالارتباط مع الحركة. كما ذهب ديمقريطس إلى أن المكان لانهائي والزمان أبدي(27).

في حين ذهب أوغسطين (354 Augustine - 430 م) الذي يُعد - مقارنةً بسابقيه أحدث عهداً - إلى أن الزمان «لاعقلاني، تجربة حية معاشة، وليست موضع تنظير عقلائي» ووفق هذا فإن أوغسطين يرى أن الزمان هو ما نعيشه ونحسه وليس الزمان الفلكي الذي نختبره(28). «الزمن كالنهر صُنِعَ من حوادث تحصل، وتياره جارف، وكل ما يحدث فيه يزول منجرأً، بمجرد حدوثه»(29).

ولو وقفنا على أُمُودج لفلاسفة المسلمين المتأثرين بالفلسفة اليونانية لوجدتُ أن ابن سينا (980 Avicenne - 1037 م) على سبيل المثال يرى أن الزمان «مقياس الحركة الدائرية المتصلة من جهة السابق واللاحق، بدلاً من جهة المسافة...»(30).

وفي العصور الوسطى فضلاً عن ابن سينا، يرى الفيلسوف اليهودي ميمونيدس (1135 - 1204) Maimoides أن الزمان يحتوي «... على ذرات زمنية؛ أي أجزاء متعددة تكوّن في النهاية فترات قصيرة بحيث لا يمكن تجزئتها... فالساعة مثلاً تنقسم إلى ستين دقيقة، والدقيقة إلى ستين ثانية، والثانية يمكن تجزئتها إلى أجزاء صغيرة... ثم نصل إلى أجزاء لا يمكن تجزئتها، أي غير قابلة للتقسيم»(31).

مستخلص:

وفق ما سبق سرده من فهوم للفلاسفة القدماء ومن تأثر بهم من فلاسفة في العصور الأحدث عهداً؛ بشأن تصوراتهم لدلالة مفهوم الزمان، يمكنني القول إنه قد تأسس وفق فهمٍ مثاليٍّ مفارقٍ يُعد مبدأً أو فكرةً يقوم ويرتكز عليها في عالمنا المحسوس (عند أفلاطون)، في حين أن تصوّر المكان والزمان ككائنين موضوعيين واقعيين يبدو تصوراً مخالفاً لسابقه (عند أرسطو). لكن المصادرة على الذات العارفة في تصور الزمان (ذاتية تصور الزمان) تتناقض - وفق ما بدا عند أوغسطين - مع التصور الأرسطي الموضوعي لتصور الزمان؛ إذ أن تصور الزمان كشيء ذاتي أو نفساني؛ بمعنى أن الزمان لا يكون هو إلا في وجود ذات تحس وتشعر بهذا الزمان، فلا معنى إذن وفق هذا الفهم الأخير (عند أوغسطين) للزمان الموضوعي أو الكوني (عند أرسطو).

وما بدا أيضاً وفق ما سبق سرده من مفهوم لطبيعة الزمان هو وجود ارتباط يشكّل تضامياً بين تصوري الزمان والحركة؛ إذ أن الزمان يتطلب الحركة، والحركة تتطلب الزمان (عند أفلاطون، أرسطو)، أو أن الزمان مقياس للحركة الدائرية التي هي أكمل أنواع الحركات؛ إذ لا بداية لها ولا نهاية (عند ابن سينا).

كما يمكن استخلاص إرهاباً أو مقارنة للتفسيرات العلمية المعاصرة بشأن مفهوم الزمان؛ إذ أن ربط الزمان بالكواكب والحركة هو مرتكز كل التفسيرات العلمية في هذا الشأن فيما بعد النسبية.

المطلب الثاني: المفهوم والتفسير حديثاً

يمكن بداية أن اسم العصر الحديث بإطلاق (الحديث والمعاصر) من ناحية النظر في المفاهيم العلمية، بأنه عصر أّسم- استناداً لما ذكره ياسين خليل - بتخلي العلماء عن بحثهم التقليدي عن أصل الأشياء، حيث نجدهم قد تخلّوا عن «... سؤالهم التقليدي الذي طالما واجهوا به الطبيعة دون جدوى: لماذا؟ سؤال يدور حول جواهر الأشياء وماهياتها، وطرحوا بدلاً منه سؤالاً أكثر واقعية يدور حول كيفية حدوث الظواهر» (32).

إن هدي هنا هو عرضُ بعض التفسيرات والتصورات الحديثة والمعاصرة لمفهوم الزمان، ولذا سوف أتناول طبيعة المفهوم وفقاً لرؤية بعض الفلاسفة الذين يمثّلون محطات يمكن الوقوف عندها في تاريخ الفكر العلمي.

فكيف فهم الزمان وفقاً للعصر الحديث ووفقاً لتفسيرات فلاسفته؟ وما الدلالات التي بدت له وفق تحليلاتهم؟

لعل البداية مع رينيه ديكارت (1596 - R. Descartes 1650 م) (أبو الفلسفة الحديثة) تمثّل ضرورة تفرّجها الناحية التاريخية.

بشكل عام فقد ساوى ديكارت بين المادة والمكان، وجعل الامتداد صفة أساسية للمكان، «واختزله إلى دقائق مادية صغرى» في المقابل فقد اعتبر الزمان مغطاً للتفكير، وصفته الأساسية الاستمرار (33). أيضاً فإن الزمان وفقاً لما يرى ديكارت يشبه المكان، وكذلك فهو الزمان الطبيعي وزمان النفس أو الزمان الحدسي.

ولعلي أستطيع المقاربة بين ما ذهب إليه ليبنتز (1646 - G. W. Leibnitz 1716 م) وما رآه ديكارت، ويبدو لي ذلك في اعتقاد ليبنتز أن الزمان مرتبط بالحوادث، وما الأحداث إلا سلسلة تعاقبية الواحدة تلوى الأخرى، فهو تعاقب الظواهر للحوادث.

فضلاً عن أن ليبنتز «... يعتبر المكان والزمان علاقات للمادة، علاقات ترتيب للأجسام (مكان)، أو علاقات تتابع للأحداث (زمان). ومع اعتباره للوجود الموضوعي للمكان والزمان إلا أنها عنده تُعدّ إحساسات ذاتية...» في حين أن الزمان يعد مطلقاً رياضياً حسب زعم نيوتن (1643 - I. Newton 1727 م)، إذ أنه «ينتج باطراد وبدون النظر

إلى شيء خارجي، إنه أيضاً يسمى الديمومة Durations ... وهو يقدر بحركات الأجسام...». أيضاً فهو لا نهائي، وغير قابل للتغيير (34).

وإجمالاً فإن فيزياء نيوتن وجاليليو التقليدية قد افترضت وجود مكان وزمان مطلقين منفصلين في وجودهما عن وجود المادة، بل إن وجودهما يقابل الوجود المادي، فهما يوجدان فارغين ويمارسان تأثيرهما على المادة دون أن يتأثرا بها (35).

في حين أن هناك من أنكر - فضلاً عن ديكرت - هذا التصور، فذهب إلى أن المكان والزمان ليسا مطلقين، مثل: برونو وهويجنز وتولاند (36).

وربما لا يكون لحديثي عن دلالات مفهوم الزمان في العصر الحديث أية جدوى ما لم أتناول أشهر من فصلوا في الزمان رابطاً إياه بالمكان وهو أمانويل كانت (1724- 1804 م. Kant) الذي جعله إطاراً عقلياً، و شكلاً قليباً للحساسية يتم وفقه ترتيب معطيات الحواس ومضمون خبرة الإنسان بالعالم الخارجي، وكما هو إطار للوجود فهو شرط أو صورة قلبية للمعرفة.

فالزمان والمكان وفقاً لكانت إن هما إلا «تصورات قلبية تصاحبنا كأشكال عقلية قبل أن يبعث بهذا التصور شيء حقيقي خلال الإحساس، أي أنهما موجودان في وعي الإنسان منذ الولادة بالفطرة» (37).

الزمان صورة حدسية، أو بالأحرى أحد أشكال الحدس المتفككة تماماً مع حواسنا الداخلية. كما أن الزمان الكانتي ليس مفهوماً أمبيريقياً (خبرياً) مشتقاً من أية تجربة، لكنه معطى قبلي وفيه وحده تكون الظاهرات ممكنة، ويمكن لهذه أن تختفي كلها معاً، أما هو نفسه (بوصفه شرط إمكانها العام) فلا يمكن أن يلغى، فليس له سوى بُعد واحد، وليس مفهوماً سياقياً أو مفهوماً عاماً كما يقال، بل صورة محضة للحدس الحسي (38). وبذلك فهو كيفية للإدراك ووسيلة للإدراك الحسي، وهو مسلّم به لأن كل تجربة تفترضه (39).

وبهذا فإن كانت يقول بذاتية الزمان؛ بمعنى أن لا وجود له بدون الذات، فلا وجود له خارج تمثلاتنا. موجود في العقل كإطار يمتلئ بواسطة الحس (40).

فضلاً عن ذاتية مفهوم الزمان عند كانت، فإن هذه الذاتية لمفهوم الزمان من حيث أنه معرفة تتطلب ذاتاً عارفة، يشكّل فهماً يبدو لي أيضاً من خلال ما ذهب إليه آرثر شوبنهاور (1788 - 1860 م. schopenhauer) من أن الزمان «صورة للمعرفة لا تقوم إلا بالذات العارفة»، فضلاً عن أنه شرط للمعرفة والإدراك، وهو قبلي غير تجريبي. وهذا ما وجد عند كانت إلى حد كبير (من ناحية أنه شرط للمعرفة قبلي غير تجريبي).

ومن ناحية أن الزمان شرط أولي لكل الخبرات والمعارف، يبدو لي أن تصور لودفيج فيورباخ (1804 L. Feurbach) (1872 م-) للزمان يقترب أيضاً من تصور كانت له، حيث يذهب فيورباخ إلى أن الزمان شرط لكل وجود ولكل

ماهية، لكل فكر ولكل نشاط، لكل ازدهار ولكل تقدم (41).

وفي سياق استنباط مفهوم الزمان عند فلاسفة العصر الحديث، نجد أيضاً أن الزمان غير حقيقي؛ لأن مفهومه غير مترابط مع ذاته، هذا أمر يبدو في رأي هيجل (1770- 1831 G. W. F. Hegel) والهيغليون الجدد. فالفلسفة الهيغلية المثالية رأت أن الزمان كالمكان جزئيات منفصلة لا اتصال بينها وكائنة خارج نطاق الذات والروح المطلق. بالإضافة إلى أن المكان والزمان - حسب رأي هيجل - يمثلان صفة لروح العالم ولا يمثلان شكل الوجود الموضوعي الواقعي (42).

ومن التفسيرات المثالية لمفهوم الزمان تصوره على أنه إطار يُفسر من خلاله الوجود. فوفقاً لهيدر - M. Heide (1889- 1976) فإن الزمان هو الأفق الترنسندنتالي (أي المتعالي المفارق للمادة) الذي ننظر منه إلى السؤال عن الوجود. فهيدر قد نظر إلى الوجود من خلال الزمان (43).

وبالإشارة إلى منظور التجريبيين - في مقابل منظور سابقهم من الهيغليين المثاليين - أجد على سبيل المثال وليم جيمس (1842 - 1910 W. James) يرى أن الزمان « تصوّر كونه من العلاقات الوقتية التي هي معطى حسي في خبرتنا بالديمومة والحاضر المستمر دائماً. وقياس الزمان من ثم عملية تجريبية بحتة تتم من خلال المعاينة الحسية للحركة؛ لأن الزمان نفسه لا يدرك إلا من خلال حركة الأشياء.

والاستنباط متصل عن مفهوم الزمان وفق التصورات الحديثة، ونجد أيضاً لاعتقانية تصور الزمان عند باول تيليش (1886 - 1965 P. Tillich)، تؤدي فيما يبدو لي إلى ذاتية فهمه أيضاً، إذ يذهب تيليش إلى أن الزمان « هو ما نحسه ونعيشه بداخلنا وليس هو تصور فلكي موضوعي» (44).

كما يبدو لي بالإمكان ربط هذا التصور الحديث عند باول تيليش مع الفهم للزمان عند جورج بركلي G. Berkeley (1658- 1753) الأقدم عهداً حين تصور أن المكان والزمان شكلان للإحساس الذاتي (45)

وفي سياق متصل نجد أن عدم تناهي الزمان وما ترتب عليه من دائرية، هو فهم يبدو من خلال تصور نيتشه (1844 - F. Nietzsche 1900م)، إذ اعتقد أن « الزمان غير متناهٍ، أزلي أبدي، وعند الآن يلتقي الأزل والأبد، الماضي اللامتناهي والمستقبل اللامتناهي» (46) .

غير أن هذه الدائرية في فكرة الزمان، والمركزة عند نيتشه على فكرة العود الأبدي التي تشكل سناً قوياً لجل فلسفته لم تعد - اتفاقاً مع رأي مني الخولي - ذات قيمة بعد التقدم الذي حدث في العلم، حيث ظهرت عوامل كثيرة يمكن أن تدحض هذا التصور (وهذا ما سيتبين أكثر في المبحث الثاني)، منها على سبيل المثال ما تمثّل في المبدأ الثاني للديناميكا الحرارية الذي ينص على عدم قابلية الظواهر الحرارية للارتداد، لأن الحرارة لا تنتقل إلا في اتجاه واحد من الجسم الأسخن إلى الأبرد، ومن ثم في اتجاه زمني واحد غير قابل للارتداد (47). أو على رأي هنري برجسون (1859 - H. Bergson 1941م) « إن الزمان تراكم وهو وديمومة» (48).

مستخلص:

استناداً لما تقدم بشأن مفهوم الزمان في العصر الحديث، يمكنني القول:

إن هنالك تعادلاً أو تكافؤاً بين مفهومي الزمان والمكان من حيث إن كل منهما يتركب من أو يتجزأ إلى وحدات، هذه الوحدات في الزمان هي الحوادث المتتالية، في حين أنها في المكان جزئيات مادية. ووفق هذه الدلالة لمفهوم الزمان فإنه غير مطلق بل مقيد بالحوادث، فضلاً عن ذاتيته البادية (ديكارت، ليبنتز).

ووفق فهم آخر فإن الزمان مطلق غير مقيد بالمكان، فضلاً عن أنه يمثل الإطار الشامل (وكذلك المكان) لمادة الكون، كذلك فهو لا نهائي ولا متغير، يقاس رياضياً بحركات الأجسام المادية (نيوتن، جاليليو).

وعند نقطة بارزة في تاريخ الفكر العلمي الحديث أجد للزمان فهماً مخالفاً تماماً لما سبقه من فهم؛ فعند هذه النقطة فإن الزمان يدل على أنه إطار قبلي موجود في ذهن الإنسان ويشكل وعاء لكل المعارف التي تأتي من قبل الحواس، ووفق هذا التصور فهو ذاتي (كشأنه عند ديكارت و ليبنتز سابقاً)، أي لا وجود للزمان من غير الذات (كانت، شوبنهاور، فيورباخ وهذا الأخير إلى حد ما).

في حين أن مثالية مفهوم الزمان أيضاً تبدو من خلال تصوره على أنه جزئيات (افتراضية) غير مترابطة ولا وجود حقيقي وواقعي لها(هيجل). وبشيء من المقاربة مع هذا التصور فقد فهم الزمان أيضاً على أنه يمثل إطاراً عاماً افتراضياً يُفسر الوجود(هيدجر).

و في مقابل المنظور المثالي للزمان فإنه بدا على أنه تصور واقعي يُدرك في ارتباطه مع الحركة في منظور التجريبيين الذين يبدو عندهم معطى حسي يمثل خبراتنا بالحاضر المستمر(وليم جيمس)، أو أنه شكل للإحساس (جورج بركلي).

وأخيراً فقد كان تصور الزمان على أنه دائري وبالتالي غير متناهي يمثل فهماً له دلالاته (نيتشه)، وإن وُجد ما يتعارض مع هذا التصور من حيث إن الزمان مُو وتراكم وديمومة وليس دائرياً (برجسون).

المبحث الثاني

نظرية النسبية والدلالات الجديدة لمفهوم الزمان.

المطلب الأول: ما النظرية النسبية؟

من خلال إجابة هذا السؤال يسعى الباحث لاستبانة أساس هذه النظرية والإرهاصات العلمية والفلسفية التي أدت إلى ظهورها، كيما يكون هذا توطئة للبت في تصور الزمان من خلال هذه النظرية.

بدايةً، أوردُ جملة من التساؤلات كان قد طرحها الدكتور مصطفى محمود في معرض حديثه عن النظرية النسبية. يمكن لهذه التساؤلات أن تشكّل تمهيداً للنظرية النسبية، وهي على النحو التالي: « هل نحن نرى الدنيا على حقيقتها؟ هل هذه السماء زرقاء فعلاً .. هل الحقول خضراء .. وهل الرمال صفراء؟ وهل العسل حلو .. والعلقم مر؟ هل الماء سائل .. والجليد صلب؟ وهل الخشب مادة جامدة كما تقول لنا حواسنا؟ وهل حجارة الأرض مادة موات، لا حياة فيها ولا ديب؟ وهل الزجاج شفاف كما يبدو لنا .. والجدران صماء كما نراها؟ ..

فكما هو بيّن فإن محمود يذهب إلى شيءٍ من الارتياب فيما يبدو لنا أن لا ريبه فيه من أشياء تُلقَى بسطوتها المادية على عقولنا، تلك السطوة البادية في سيطرتها على حواسنا. هذا محور ومركز عود نظرية النسبية، إذ النسبية تنبني بشكلٍ أساسي على اختلاف موقع المُلاحِظ أو الراصد بالنسبة للمُلاحَظ أو المرصود، أي بين الإنسان و أي جزء من أجزاء الكون.

ثم ينتقل محمود بعد ذلك إلى شيءٍ من الارتياب في المعقولات فضلاً عن المحسوسات قائلاً: «وهل الخط المستقيم مسافة بين نقطتين كما تقول لنا الهندسة التقليدية التي تعلّمناها .. وهل مجموع زوايا المثلث تساوي 2ق؟ وهل أحداث الكون كلها ممتدة في زمنٍ واحد .. بحيث يمكن أن تتوافق بعضها مع بعض في آنٍ واحد في أماكن متفرقة ... فنقارن أحداثاً تجري على الأرض مع أحداثٍ تجري على المريخ .. والزهرة وسديم الجبار .. ونقول إنها حدثت في وقتٍ واحد .. أو أنّ أحدها كان مثل الآخر .. وهل يمكننا أن نقطع في يقين أن جسمًا ما من الأجسام يتحرك وأن جسمًا آخر لا يتحرك؟

كل هذه الأسئلة التي يُخيّل لك أنّك تستطيع الإجابة عنها في بساطة، والتي يظن العلماء أنهم قد انتهوا منها من زمن .. قد تحوّلت الآن إلى ألغاز..

لقد انهار اليقين العلمي القديم .. والمطرقة التي حطّمت هذا اليقين، وكشفت لنا عن أنه كان يقيناً ساذجاً، هي عقل آينشتاين الجبار .. ونظريته التي غيّرت الصورة الموضوعية للعالم .. نظرية النسبية» (49).

أساس النظرية ومضمونها:

قبل الخوض في تفاصيل النظرية النسبية، تحتّم الضرورة تعريف مفهوم البعد الرابع، إذ كثيراً ما عُرفت النظرية النسبية بأنها نظرية الأبعاد الأربعة. فما هي هذه الأبعاد الأربعة وكيف نستخدمها؟ ولماذا أكد آينشتاين على ضرورة استخدام البعد الرابع بالإضافة إلى الأبعاد الثلاثة التي اعتمد عليها جميع العلماء من قبله؟

لقد تطور مفهوم الأبعاد مع تطور الحياة العملية للإنسان، بمعنى تطوره في الحياة العملية، فقدماً كان الإنسان يتعامل مع بعد واحد في حياته، وهذا مترتب على احتياجه للبحث عن ما يقتات به، فكان يستخدم

رمحه لاصطياد فريسته وبالتالي كان يقذف رمحه في اتجاه الفريسة حيث ينطلق الرمح في خط مستقيم وحركة الرمح هنا تكون في بعد واحد وسنرمز له بالرمز s ، ومن بعد ذلك ابتكر زراعة الأرض، وبالتالي تطلب منه ذلك التعامل مع مساحة من الأرض تحدد بالطول والعرض وهذا يُعد استخدامً لبعدين هما s ، ص لأنه بدونهما لا يستطيع تقدير مساحة الأرض المزروعة. وعندما احتاج الإنسان للبناء أخذ يفكر ويحسب في البعد الثالث وهو الارتفاع. وهذه هي الأبعاد الثلاث s ، v ، e والتي كانت الأساس في حسابات الإنسان الهندسية، وحتى مطلع القرن العشرين اعتبرها الإنسان كافية لحل كل المسائل التي تعترضه في حياته. وحتى يومنا هذا نعتمد على الأبعاد الثلاثة في تنقلاتنا وسفرنا وحساباتنا.

إن ألبرت آينشتاين (مؤسس النظرية النسبية) هو أول العلماء القائلين بالبعد الرابع (الزمن) وذهب إلى أن الكون الذي نعيشه ذو أربعة أبعاد وهي الطول والعرض والارتفاع والزمن. وادخل بذلك البعد الرابع في جميع حساباته

الأصل في هذه النظرية - فيما يذكر عبدالرحمن بدوي - هي النتائج السلبية التي انتهت إليها تجربة ميكلسون و مورلي *Mechilson&Morley*؛ هذه التجربة أُقيمت على أساس ما افترضه العلماء من وجود ما يسمى بالآثير الذي يتخلل الكون، وقد فسروا به ظاهرة التأثير عن بعد، فالآثير يُغني عن الوسط المادي المُفترض ضرورةً لنقل الأثر. فظاهرة كظاهرة تأثير المغناطيس في الحديد مع عدم التماس بين المحرك والمتحرك لا يمكن فهمها إلا بافتراض وسط يجري فيه التأثير حتى يتيسر التماس، ولما لم يكن هناك وسط مادي يُحس في حالة التأثير بين المغناطيس والحديد، فلا بد من افتراض الأثير لنقل الأثر بين المؤثر والمتأثر.

الأرض مشمولة بهذا الأثير، وإذا كانت ساكنة كان الزمن المطلوب لاجتياز مسافة معلومة ذهاباً وإياباً ثابتاً باستمرار مهما كان اتجاهها في المكان، أما إذا كانت متحركة في الأثير فإن قطع المسافة نفسها ذهاباً وإياباً، يختلف تبعاً للاتجاه في المكان، فإن كان الاتجاه من الشرق إلى الغرب مثلاً فإن قطع المسافة يستغرق وقتاً أطول مما إذا كان من الشمال إلى الجنوب ذهاباً وإياباً في كلتا الحالتين (50).

ومن خلال نقد آينشتاين لبعض النتائج التي توصل إليها ميكلسون و مورلي في تجربتهما، وكذلك رفضه لبعض الأفكار الفيزيائية السابقة عليه، والتي تقوم على أن المفاهيم مثل: الزمان والمكان والحركة والسرعة، هي مفاهيم مطلقة عند علماء الفيزياء الكلاسيكيين من أمثال نيوتن وجاليليو. كل هذه الأمور أدت بآينشتاين إلى تأسيس نظريته النسبية الخاصة والعامة.

وضع آينشتاين عام 1904 نظريته وسماها النظرية النسبية الخاصة وفي العام 1916 نشر آينشتاين نظريته النسبية العامة، والحقيقة أن كلتا النظريتين هما نظرية واحدة، ولكن النظرية النسبية الخاصة تتعامل مع الأجسام المتحركة بسرعة منتظمة (أي ذات السرعة الثابتة مثل الأجسام المتحركة على الأرض فقط)، والنظرية النسبية العامة تعالج حركة الأجسام المتسارعة (غير منتظمة السرعة) وهي تشمل حركة كافة مكونات الكون من

نجوم ومجرات، فتلك الأجسام لها تغير في اتجاه مسارها وليست ثابتة في حركاتها، ولهذا فإن النظرية النسبية العامة أشمل وأعم من الخاصة (51).

فرضيتا النظرية:

لقد وضع أينشتاين لنظريته فرضيتين، هما في حقيقتهما مخالفتان لما كان سائداً عند علماء الفيزياء السابقين عليه، إذ أن أولهما تتمثل في رفض الأثير الذي كان في رأي سابقه وسط تتحرك فيه كل الكواكب والنجوم، فضلاً عن أنه مرجعية تقاس عليها مواضعها وحركاتها وسرعاتها ... إلخ. أما ثاني تينك الفرضيتين تمثلت فيما ذهب إليه أينشتاين من أن سرعة الضوء (الذي أصبح حسب فهم أينشتاين وحدة القياس الوحيدة للمسافات الكونية فيما عُرفَ بالسنة الضوئية) ثابتة ولا علاقة لها بسرعة المصدر ولا بموضع الملاحظ .

فالفرضية الأولى تقوم على أن لا وجود للأثير، وكان هذا مخالف لكافة العلماء في ذلك الوقت، لأنه وفقاً لهذه الفرضية فإن المكان المطلق لا وجود له ولا يوجد إلا المكان النسبي والحركة النسبية وكذلك السرعة النسبية، أي نسبة المكان إلى آخر أو نسبة الحركة إلى أخرى أو السرعة إلى سرعة أخرى. يوضح أينشتاين ذلك بمثال مركبتين فضائيتين في الكون فلا يستطيع رواد المركبة الأولى من تحديد سرعة وموضع أو مكان مركبتهم إلا بمقارنتها بالنسبة للأجرام المنتثرة حولها أو بالنسبة للمركبة الثانية إذا مرت بالجوار، وكذلك الحال بالنسبة للمركبة الثانية، وأي شخص يحاول إيجاد سرعة المركبة فإنه سيجدها بالنسبة لسرعة أخرى. وحيث إن كل شيء في الكون يتحرك حركة دائمة ومعقدة فإن أي سرعة تُحدّد نسبةً إلى سرعة أخرى، وكذلك المكان نسبةً إلى مكان آخر.

مثال آخر: على افتراض أن هناك سفينة فضائية تسير بسرعة 10000 كيلومتر في الساعة بالنسبة للأرض، واقتربت منها سفينة أخرى وتجاوزتها فإن أدوات الرصد في السفينة الأولى سوف تُقدّر سرعة السفينة الثانية التي مرت عليها بأنها 2000 كيلو متر في الساعة (أي 2000 كيلومتر بالنسبة لها) وبما أن سرعة السفينة الأولى بالنسبة للأرض معروفة (10000 كيلومتر في الساعة) فإن سرعة السفينة الفضائية الأخرى بالنسبة للأرض ستكون 12000 كيلومتر في الساعة.

هنا أُرِجَعَتْ القياسات بالنسبة للأرض (كنقطة ثابتة)، فما بالك لو أننا أصبحنا لا نرى الأرض في هذا الكون الفسيح وأن السرعة التي انطلقت بها المركبة الأولى تغيرت؟ فكل ما نستطيع قوله أننا هو أن سرعة السفينة الأخرى هو 2000 كيلو متر في الساعة. ولكن هذا الرقم يعبر عن احتمالات عديدة كأن تكون السفينة الأولى واقفة والأخرى مرت عليها بسرعة 2000 كيلو متر في الساعة، أو أن تكون الأولى متحركة بسرعة 1000 كيلو متر في الساعة والثانية تسير بسرعة 3000 كيلو متر في الساعة أو ... إلخ من الاحتمالات الممكنة.

فحوى هذا الأمر يعني أننا بحاجة إلى شيء ثابت ليرشدنا إلى ما الشيء المتحرك؟ وكم هي سرعته؟ وما اتجاهه؟ ولهذا أسند العلماء كل ذلك إلى الأثير ليهربوا من حقيقة النسبية. لكن أينشتاين لم يهرب من الاعتراف بأن الأثير وهم، وأقرّ بأن كل مكان وكل حركة وكل سرعة هي أمور نسبية.

أما الفرضية الثانية والقائلة بأن سرعة الضوء ثابتة في الفراغ مهما تغير مكان المشاهد ومصدر الضوء، فإنها تبدو من خلال المثال التالي: لنفرض أن سيارة تسير بسرعة 100 كم/ساعة وقام شخص بإطلاق رصاصة من مسدس في اتجاه حركة السيارة، ولنفتض أن سرعة الرصاصة بالنسبة للمسدس هي 1000 كم/ساعة، ثم استدار نفس الشخص وأطلق رصاصة أخرى في اتجاه معاكس لحركة السيارة، فإذا ما قام شخص على الطريق وقاس سرعة الرصاصة في الحالة الأولى سيجد أنها 1100 كم/ساعة وفي الحالة الثانية سيجد سرعة الرصاصة 900 كم/ساعة. وهذا يعود إلى أن سرعة السيارة تجمع مع سرعة الرصاصة في الحالة الأولى وتُطرح منها في الحالة الثانية. هذا التسلسل المنطقي للموضوع محسوس لنا ونعرفه جيداً ولا غرابة في ذلك ولكن ماذا يحدث إذا استبدل المسدس بمصدر ضوئي؟ هنا يتدخل آينشتاين ويقول أن الوضع مختلف فسرعة الضوء تبقى ثابتة في كلا الحالتين وتساوي 300 ألف كم / الثانية وهذا لا يتغير مهما بلغت سرعة السيارة ولو فرضنا جداراً أن السيارة تسير بسرعة الضوء فإن الضوء المنبعث من المصباح سينطلق أيضاً بسرعة الضوء نفسها (52).

بالطبع هذا أمر مدهش، ويتحدى آينشتاين بذلك مفاهيم العلماء السابقين. لم يتوصل آينشتاين لهذه الفرضية بإجراء التجارب وتحليل النتائج إنما توصل إليها عندما تساءل مع نفسه حول ثبات الكون والتفكير فيه، ليصل إلى هذه الفرضية التي طلب من العلماء التسليم بها ليبينوا عليها العديد من التفسيرات للظواهر الكونية. لكن العلماء كانوا بحاجة إلى أدلة وبراهين للاقتناع بهذه الفرضية فقام الفلكيون برصد الضوء الواصل إلى الأرض من أحد النجوم في الفضاء وكان الهدف من هذه التجربة إثبات خطأ فرضية ثبات سرعة الضوء. وذلك بالاعتماد على أن النجم عندما يدور حول مركزه يكون مرة مبتعد عنا ومرة أخرى يكون النجم مقترب منا، وعلى هذا الأساس توقع العلماء أن يرصدوا سرعتين مختلفتين للضوء في حالة اقتراب النجم وابتعاده (توقع العلماء أن تكون سرعة الضوء وهو مقترب أكبر منها وهو مبتعد)، ولكن المرصد الفلكية لم تقس أي تغير في سرعة الضوء.

هذا طرحٌ موجز، حاول الباحث من خلاله إيضاح المقصود بالنظرية النسبية، وقد تبدى منه أن هذه النظرية لم تظهر مرة واحدة، وإنما كانت هناك إرهابات سابقة تمثلت بشكل أساس في نقد آينشتاين لتجربة ميكلسون ومورلي في الضوء، الأمر الذي دفع آينشتاين إلى رفض تصور الأثير كوسط أو كمرجعية، مما ترتب عليه بالتالي رفض الأحكام المطلقة التي قال بها علماء الفيزياء والفلك السابقين على آينشتاين مثل أحكامهم في الحركة المطلقة والمكان والزمان المطلقين... إلخ. فضلاً عن إثبات آينشتاين لثبات سرعة الضوء مهما كانت سرعة مصدره أو موضع الملاحظ. ومن ضمن المصادرات التي صادرت عليها النظرية النسبية أن جعلت الزمان بُعداً رابعاً مع الأبعاد الثلاث الأخرى (الطول، العرض، العمق أو الارتفاع). فهل ظل مفهوم الزمان كما هو بعد تأسيس نظرية النسبية؟

المطلب الثاني: الزمان وفقاً للنسبية

لقد ارتبط الزمان بعد النسبية ببعض المفاهيم الأخرى، بقدر ما أصبح إطاراً شمولياً لا يمكن إغفال مكانته في الحسابات الفلكية والطبيعية والرياضة، الأمر الذي ترتب عليه فهماً جديداً لتصور الزمان يمكن أن يبدو من خلال الآتي :

1- ارتباط الزمان بالمكان (متصل الزمكان):

لقد ارتبط الزمان بالمكان فيما عُرف بمتصل الزمان- المكان أو الزمكان، حيث «...أيدت الفيزياء المعاصرة هذا الترابط ورأت أن المكان والزمن ليس لهما وجود مستقل عن بعضهما البعض بل هما مركب واحد يسمى المكان-الزمان، له وجود حقيقي كوجود الأشياء المادية...»(53).

الزمان متصل بالمكان فعند «تحديد وضع أي جسم يجب أن نقول إنه موجود في المكان كذا في الوقت كذا»(54). ومن زاوية أخرى يربط آينشتاين بين الزمان والمكان على أساس أن الزمان ما هو إلا «انتقالات رمزية في المكان». ذلك أن الزمان المعروف باليوم والشهر والسنة «ما هو إلا مصطلحات رمزية ترمز إلى دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، أو ... مصطلحات لأوضاع مختلفة في المكان. الساعة هي دورة الأرض 15 درجة حول نفسها، واليوم هو دورة كاملة، والسنة هي التفافها الكامل حول الشمس، حتى الساعة التي نحملها في معصمنا عبارة عن انتقالات في المكان (انتقالات عقرب على ميناء دائري من رقم إلى رقم). الزمان والمكان متصلان في حقيقة واحدة...»(55).

هذا ويمكن القول بأن الزمان هنا نسبي، بمعنى أن لا معنى له إذا لم يُنسب إلى المكان الذي اشتق منه، وخير مثال على هذا الأمر أن «الإنسان الذي يسكن عطارداً مثلاً سوف يجد للزمن دلالات مختلفة؛ إذ أن عطارداً يدور حول نفسه في 88 يوماً، وهو في هذه المدّة نفسها يكون قد دار حول الشمس، ومعنى هذا أن طول اليوم العطاردي يساوي طول السنة العطاردية، وهو تقويم يختلف تماماً عن تقويمنا»(56).

وفي هذا السياق أيضاً يمكن النظر للمكان والزمان والحركة والمادة من حيث إنها أصبحت مجموعة من الحوادث كلها مترابطة بحسب الفكر العلمي الجديد المرتكز على النسبية. إذ « يظهر الزمن من خلال انطباقه على المكان، والحركة تحدث في مكان، والأحداث تقع في مكان، بل إن تعاقب الزمن نفسه لا يظهر إلا من خلال موجودات ينطبق عليها هذا التعاقب...»(57).

وهكذا فالزمان وفقاً للنسبية لصيقاً بالمكان حيث «... لا يوجد مستقلاً عن الأشياء... فكما أن المكان يُحدد عن طريق الطول والعرض والارتفاع، أي ثلاثي الأبعاد، فالزمن ما هو إلا بُعد لهذه الأشياء...»(58).

وفق كل هذا يتبين لي اختلاف واضح في فهم بعض التصورات، مترتبة على الفهم الجديد للزمان، مثل: تصور السنة، وتصور اليوم والساعة، التي تعد بمثابة بديهيات يُسَلَّم بها دون برهنة، لكن بعد النسبية أصبحت موضعاً للتساؤل، ويبدو أن اليقين الراسخ في فهمها على النحو الكلاسيكي قد اهتز إثر الكشوف الجديدة التي جاءت بها النظرية النسبية.

2 - تباطؤ الزمان مع زيادة السرعة:

من الأمور التي استجدت بعد ظهور النسبية أن «الجسم ينكمش ويزداد انكماشه كلما زادت سرعته ... ولا علاقة للانكماش بتكوين الجسم، فالانكماش قائم سواءً كان الجسم خشب أم من معدن أم من صخر، كذلك يبطؤ الزمن كلما زادت الحركة...»(59).

رہا هو أمرٌ بدهي لا يخفى على أحد أن أقول: إن الزمن يتناسب مع السرعة تناسباً عكسياً منتظماً، بمعنى أنه كلما زادت السرعة قل الزمن، وبالعكس كلما قلت السرعة زاد الزمن. فلو كانت المسافة بين مدينة وأخرى هي 2000 كم (افتراضاً) فإنها تحتاج منّا لقطعها 20 ساعة في سيارة تسير بسرعة 100 كم/ساعة، في حين قد تحتاج منا فقط 10 ساعات بالنسبة لسيارة أخرى تسير بسرعة 200 كم/ساعة.

هذا أمرٌ يسري بالنسبة للمسافات الصغيرة أو بالأحرى، بالنسبة للأرض أما في المسافات الفلكية التي تقاس بالسنة الضوئية (التي سيتم إيضاح معناها)، فإن الأمر يختلف، إذ أن وحدة القياس وهي الضوء (وسرعته 300000 كم/ثانية)، رغم أنها الأداة الوحيدة التي يمكن استخدامها في المسافات الفلكية، إلا أن الزمن سيحدث له ما يسمى بتباطؤ الزمن. فلو افترضنا أن هناك شخصاً ما انطلق بصاروخ فضاء سرعته عالية جداً ولتكن مثلاً 100000 كم/ثانية، سوف يحدث تأخير في الساعة التي في يده ولكن من غير أن يشعر بذلك، لأن جميع عملياته سوف تُبطئ بدورها سواءً الفسيولوجية منها كدقات قلبه، أو الذهنية كالتذكر والتفكير. المعنى أنه كلما زادت السرعة فإن الزمن يبطئ حتى إذا وصل هذا الشخص الافتراضي إلى سرعة الضوء (300000 كم/ساعة) فإن الزمن يتوقف، بل لو فُرض أن هذا الشخص تمكّن من الانطلاق بأكثر من هذه السرعة سوف يعود إلى الأرض في الماضي بدلاً من المستقبل!!(60).

3 - انعدام التوافق:

إن ما يترتب على القول بنسبية الزمان (أي القول بأن لكل ملاحظ أو مشاهد في أرجاء هذا الكون الفسيح زمانه الخاص) هو انعدام إمكان تصور التوافق أو التزامن أو «الآنية»، يقول مصطفى محمود « لا يمكن أن نفرض كلمة مثل الآن على الكون كله، فهي أولاً كلمة ذاتية نفسية: وحتى إذا اقتصرنا على معناها الموضوعي وهو توافق حدثين، وحدوثهما معاً في ذات اللحظة فإن هذا التوافق لا يمكن أن يحدث بين أنظمة مختلفة لا اتصال بينها...» (61).

ويرى آينشتاين في هذا الشأن أنه بالإمكان حدوث مكالمة تليفونية بين متحدثين أحدهما في نيويورك والآخر في لندن، بحيث يمكن القول أن هذه المكالمة في آنٍ واحد لأن المرجعية هنا واحدة وهي كوكب الأرض الذي يقع عليه المتحدثين، لكنّ هذا الأمر لا يمكن أن يحدث بين متحدث على الأرض ومتحدث على كوكب آخر، أي انعدام التوافق وافتقاد اللحظة الآنية بينهما لأن مرجعيتهما الزمنية ليست واحدة (62).

فانعدام التوافق؛ يعني افتقاد إمكانية القطع بأن حدثٍ ما على الأرض وحدث آخر على كوكب يبعد عن الأرض بمسافات كبيرة سيقعان في ذات اللحظة.

فعلى سبيل المثال حينما نرى - فيما يذكر محمود - نجماً ويخيّل إلينا أننا نراه الآن فنحن في الحقيقة نراه عن طريق الضوء الذي ارتحل عنه منذ آلاف السنين الماضية ليصلنا. نحن لا نرى إلا ماضيه ويخيّل إلينا أننا نرى الحاضر، والحقيقة أن هذا النجم قد يكون انفجر منذ أمدٍ بعيد وما نراه ليس سوى إشارة إلى ماضٍ لم يعد له وجود (63).

ففضلاً لما في هذا الأمر من فهم لعدم التوافق في الزمان في الأمكنة المتباعدة جداً؛ فإن فيه فهم جديد لتصور الضوء بأنه أصبح وحدة قياس للمسافات الفلكية في الكون فيما يعرف بالسنة الضوئية.

كما يبدو لي أن أمر عدم إمكان التوافق يرتبط إلى حد ما بإمكان القول بذاتية الزمان، أي الزمان الخاص بكل شخص على حدة حسب المكان الذي يوجد فيه، وبهذا يمكن القول بأن الزمان لا موضوعي. وهذا ما يفهم من الفقرات السابقة.

4 - مفهوم السنة الضوئية light year:

إن النجوم التي نراها بالتلسكوب (المجهر المُكَبَّر) في السماء والتي قد «تبعد عنّا بمقدار 500 مليون سنة ضوئية .. أي أن الضوء المُنبعث منها يحتاج إلى خمسمائة مليون سنة ليصل إلى عيوننا .. وبالتالي فالضوء الذي نلمحها به هو ضوء خرج منها منذ هذا العدد الهائل من السنين.. فنحن لا نراها في الحقيقة .. وإنما نرى ماضيها السحيق الموغل في القَدَم ...» (64).

بهذا فإن من الدلالات الجديدة التي يمكن أن تبدو لمفهوم الزمان وفقاً للنسبية - والتي لا عهد لعلماء الفلك بها قبل النسبية - ظهور ما يُعرف بالسنة الضوئية؛ والسنة الضوئية إن هي إلا وحدة قياس، فكما أن السننيمتر والمتر والكيلومتر ... إلخ من وحدات القياس للمسافات على الأرض، فإن السنة الضوئية تُعد وحدة قياس للمسافات الفلكية، والسنة الضوئية إن هي إلا المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة عند انطلاقه من مصدره. سرعة الضوء هي السرعة القياسية القصوى في الكون بحيث أن لا شيء أسرع من الضوء.

مستخلص:

لقد غدا الزمان زماناً مكانياً؛ فهو لم يعد مطلقاً، بمعنى أنه زمان المكان الذي أنا فيه أو الذي أنت فيه، وهذا أمرٌ انتهى معه إمكان القول بوقت واحد تتواقت أو تتزامن فيه الأشياء أو حتى الأفكار في المسافات الكبيرة جداً؛ وذلك لدخول السرعة - فضلاً عن المكان - كدلالة معرفية جديدة على الزمان، الأمر الذي أدى إلى دلالة أخرى تَظهرت في القول بإمكان تباطؤه بل وحتى توقفه تماماً عند افتراض وصول جسم ما إلى سرعة الضوء، وفي هذا فقد دخل الضوء من ناحية سرعته على الزمان فيما عُرفَ بالسنة الضوئية لقياس المسافات الفلكية، وهو أمرٌ يشكّل دلالة أخرى جديدة للزمان، بل يمكن القول بأنه انقلاباً أو تحوُّلاً جذرياً في دلالة مفهوم الزمان فيما لو قارنَها بالدلالات السابقة.

نتائج البحث

لقد تعددت دلالات مفهوم الزمان بقدر ما تعددت التصورات المعرفية (الفلسفية والعلمية). فكما تبين من البحث فإنه وإن كان المسمى (الكلمة) هي هي (الزمان) إلا أن ما تفيده من معنى أو من فهم لها قد تغير وفقاً للتصورات المعرفية لهذا المفهوم.

فالزمان ووفقاً لأبرز النماذج في تاريخ الفكر الفلسفي والعلمي هو:

مبدأً أو فكرةً يقوم ويرتكز عليها عالمنا المحسوس، ووجودها الحقيقي مثالي.

الزمان مقياساً للحركة ومرتببُ بها، كما أنها مرتبطة به و تتطلبه.

الزمان حوادث متتالية، وهو مكوّن منها ومقيد بها فلا يوجد إلا بها، ومن هنا فهو ذاتي أي مرتبط بالذات البشرية من حيث أنها هي تستشعر هذه الحوادث.

الزمان إطار قبلي موجود في الذهن وهو وعاء لكل الأحداث من حيث أنها تقوم فيه، وهو بهذا أيضاً ذاتي، موجود داخل الذات لا من خارجها.

الزمان جزئيات افتراضية غير واقعية ولا وجود حقيقي له.

الزمان سريان للأحداث و نمو وتراكم ودهومة واستمرار.

الزمان بُعداً رابعاً مع أبعاد المكان الثلاثة الأخرى (الطول والعرض والارتفاع أو العمق).

هكذا يمكنني القول بأن دلالات مفهوم الزمان قد تعددت بتعدد التصورات المعرفية له؛ الأمر الذي يعني أن هناك أثراً واضحاً للتصورات المعرفية على تغير دلالات المفاهيم.

وعليه فإن ما يوصي به الباحث بناءً على هذه النتائج هو وجوب تحزّي الدقة عند استعمال المفاهيم خصوصاً عند الانتقال من نسق معرفي إلى آخر، فرمّا تتغير دلالة المفهوم من نسق لآخر وإن ظل المسمى هو هو.

الهوامش

1. راجي عنایت، أسرار حیرت العلماء، ط4، دار الشروق، القاهرة، 1995، ص7.
2. سامي أدهم، ما بعد الفلسفة، ط1، دار كتابات، بيروت، 1996، ص7.
3. أحمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1994 ص 155.
4. عبدالمحسن صالح، الإنسان والنسبية والكون، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ص74.
5. عقيل حسين عقيل، المفاهيم العلمية (دراسة في فلسفة التحليل)، المؤسسة العربية للنشر والإبداع، 1999، ص 160.
6. الموسوعة الفلسفية: وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، إشراف م. روزنتال، ي. يودين، ترجمة سمير كرم، ط4، 1981، ص 308.
7. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ط3، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1979، ص 444.
8. الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، مرجع سبق ذكره، ص481.(بتصرف)
9. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مرجع سبق ذكره، ص 444.
10. الموسوعة الفلسفية، يودين، مرجع سبق ذكره، ص 127.
11. المرجع السابق، ص444 (بتصرف).
12. انظر: يوسف محمود، المنطق الصوري، ط1، دار الحكمة، الدوحة 1995، ص 83 - 85.
13. كولن ولسن، فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة فؤاد كامل، سلسلة عالم المعرفة، العدد 159، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1979، ص6،7.
14. محمود أمين العالم، فلسفة المصادفة، دار المعارف، الإسكندرية، 1969، ص252.
15. عقيل حسين عقيل، المفاهيم العلمية (دراسة في فلسفة التحليل)، مرجع سبق ذكره، ص 85.
16. المرجع السابق، ص 99.

17. محمد توفيق الضوي، دراسات في الميتافيزيقا، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1999، ص90.
18. محمد عبداللطيف، الفلسفة والفيزياء، ج2، دار الحرية، بغداد، 1985، ص61.
19. عبدالرحمن مرحبا، مع الفلسفة اليونانية، ط3، منشورات عويدات، بيروت، ص 133.
20. على عبدالمعطي، قضايا الفلسفة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986، ص 228.
21. يمني طريف الخولي، الزمان في الفلسفة والعلم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999، ص 142.
22. محمد عبداللطيف، الفلسفة والفيزياء، مرجع سبق ذكره، ص60.
23. يمني طريف الخولي، الزمان في الفلسفة والعلم، مرجع سبق ذكره، ص 109.
24. عبدالرحمن مرحبا، مع الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 173.
25. على عبدالمعطي، قضايا الفلسفة ومباحثها، مرجع سبق ذكره، ص 229.
26. عبداللطيف الصديقي، الزمان أبعاده وبنيته، ط1، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 1995، ص24.
27. محمد عبداللطيف، الفلسفة والفيزياء، ج2، مرجع سبق ذكره، ص59.
28. المرجع السابق، ص66.
29. عبداللطيف الصديقي، الزمان أبعاده وبنيته، مرجع سبق ذكره، ص 128.
30. يمني طريف الخولي، الزمان في الفلسفة والعلم، مرجع سبق ذكره، ص 74.
31. عبداللطيف الصديقي، الزمان بنيته وأبعاده، مرجع سبق ذكره، ص63.
32. ياسين خليل، مقدمة في الفلسفة المعاصرة «دراسة تحليلية نقدية للاتجاهات العلمية في فلسفة القرن العشرين»، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1970، ص ص139، 140.
33. توم سوريل، ديكارت، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى 2014، ص 44.
34. محمد عبداللطيف، الفلسفة والفيزياء، مرجع سبق ذكره، ص ص 62، 63.
35. محمد محمد قاسم، كارل بوبر/ نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986، ص 102.

36. يمينى طريف الخولي، الزمان في الفلسفة والعلم، مرجع سبق ذكره، ص 15.
37. محمد عبداللطيف، الفلسفة والفيزياء، مرجع سبق ذكره، ص 63.
38. أمانويل كانت، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، مجلس الإنماء القومي، بيروت، 1988، ص 64.
39. وول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله المشعشع، ط6، دار الثقافة، بيروت، 1988، ص 339.
40. علي عبدالمعطي، قضايا الفلسفة ومباحثها، مرجع سبق ذكره، ص 232.
41. عبداللطيف الصديقي، الزمان أبعاده وبنيتة، مرجع سبق ذكره، ص 101.
42. يمينى طريف الخولي، الزمان في الفلسفة والعلم، مرجع سبق ذكره ص 41.
43. مارتن هيدجر، نداء الحقيقة، ترجمة عبدالغفار مكاوي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1977، ص 36.
44. يمينى طريف الخولي، الزمان في الفلسفة والعلم، مرجع سبق ذكره، ص 42.
45. محمد عبداللطيف، الفلسفة والفيزياء، مرجع سبق ذكره، ص 63.
46. نقلاً عن: عبداللطيف الصديقي، الزمان - بنيتة وأبعاده، مرجع سبق ذكره، ص 151.
47. يمينى طريف الخولي، الزمان في الفلسفة والعلم، مرجع سبق ذكره، ص 45.
48. وول ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 558.
49. مصطفى محمود، آينشتين والنسبية، ط7، دار المعارف القاهرة، 1993، ص 3.
50. عبدالرحمن بدوي، الزمان الوجودي، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص 50، 51.
51. Einstein, A: Relativity: The Special and General Theory, Publisher: Methuen & Co Ltd, First Published: December, 1916, Copy left: Einstein Reference Archive (marxists.org) 1999, 2002. pp. 13,14
52. Ibid. PP. 25 -33
53. محمد توفيق الضوي، دراسات في الميتافيزيقا، مرجع سبق ذكره، ص 99.
54. مصطفى محمود، آينشتين والنسبية، مرجع سبق ذكره، ص 47.

.55 Einstein, A: Relativity: The Special and General Theory.P.44 - 45

.56 .Ibid. P.47

.57 محمد توفيق الضوي، دراسات في الميتافيزيقا، مرجع سبق ذكره، ص 99.

.58 عبداللطيف الصديقي، الزمان - بنيته وأبعاده، مرجع سبق ذكره، ص 63.

.59 محمود فهمي زيدان، من نظريات العلم إلى المواقف الفلسفية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص 41.

.60 مصطفى محمود، آينشتاين والنسبية، مرجع سبق ذكره، ص 46 - 52.(بتصرف)

.61 المرجع السابق ص 49.

.62 Einstein, A: Relativity: The Special and General Theory .P. 50

.63 مصطفى محمود، آينشتاين والنسبية، مرجع سبق ذكره، ص 53 .

.64 المرجع السابق، ص 12.

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: المراجع

1. أحمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1994.
2. توم سوريل، ديكارت، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى 2014.
3. راجي عنایت، أسرار حيرت العلماء، ط4، دار الشروق، القاهرة، 1995.
4. سامي أدهم، ما بعد الفلسفة، ط1، دار كتابات، بيروت، 1996.
5. عبدالرحمن بدوي، الزمان الوجودي، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1973.
6. عبدالرحمن مرجبا، مع الفلسفة اليونانية، ط3، منشورات عويدات، بيروت، 1988.
7. عبداللطيف الصديقي، الزمان أبعاده وبنيته، ط1، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 1995.
8. عبدالمحسن صالح، الإنسان والنسبية والكون، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970.

9. عقيل حسين عقيل، المفاهيم العلمية (دراسة في فلسفة التحليل)، المؤسسة العربية للنشر والإبداع، 1999.
10. علي عبدالمعطي، قضايا الفلسفة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986.
11. مارتن هيدجر، نداء الحقيقة، ترجمة عبدالغفار مكاي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1977.
12. ماهر عبدالقادر، نظرية المعرفة العلمية، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
13. محمد توفيق الضوي، دراسات في الميتافيزيقا، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1999.
14. محمد عبداللطيف، الفلسفة والفيزياء، ج2، دار الحرية، بغداد، 1985، ص61.
15. محمد محمد قاسم، كارل بوبر/ نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986، ص102.
16. محمود أمين العالم، فلسفة المصادفة، دار المعارف، الإسكندرية، 1969.
17. محمود فهمي زيدان، من نظريات العلم إلى المواقف الفلسفية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982.
18. مصطفى محمود، آينشتين والنسبية، ط7، دار المعارف القاهرة، 1993.
19. وول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله المشعشع، ط6، دار الثقافة، بيروت، 1988.
20. (ياسين خليل، مقدمة في الفلسفة المعاصرة «دراسة تحليلية نقدية للاتجاهات العلمية في فلسفة القرن العشرين»، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1970.
21. يمني طريف الخولي، الزمان في الفلسفة والعلم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999.
22. يوسف محمود، المنطق السوري، ط1، دار الحكمة، الدوحة، 1995.

ثانياً: المصادر

Einstein, A: Relativity: The Special and General Theory, Publisher: Methuen & Co Ltd, First Pub-1
lished: December, 1916, Copy left: Einstein Reference Archive (marxists.org) 1999, 2002

(2) أمانويل كانت، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، مجلس الإنماء القومي، بيروت، 1988.

ثالثاً: الموسوعات والدوريات

- (1) روبرت أغروس، جورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 134، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير، 1979.
- (2) كولن ولسن، فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة فؤاد كامل، سلسلة عالم المعرفة، العدد 159، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1979.
- (3) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ط3، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1979.
- (4) الموسوعة الفلسفية: وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين ، إشراف م. روزنتال ، ي. يودين ، ترجمة سمير كرم، ط4، 1981.

الخصائص الشخصية والمهارات الأساسية المساعدة في نجاح رواد الأعمال

(دراسة تحليلية)

د. محمد سليمان محمد اكريم

جامعة عمر المختار

ملخص الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الخصائص الشخصية والمهارات الأساسية المساعدة في نجاح رواد الأعمال. ولتحقيق ذلك، فقد تم استخدام المنهج التحليلي الوصفي، وأسلوب تحليل المحتوى. وتم تقسيمها إلى ثلاثة أقسام أساسية؛ تضمن القسم الأول مقدمة عامة للدراسة، بينما القسم الثامن الثاني الإطار التحليلي، أما القسم الأخير فقد تضمن الخاتمة. وبعد استقراء المراجع والدراسات السابقة ذات العلاقة، توصلت الدراسة لبعض الاستنتاجات، لعل من أهمها ما يلي:

تم تعريف مصطلح رائد الأعمال وفقاً لهذه الدراسة بأنه؛ ذلك الشخص الذي لديه القدرة على إدراك الفرص الواعدة في مجال عمله، وبيادر باستغلالها واستثمارها من خلال التفاعل بين خصائصه ومهاراته الشخصية، والعوامل البيئية، والموارد المتاحة، وذلك لتأسيس وإدارة أعمال ريادية يتحمل مخاطرها ويستفيد من منافعها.

إن رواد الأعمال كما قد يكتشفون قدراتهم ومواهبهم بأنفسهم؛ يمكن اكتشافهم وإعدادهم من خلال مبادرات معينة توفر مناخ الرعاية اللازمة، من خلال مؤسسات ومراكز متخصصة.

ليكون الفرد رائد أعمال ناجحاً، يجب أن يتوفر لديه الحد الكافي من المواهب أو الخصائص الشخصية التي تسمح له باكتساب المهارات الأساسية لريادة الأعمال، التي تم تحديدها في عشرة خصائص أساسية - وفق هذه الدراسة - هي؛ تحمل المخاطرة، الإبداع والابتكار، الإصرار والمثابرة، التواصل والإقناع، المبادرة والاستباقية، الإرادة والطموح، الثقة والاستقلالية، الواقعية والعقلانية، الانتباه للفرص، والالتزام بالسلوك الأخلاقي.

كما تم تصنيف المهارات المطلوبة لرواد الأعمال في ثلاثة أنواع أساسية هي؛ المهارات الإنسانية

والاجتماعية، المهارات الفنية والإدارية، المهارات الفكرية والتصورية.

لذا، توصي الدراسة بضرورة الاستفادة من النتائج - المذكورة أعلاه- في تصميم وتطوير برامج تدريبية وتعليمية لإعداد وتأهيل رواد أعمال حقيقيين. كما توصي بإجراء مزيد من الدراسات خاصة الميدانية حول موضوع ريادة الأعمال في البيئة الليبية، لتحديد أهم العوامل البيئية والخصائص والمهارات والاتجاهات المطلوبة لنجاح رواد الأعمال الليبيين.

1-1- المقدمة:

يتطلب تنمية وتطوير قطاع الأعمال في ليبيا تعزيز روح الريادة وحب العمل الحر والريادي لدى الشباب الليبي، لتوفير مجموعة من رواد رجال الأعمال الحقيقيين في الاقتصاد الليبي، الذين تتوفر فيهم مواهب ومهارات ريادية خاصة، ولديهم الاستعداد للمبادرة والمخاطرة لإقامة الأعمال الجديدة وتقديم المنتجات والخدمات الضرورية والمبتكرة، الأمر الذي يتيح لهم دوراً مهماً في دفع عجلة التنمية، خصوصاً في ظل الظروف الاستثنائية التي تمر بها البلاد.

وهذا ما تؤكدُه إحدى الدراسات العلمية التي قام بها مرصد الريادة العالمي، أن ما بين ثلث ونصف التباين الحاصل في معدلات النمو بين الدول المتقدمة صناعياً، قد يعود إلى التباين في مستويات الريادة بين هذه الدول، أي أنه عند زيادة عدد الرياديين في بلد ما، يؤدي ذلك إلى زيادة في النمو والتطور الاقتصادي في ذلك البلد، وهذه ترجمة حقيقية للمهارات التي يتمتع بها الرياديون من ناحية، وإلى قدرتهم على التجديد من ناحية أخرى(1).

1-2 - مشكلة الدراسة:

على الرغم من أهمية تحديد الخصائص الشخصية والمهارات الأساسية المطلوبة لإعداد وتأهيل رواد الأعمال وتعزيز ثقافة الريادة والعمل الريادي. مع ذلك، فقد اختلفت وجهات نظر الباحثين في هذا الصدد، فعمدت بعض الدراسات إلى التركيز على سمات الفرد وبعض المتغيرات الشخصية، من أجل التمييز بين الشخص الريادي وبين الشخص غير الريادي. ومن جهة أخرى، عمدت دراسات عديدة إلى انتقاد تلك المنهجيات والاتجاهات المستندة على دراسة السمات والمتغيرات الشخصية في دراسة الخصائص المتعلقة برواد الأعمال، وتؤكد تلك الدراسات على أهمية تأثير السلوكيات والمهارات الأساسية لرواد الأعمال (2). لذلك، يمكن تحديد مشكلة هذه الدراسة في التساؤل التالي:

ما الخصائص الشخصية والمهارات الأساسية المساعدة في نجاح رواد الأعمال؟

1-3 - أهداف الدراسة:

استناداً على مشكلة الدراسة، تسعى هذه الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

التعرف على مفهوم وأهمية رواد الأعمال.

تبيان أهم الخصائص الشخصية لرواد الأعمال.

محاولة تحديد المهارات الأساسية لرواد الأعمال.

1-4 - منهجية وهيكلية الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة، تم استخدام المنهج التحليلي الوصفي، وأسلوب تحليل المحتوى. كما تم تقسيمها إلى ثلاثة أقسام أساسية. تضمن القسم الأول إطاراً عاماً للدراسة، بينما تضمن القسم الثاني إطاراً تحليلياً ومفاهيمياً لموضوع الدراسة. أما القسم الأخير، فقد تضمن الخاتمة حيث لخصت أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة، بالإضافة لأهم التوصيات المقترحة.

1-5 - أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من اختلافها وتميزها عن الدراسات السابقة بتركيزها على دراسة الخصائص الشخصية والمهارات الأساسية التي تميز رواد الأعمال عن غيرهم من الناس، وتساعد في اكتشافهم وإعدادهم، حيث يتبين من عرض أهم الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة اهتمامها بتسيخ ثقافة ريادة الأعمال وتعليمها في المؤسسات التعليمية والتدريبية، ولكنها لم تركز بشكل مباشر على ماهية وكيفية تحديد أهم الخصائص المطلوبة لرواد الأعمال، وما أهم المهارات الريادية اللازمة لنجاحهم في أعمالهم ومشاريعهم الريادية.

1-6 - الدراسات السابقة:

وتم ترتيبها تنازلياً حسب حداثة الدراسة، وذلك كما يلي:

دراسة اكريم (2017)؛ التي توصلت إلى أن من أهم معوقات نجاح وتطوير المشاريع الصغرى في ليبيا تتمثل في ضعف المهارات الأساسية المتعلقة بإدارة المشاريع الصغرى، وضعف المستوى التعليمي والثقافي أو سيادة التخصص أو الخلفية المهنية والفنية في العمل لدى غالبية مديري وملاك هذا النوع من المشاريع. وكان من أهم توصياتها ضرورة التوسع في إقامة حاضنات الأعمال، وتعزيز ثقافة المبادرة والريادة والاعتماد على النفس لدى الشباب الليبي، باستخدام وسائل الإعلام والمؤسسات التعليمية والتثقيفية المختلفة (3).

دراسة البدري وآخرين (2017)، التي توصلت إلى أن المستوى العام لتوفر السمات الريادية لدى رواد الأعمال الصغيرة جاء مرتفعاً، كما كشفت الدراسة أن مستوى توافر بُعد المبادأة والابتكار جاء بالترتيب الأول، تلاه بُعد الإنجاز والاستقلالية، بينما بُعد اقتناص الفرص والثقة بالنفس جاء في المرتبة الثالثة، أما بُعد تحمل المخاطر جاء في المرتبة الأخيرة (4).

دراسة الفرجاني والشيخي (2017)، والتي كان من أهم نتائجها تمتع معظم صاحبات النوادي الرياضية محل الدراسة بالخصائص الشخصية لريادة الأعمال المتمثلة في الثقة بالنفس والتفاؤل، يليها الاندفاع للعمل ثم المخاطرة، وأخيراً الالتزام بالعمل (5).

دراسة الحدراوي (2014)؛ التي اظهرت أن هناك ارتباطاً وتأثيراً معنوياً بين رأس المال الفكري ومكوناته في تحقيق ريادة الأعمال، كما جاء بُعد تحمل المخاطرة بالمرتبة الأولى من حيث الأهمية النسبية لأبعاد متغير ريادة الأعمال، بينما جاء بُعد الإبداع بالمرتبة الأخيرة من حيث الأهمية النسبية. وكان من أهم توصياتها ضرورة العمل على إشاعة روح العمل الجاد والتنافس المشروع بين جميع العاملين، وتحفيزهم للوصول إلى ريادة الأعمال (6).

دراسة الدويبي (2014)؛ التي خلصت إلى أن ثقافة الريادة والمبادرة تمثل مرجعية داعمة وتمهيدية لتفعيل المبادرات الفردية وتأسيس المشاريع الصغرى. فثقافة المبادرة ركيزة من ركائز الاقتصاد المعاصر وهي داعمة للتمكين ورفع القدرة التنافسية، فلا يمكن للقوانين وحدها ولا للتمويل وحده أن يشجع الناس على المبادرة بخلق فرص عمل، ما لم تكن هناك ثقافة داعمة للمبادرة وراعية لها، يتم تأسيسها في مكونات النظام التعليمي، وأساليب التنشئة الاجتماعية ووسائل الإعلام المختلفة. وتوصلت الدراسة لمجموعة من التوصيات من أهمها؛ إعطاء أهمية خاصة لثقافة المبادرة والريادة عند تنمية مهارات المبادرين ورواد الأعمال (7).

دراسة المبيريك والجاسر (2014)؛ التي هدفت إلى إلقاء الضوء على النظام البيئي لريادة الأعمال في السعودية، إذ يتكون هذا النظام من عناصر وأفراد ومنظمات وجهات محيطة برائد الأعمال تُعين أو تُعيق توجه الفرد نحو ريادة الأعمال. وكان من أهم توصياتها ضرورة نشر وبناء ثقافة ريادة الأعمال وإنشاء المشاريع الصغيرة بين أفراد المجتمع السعودي، من خلال حملات إعلامية مستمرة لتصوير رياده الأعمال كجزء من حياة الناس اليومية من خلال وسائل الإعلام، وتدريب ريادة الأعمال في المراحل التعليمية المختلفة (8).

دراسة عبدالرحيم (2014)؛ التي خلصت إلى أن هناك مجموعة من الخصائص الشخصية والسلوكية والإدارية تتداخل جميعها لتشكيل شخصية الريادي، والتي تتمحور حول عوامل نفسية واجتماعية واقتصادية وثقافية. كما توصلت إلى وجود علاقة ارتباط معنوية موجبة بين خصائص الريادي والإبداع المؤسسي. كما كشفت النتائج عن وجود تأثير معنوي لخصائص الريادي مجتمعة على الإبداع المؤسسي. وكان من أهم توصياتها التأكيد على أهمية الخصائص والمهارات الريادية بغية تعزيز وتحفيز روح

الابداع والمبادرة لدى العاملين (9).

دراسة عبدالله وحتاوي (2014)؛ التي خلصت إلى وجود انخفاض في معدل النشاط الريادي النسوي بفلسطين. وكان من أهم توصياتها ضرورة تطوير المناهج التعليمية لتشتمل على المعرفة والمهارات الريادية، وتطوير شراكة بين المؤسسات التعليمية وسوق العمل لربط التعليم والتدريب المهني بالواقع العملي ومتطلبات سوق العمل، بالإضافة إلى حث وسائل الإعلام المختلفة لتناول موضوع أهمية زيادة الأعمال في تنمية الفرد والمجتمع (10).

دراسة عيد (2014)؛ وكان من أهم نتائجها أن البطالة التي تعاني منها جميع الدول العربية هي بظالة هيكلية، ناتجة من ضعف البرامج الموجهة لنشر ثقافة ريادة الأعمال وتنمية المهارات التي تلزم في نجاح انشاء وتشغيل المشاريع الريادية، أيضا سيادة ثقافة (العيب) التي تعني عدم استعداد الشباب لممارسة العديد من الأعمال المهنية والحرفية التي هي دون الأعمال المكتبية والإدارية في الترتيب الوظيفي. وكان من أهم توصياتها ضرورة الاهتمام ببرامج تعليم ريادة الأعمال في مرحلتي التعليم المتوسط والجامعي، وذلك من خلال اقرار مقررات وثيقة الصلة بنشر ثقافة ريادة الأعمال وبناء وتنمية المهارات والقدرات من خلال مقررات دراسية اختيارية وبرامج تدريبية في المؤسسات التعليمية (11).

دراسة مهدي (2014)، والتي خلصت إلى أن ريادة الأعمال بالسعودية في حاجة لتعميق الإيمان بقيمة العمل وجعله ضرورة حياتية وقيمة مقدسة، بحيث يتم ترسيخ مفهوم قيمة العمل من الناحية الدينية والأخلاقية. كما يجب تفعيل دور المجتمع لإدراك أهمية العمل الحر، والحاجة لتبني ثقافة اجتماعية داعمة لمفهوم ريادة الأعمال، من خلال إيجاد جهات متعددة وعلى رأسها الجامعات ووسائل الإعلام المختلفة لتبني دعم ريادة الأعمال، وتساهم في نشر ثقافتها والترويج لها، ومحاولة اكتشاف المبدعين والمتفوقين والموهوبين (12).

دراسة المري (2013)؛ التي خلصت إلى أن من أهم السبل للتغلب على المعوقات التي تحد من دور ريادة الأعمال الصغيرة والمتوسطة في مواجهة البطالة؛ هي زيادة الوعي بأهمية ريادة الأعمال والعمل الحر وما يترتب عن المثابرة في العمل من تحقيق إيرادات تتعدى بكثير دخل العمل الحكومي، وإكساب رواد الأعمال الخبرة والمهارات اللازمة لتشغيل وإدارة مشاريعهم من قبل حاضنات الأعمال. وكان من أهم توصياتها ضرورة اختيار رائد الأعمال للمشروع الريادي الذي يتناسب مع مؤهلاته ومهاراته وإمكانياته وميوله واهتماماته (13).

دراسة رمضان (2012) التي كان من أهم نتائجها أن نسبة الطلاب الذين يفضلون العمل لحسابهم الخاص أكبر من الذين يفضلون العمل لدى غيرهم سواء كان قطاعاً عاماً أم خاصاً. كما تبين من نتائج الدراسة وجود علاقة طردية بين تأثير كل من متغيرات الموقف من الأعمال الريادية، وتأثير الأهل والأصدقاء، والفعالية الذاتية، ومدى تعرض الطالب في السابق من خلال الجامعة لموضوعات تتعلق بريادة الأعمال؛ في نية الطالب للبدء بمشروع ريادي. أيضا تبين نتائج الدراسة أن هناك فروقاً في نية

الطالب نحو زيادة الأعمال تعود لمتغير الجنس، وإلى كون أحد الوالدين أو كليهما يملك عملاً ريادياً. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات، من أهمها؛ ضرورة دعم البرامج الريادية الموجهة نحو طلاب الجامعات، أيضاً يمكن من خلال التأثير في متغيرات الموقف تجاه الأعمال الريادية، أو ثقة الطالب بنفسه على قدرته القيام بمشروع ريادي، أن ترفع احتمالات إقدام الطالب على العمل الريادي، ويمكن تعزيز ثقة الطالب بنفسه عن طريق إكسابه المهارات الريادية اللازمة. أن تعتمد الحكومة على الاهتمام بشكل أكبر بترسيخ ثقافة زيادة الأعمال، من خلال التدريب والتعليم في الجامعات لأهميتها في تشجيع الشباب على البدء بمشاريع خاصة صغيرة (14).

دراسة محمد وعبدالكريم (2011)؛ التي توصلت إلى أن من أبرز المعوقات التي تعترض المشاريع الريادية الفلسطينية عدم تطبيق الأساليب الإدارية الحديثة، واعتمادها على الخبرات العائلية الموروثة، واستخدام الأيدي العاملة غير المدربة والمؤهلة، والأساليب التقنية القديمة، مما ينعكس سلباً على مستويات الطاقة الإنتاجية للمشاريع المحلية، وبالتالي رفع تكاليف منتجاتها. كما خلصت الدراسة إلى ضرورة نشر ثقافة الريادة في المجتمع الفلسطيني من خلال مؤسسات التعليم العالي لتشجيع الأفكار الريادية الممكنة (15).

دراسة حامد و ارشيد (2007)؛ أظهرت الدراسة أن نسبة الرياديين من الشباب منخفضة، ويعود السبب في ذلك إلى وجود قصور في جوانب عدة منها؛ التعليم والتدريب. كما خلصت الدراسة إلى أن مؤسسات التعليم العالي تركز على إعداد الطالب لشق طريقة في مجالات التوظيف في سوق العمل، ولا تركز على إعدادهم للدخول في مجال إنشاء أعمال ريادية خاصة بهم، وبعدم وجود أي مقررات دراسية حول موضوع زيادة الأعمال (16).

2-1- أهمية العمل وإتقانه:

استهلالاً، يمكن القول أن أحد أهم متطلبات زيادة الأعمال؛ الإيمان بأهمية وقيمة العمل كضرورة حياتية مهمة، وقيمة دينية مقدسة. ولنا في رسول الله ﷺ إسوة وقدوة حسنة، فقد روي عنه أنه قال: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحد فيعطيه أو يمنعه» (صحيح البخاري، 2074). وقوله: ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده» (صحيح البخاري، 2072). أيضاً قوله: ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (مسند أبي يعلى، 4386). (سنن الترمذي، 3531) (17). ولعل هذا يدل بما لا يدع مجال للشك على أهمية وقيمة العمل وإتقانه والاجتهاد فيه لتمييز رائد الأعمال ونجاح الأعمال الريادية.

2-2- مفهوم رائد الأعمال:

الرائد في اللغة جمع رواد، وهو الذي يرسله قومه لاستكشاف وتحديد مواطن الكلاً، وعندما يحددها يرسل إليهم فيلحقون أو يقتدون به (18). وقد عُرف مصطلح الرائد في قاموس ابن منظور؛ على أنه

الشخص الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلاً ومساقط الغيث. بينما عُرّف العمل في قاموس الفيروز آبادي بأنه؛ الفعل والمهنة، والجمع أعمال؛ وهي المهنة والأشغال (19). ويعرّف البعلبكي الرائد بأنه؛ ممهد الطريق، ومن يتقدم الآخرين ممهداً الطريق لهم كي يتبعوه، ويقدم شيء جديد أو يشارك في تطوير شيء جديد (20). وفي اللغة الانجليزية يعرف قاموس (Webster) رائد الأعمال (entrepreneur) بأنه؛ ذلك الشخص الذي ينظم ويدير ويتحمل مخاطر الأعمال (21).

وفي الاصطلاح اتخذ مصطلح رائد الأعمال معاني كثيرة ومتعددة، فقد عرّف العالم الاقتصادي المعروف (Joseph Schumpeter 1950 -1883) رائد الأعمال؛ بأنه ذلك الشخص الذي لديه الإرادة والقدرة لتحويل فكرة جديدة أو اختراع جديد إلى ابتكار ناجح. كما يرى أن وجود قوى الريادة في الأسواق والصناعات المختلفة، تنشئ منتجات ومناذج عمل جديدة، وبالتالي فإن رواد الأعمال يساعدون ويقودون التطور الصناعي، والنمو الاقتصادي على المدى الطويل (22).

أما عالم الإدارة الشهير (Drucker Peter 2005 - 1909) ، فقد طور الفكرة ووصف رائد الأعمال؛ بأنه ذلك الشخص الذي يبحث عن التغيير ويستجيب له ويستغله كفرصة (23). أيضاً عرّف (Druck- 1985) رائد الأعمال؛ بأنه ذلك الشخص الذي يستطيع أن يجعل الموارد الاقتصادية أعلى إنتاجية مما سبق. بينما عرف جيفري تيمنز (1994) رائد الأعمال؛ بأنه الشخص الذي يعمل عملاً مبدعاً أو عملاً متميزاً من لا شيء، وهو شخص يغتنم الفرص بغض النظر عما هو متاح من ظروف وموارد (24).

بينما يرى مرصد الريادة العالمي *1 (2012) رائد الأعمال بأنه؛ ذلك الشخص الذي يقوم بإنشاء مشروع استثماري وتشغيله للاستفادة من منافعه وتحمل مخاطره. ويعتبر المرصد الشخص ريادياً إذا كان يملك العمل أو المشروع الريادي بشكل كلي أو جزئي، ويشرف على إدارته بنفسه في مختلف مراحل دورة حياته (25). كما يشير الدغيشم ومحمد (2014: 43) إلى رائد الأعمال بأنه؛ ذلك الفرد الذي يتولى مشروعاً أو نشاطاً مهماً، وبهذه الكيفية هو ذلك الفرد الذي ينظم ويدير ويتحمل مخاطر الأعمال (26).

لذلك، يمكن تعريف رائد الأعمال - وفقاً لهذه الدراسة- بأنه؛ ذلك الشخص الذي لديه القدرة على إدراك الفرص الواعدة في مجال عمله، وبيادر باستغلالها واستثمارها من خلال التفاعل بين خصائصه ومهاراته الشخصية، والعوامل البيئية، والموارد المتاحة، وذلك لتأسيس وإدارة أعمال ريادية يتحمل مخاطرها ويستفيد من منافعها.

وبذلك، يمكن القول أن كون الشخص رائد الأعمال- وفق التعريف السابق- ناتج من عاملين أساسيين. هما كما يلي (27):

إدراك والإحساس بالفرصة الواعدة؛ والذي ينتج من التفاعل بين السمات الشخصية لرائد الأعمال، والعوامل البيئية المؤثرة، والموارد المتاحة. ويقصد بالسمات الشخصية هنا؛ الصفات المميزة للفرد، التي تؤهله إلى ريادة الأعمال. بينما يقصد بالعوامل البيئية؛ العوامل الخارجية المؤثرة في تحديد شخصية

وسلوك رائد الأعمال، التي من أهمها؛ الأهل والأصدقاء، الثقافة المجتمعية السائدة، والنظم التعليمية القائمة. ويقصد بالموارد المتاحة الإمكانيات المادية والقدرات البشرية المتوفرة لدى رائد الأعمال. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الدراسات العلمية أجمعت على صعوبة تجمع كل السمات المثالية في شخص واحد نتيجة الاختلاف والفروق الفردية.

المبادرة واستغلال الفرصة السانحة؛ الذي يتطلب امتلاك رائد الأعمال العديد من المهارات اللازمة لإدارة الموارد المتاحة. وبذلك، فإن سلوك رائد الأعمال لا يعتمد فقط على مدى وجود سمات أو خصائص شخصية معينة، بل يرتبط أيضاً بكيفية أداء العمل بشكل فعال.

-3-2 الخصائص الشخصية والمهارات الأساسية لرائد الأعمال:

مما تقدم، يمكن القول أن نجاح رائد الأعمال لا يتوقف على مجرد امتلاكه موهبة الإبداع والابتكار، ولا التوجهات والسلوكيات الإيجابية فقط، بل أيضاً على مدى امتلاكه مجموعة من المهارات التي يستثمرها لصالح تطوير العمل، والتي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع أساسية هي؛ المهارات الفنية أو الإدارية، والمهارات الفكرية، والمهارات الإنسانية. بمعنى، أن رائد الأعمال يصل إلى الريادة في العمل بتوفر مجموعة من الخصائص والمهارات التي تميزه عن غيره من الناس. ولغرض التعرف على هذه الخصائص*2 والمهارات الأساسية؛ نحاول من خلال الجدول رقم (1) استعراض أهم الخصائص والمهارات التي تناولتها الدراسات السابقة بالخصوص، من خلال استخدام أسلوب تحليل المضمون.

وتجدر الإشارة هنا، بأنه قد أجريت العديد من الدراسات العلمية لتحديد سمات أو خصائص الشخص الريادي، نتج عنها العديد من الخصائص لرواد الأعمال، حيث لا توجد خصائص محددة مقبولة عالمياً بهذا الخصوص (28). ومع ذلك، يمكن القول أن رواد الأعمال يصلون إلى الريادة في العمل بتوفر مجموعة من الخصائص التي تميزهم عن غيرهم من الناس، بالإضافة إلى رغبتهم ونيتهم القوية وعملهم الجاد لتحقيق الريادة. كما يمكن القول أن هذه الخصائص ليس بالضرورة أن تتوفر جميعها في شخص واحد، ولكن دلت الدراسات بتمتع رواد الأعمال بالعديد منها، وأنه يمكن تطويرها بالممارسة والتدريب عليها(29).

جدول (1) يوضح أهم خصائص رواد الأعمال حسب الدراسات السابقة

ت	الباحث	الخصائص الأساسية لرواد الأعمال
1	البدرى وآخرون (2017)	المبادأة، الابتكار، اقتناص الفرص، الاستقلالية والثقة بالنفس، الإنجاز، تحمل المخاطر.
2	الرفادي (2017)	الإبداع، الرؤية الاستراتيجية، تحمل المخاطر، الاستباقية.
3	الرقيعي ومفتاح (2017)	الاستقلالية، الإبداعية، الاستباقية، التنافسية، تحمل المخاطر.
4	الشهبي (2017)	الإبداع، المبادرة، تحمل المخاطرة، استثمار الفرص.
5	الصويحي (2017)	الدافعية، تحمل المخاطر، التواصل، الرؤية الريادية.
6	الفرجاني والشيخ (2017)	تحمل المخاطرة، الثقة بالنفس، الالتزام والاندفاع للعمل، التفاؤل، القدرة على التواصل، الابتكار والتجديد.
7	الضاوي (2017)	الاستقلالية، الثقة بالنفس، المبادرة، الإنجاز، الإبداع، المخاطرة.
8	عبد السلام وآخرون (2017)	المبادرة، تحمل المخاطرة، الإبداع، استثمار الفرص.
9	المبيريك والشميمري (2016)	الثقة بالنفس، البحث عن الأفكار الجديدة، لا يخشى الفشل، المثابرة والإصرار، القدرة على الإقناع.
10	القحطاني (2015)	الاستباقية، الإبداعية، تحمل المخاطرة، الرؤية، المثابرة، التفاوض.
11	الدغيشم ومحمد (2014)	الابتكارية، المخاطرة، والمبادرة.
12	الحدراوي (2014)	المبادرة، تحمل المخاطرة، استثمار الفرص، الإبداع.
13	عبدالرحيم (2014)	الابتكارية، تحمل المخاطر، الاستباقية، الثقة بالنفس، التمتع بالنظرة المستقبلية، الاصرار والمثابرة، الإقناع.
14	عيد (2014)	الإرادة والطموح، المبادرة، الانتباه للفرص، الثقة بالنفس، الحداثة في الأفكار، الإصرار والتصميم، ولاء وانتماء عال لمشروعه.
15	الشمري والشراح (2014)	هدف طموح، أفكار قوية وجديدة، المبادرة، تقوية النفس، الإصرار والتصميم، المخاطرة محسوبة التكاليف، الإقناع.
16	أبوبكر (2014)	مواجهة المخاطر، وضع رؤية وتحديد الأهداف، الثقة بالنفس، الإبداع والابتكار، المبادرة، الإصرار والمثابرة، الإقناع، اقتناص الفرص، لديه مبادئ ثابتة وأخلاق سامية.
17	الدويبي (2014)	الإدراك الإيجابي للذات، ارتفاع مستوى الطموح، قبول المخاطرة، المصدقية والشفافية، الابتكار، المبادرة، التواصل.
18	المري (2013)	المبادرة، تحمل المخاطرة، التفكير الابتكاري، الرغبة في النجاح، التواصل والإقناع، الثقة بالنفس، البحث عن الفرص، المثابرة والالتزام.
19	القحطاني (2012)	تحديد الفرصة، الابتكار، قبول المخاطرة، الرؤية، التفرد.
20	حامد و ارشيد (2007)	تحمل المخاطرة، المبادرة، الانتباه للفرص، الإصرار والمثابرة، التخطيط، الإقناع والتأثير، قوة الشخصية.

المصدر: إعداد الباحث استناداً على تحليل الدراسات السابقة.

كما يعرض الجدول رقم (2) نتائج استخدام تحليل المضمون، لتحديد أهم الخصائص والمهارات المطلوبة لرواد الأعمال حسب تكرارها في الدراسات السابقة، حيث يلاحظ أن خاصية تحمل المخاطرة جاءت في المرتبة الأولى بنسبة التكرار (95%)، يليها خاصية الإبداع والابتكار بنسبة التكرار (90%)، ثم خاصية المبادرة والاستباقية (80%)، ومن ثم الإصرار والمثابرة (70%)، يليها خاصيتي الطموح والإرادة القوية، الاستقلالية والثقة بالنفس بنسبة تكرار (60%)، بينما جاءت خاصية الإقناع والتواصل بنسبة تكرار (50%)، أما خاصية الانتباه للفرص الواعدة جاءت في المرتبة ما قبل الأخيرة بنسبة تكرار (45%)، كما جاءت خاصية الالتزام بالسلوك الأخلاقي في المرتبة الأخيرة بنسبة تكرار (15%).

جدول (2) يوضح تكرار ونسبة خصائص رواد الأعمال حسب الدراسات السابقة

الترتيب	الخصائص	التكرار	النسبة
1	تحمل المخاطرة	19	95 %
2	الإبداع والابتكار	18	90 %
3	المبادرة والاستباقية	16	80 %
4	الإصرار والمثابرة	14	70 %
5	الطموح والإرادة القوية	12	60 %
6	الاستقلالية والثقة بالنفس	12	60 %
7	الإقناع والتواصل	10	50 %
8	الانتباه للفرص الواعدة	9	45 %
9	الالتزام بالسلوك الأخلاقي	3	15 %

المصدر: إعداد الباحث استناداً على تحليل مضمون الدراسات السابقة.

والجدير بالذكر هنا، أن التحليل السابق يقود إلى تحديد ملامح الخصائص النوعية لرائد الأعمال الحقيقي، بالإضافة إلى أن هذه النمذجة لملامح الخصائص النوعية لرواد الأعمال لا تعني الجمع والشمولية بقدر ما تعني عرضاً توضيحياً لتكون مساراً أو منهجاً، قد يساعد في اكتشاف وتأهيل وإعداد رواد الأعمال.

1-3-2- الخصائص الشخصية الأساسية لرواد الأعمال:

لزيادة توضيح وتبيان أهمية الخصائص الشخصية لإعداد رواد الأعمال، نحاول فيما يلي إعطاء فكرة

موجزة عن أهم هذه الخصائص حسب الدراسات السابقة:

تحمل المخاطرة: أي أن يتسم رائد الأعمال بالشجاعة والإقدام، وقبول التحدي والمخاطرة المدروسة التي لا تتحول إلى مقامرة أو مغامرة غير محسوبة النتائج والتكاليف، حيث تقوم المخاطرة المدروسة والمحسوبة على الدراسة العميقة والمستفيضة، والعمل الشاق والمضني (30)، بمعنى أن تكون لدى رائد الأعمال قدرة عالية على مواجهة المخاطر المحيطة بأعماله والتفاعل معها وتحمل نتائجها (31). وتجدر الإشارة هنا، أن لدى أي عمل عنصر مخاطرة، ولا توجد ضمانات تامة بأن العمل ناجح دوماً، ولكن المخاطرة محسوبة التكاليف تساعد بشكل كبير على تحقيق النجاح، حيث تتيح وتعطي الفرصة للمبادرة والأسبقية لمن يتحملها في مجال عمله (32). وبذلك، يجب أن يسعى رائد الأعمال إلى تقليل المخاطرة قدر الإمكان، فإذا كان سلوكه موجهاً لمحاولة التهرب منها، قد ينتهي به الأمر إلى اختيار أكبر المخاطر وهو خطر عدم القيام بأي شيء (33). وباختصار شديد، يمكن القول أن تحمل المخاطرة يتضمن التحلي بالشجاعة والأقدام، وقبول التحدي والمجازفة المدروسة، مع تحمل مسؤولية نتائجها سواء كانت إيجابية أو سلبية (34).

الإبداع والابتكار: أي تقديم رائد الأعمال حلول غير مألوفة ليس لها مثيل للمشكلات التي تواجهه في مجال العمل، وتلبية الحاجات والرغبات غير المشبعة لدى الناس (35). ويمكن التمييز بين الإبداع والابتكار. في كون الأول، يهتم بتطوير الفكرة المبدعة وبلورتها. أما الثاني، فيتعلق بطريقة تنفيذ الفكرة وتحويلها إلى أشياء نافعة تخدم الحاجات غير المشبعة (36). وبالتالي، فإن الإبداع يتعلق بالتفكير في ما لم يفكر فيه الآخرون، وبالتالي فهو جزء من عملية الابتكار (37). لذا، يجب على رائد الأعمال التمكّن من عملية الإبداع والابتكار؛ لتقديم حلول إبداعية ومبتكرة للمشكلات التي تواجهه، ليكون دائماً هو المبادر بتقديم الجديد وتطوير القائم المتعارف عليه (38).

الإصرار والمثابرة: أي أن يتوفر لدى رائد الأعمال التزام طويل الأجل لتحقيق أهدافه وطموحاته، والقدرة على التحدي والمنافسة من خلال معرفة من أين ومتى وكيف وماذا يبدأ مشروعه، بالإضافة إلى إتقان العمل وإنجازه بطريقة مبدعة ومبتكرة في ضوء طموحه العالي، وتحمله المخاطر وثقته بنفسه وقدراته (39)، بمعنى أن رائد الأعمال يجب أن يمتلك قدرة فائقة على المثابرة وتكرار المحاولة ومعالجة الأخطاء والاستمرار في المحاولة لنجاح فكرته وأعماله، وتحويل حلمه وطموحاته إلى واقع ملموس (40). كما أنه يضع أولوية قصوى لتأدية العمل على أكمل وجه ومواجهة العوائق والتحديات، وأن لا يدخر جهداً في إرضاء العاملين والزبائن، ويفي بالتزاماته حتى وإن قام بجهد إضافي، ويطور عمليات وإجراءات العمل لضمان إنجازها في الوقت المناسب وحصوله على الجودة المطلوبة، ويشرف شخصياً على جميع مراحل العمل (41).

التواصل والإقناع: يعرف التواصل على أنه مدى قدرة الفرد على نقل أفكاره وآرائه ومعلوماته أو منتجاته إلى الآخرين بأفضل طريقة ممكنة، وإقناعهم بأهميتها. بينما يقصد بالإقناع هنا، مدى قدرة الفرد على جعل الآخرين يتقبلون أفكاره وآرائه برضا تام. وبذلك، يمكن القول أن التواصل مع الآخرين

يقوم على ركنين أساسيين هما؛ إقامة علاقات طيبة مع الآخرين، وإقناعهم بأهمية أفكاره وآرائه أو منتجاته (42).

المبادرة والاستباقية: بمعنى أن يقوم رائد الأعمال من تلقاء نفسه، بأفعال تتجاوز متطلبات العمل، وينجز أعمالاً أو يقدم منتجات قبل أن يطلب منه ذلك، أو قبل أن تفرضها عليه الأحداث والظروف المحيطة، كما يعمل على توسيع العمل ليغطي منتجات أو خدمات جديدة (43).

الإرادة والطموح: يتميز رواد الأعمال بإرادة وهمة عالية ولا يقتنعون بالأهداف المتواضعة، كما تتوفر لديهم الرغبة الشديدة في الإنجاز والنمو (44). ويُقصد بالإرادة هنا، الرغبة الجامحة والعزيمة القوية لتحقيق ما يصبو إليه الشخص في ظل رؤية ملهمة، بمعنى أن يكون لدى الشخص الحماس والدوافع الذاتية القوية في النجاح والتغلب على الصعوبات والمعوقات مقارنة بغيرهم من الناس، أي أنه بمجرد البدء في العمل تتولد لديه الرغبة والدافع القوي لإكمال هذا العمل (45).

الثقة والاستقلالية: تنبع روح الاستقلالية من الروح القيادية والثقة العالية بالنفس التي يتمتع بها رواد الأعمال، واعتمادهم على أنفسهم وبقدرتهم العالية على مواجهة المشكلات والتصدي لها لا الهروب منها. وتساعد هذه الثقة العالية بالنفس رائد الأعمال على النجاح في عمله؛ لأنها تدل على قوة العزيمة والحماس، من خلال التغلب على الخوف من المشكلات والوقوع في الأخطاء (46). لذلك، يجب أن يكون لدى رواد الأعمال درجة عالية من الثقة بالنفس والتوازن النفسي والانفعالي لتوظيف قدراتهم وقدرات الآخرين (47).

الواقعية والعقلانية: يتميز رائد الأعمال بقدره عالية على التفكير الابتكاري والتحليل الاستراتيجي، بحيث يتولى البحث والتحقيق والتحليل بنفسه فيما يتعلق بتقديم المنتجات الجديدة، كما أنه يسعى للحصول على آراء الآخرين والاستجابة للاقتراحات والانتقادات. كما يجب أن يكون قادراً على التعامل مع الفشل، وتحديد جوانب الخلل والضعف، وفهم التقارير والنسب المالية، بالإضافة إلى تمكنه من المعرفة الفنية العلمية مجال عمله، بحيث يقيم البدائل المتاحة، ويتخذ الإجراءات اللازمة لتجنب والحد من المخاطر أو التحكم في نتائجها (48). لذلك، يمكن القول أن ريادة الأعمال تقوم على الحسابات الدقيقة للتكلفة والعائد، والاستفادة من التجارب والأخطاء السابقة، وتحليل المشكلات وفهمها والتصدي لها، وتوظيف أحدث معطيات العلم وتقنية المعلومات والاتصالات للحصول على المعلومات اللازمة للعمل واتخاذ القرارات الرشيدة (49).

الانتباه للفرص: يتميز رواد الأعمال بقدرات فائقة على الانتباه والبحث عن الفرص الجديدة لتحسين مستوى أداء العمل أو تسويق منتجاته أو تطويرها بطريقة مبتكرة، حيث يعتمدون على مصادر مختلفة للحصول على الأفكار الجديدة (50). وذلك عن طريق الاستفادة من مصادر المعلومات المتنوعة في البحث والتحليل لاكتشاف واستثمار الفرص الواعدة. فعملية الريادة تركز على خدمة الحاجات غير المشبعة، واقتناص الفرص السانحة قبل المنافسين. لذلك، يعد كثير من المتخصصين الانتباه واستثمار

الفرص جوهر عملية الريادة (51).

الالتزام بالسلوك الأخلاقي: ينبغي أن يكون لدى رائد الأعمال مبادئ ثابتة وأخلاق سامية تحكم تفكيره وسلوكه وتصرفاته مع من يعمل أو يتواصل معهم (52). كما يجب أن يتمتع بقدر عالٍ من المعايير الأخلاقية الذاتية الواقعية، ويقبل النقد ويتحمل المسؤولية، وأن يكون لديه استعداد للمساءلة والمحاسبة عن أعماله (53)، وذلك لبناء السمعة الأخلاقية، التي تعتبر رأسمال طويل الأجل، وهي أساس النجاح الطويل الأمد.

ويكفي لتأكيد أهمية الالتزام بالسلوك الأخلاقي في العمل، وبناء السمعة الأخلاقية قول سيدنا محمد ﷺ: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، وليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» (مستدرك الحاكم: 427). وقوله ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى» (صحيح البخاري: 1970). أيضاً قوله ﷺ: «التاجر الصدوق الأمين، مع النبيين والصديقين والشهداء» (سنن الترمذي: 1227) (54). وهذا ما يؤكد حقيقة أن فصل كفاءة العمل عن الأخلاق قد يكون أمراً غير ممكن. وبذلك، فإن تجاهل دور الأخلاق في العمل يعني إنكار أن هناك طريقة صحيحة وجيدة، وأخرى خاطئة وسيئة لمزاولة العمل. والجدول رقم (3) يعرض مفهوم مختصر لكل خاصية من الخصائص الأساسية لرواد الأعمال.

جدول (3) ملخص لمفهوم أهم الخصائص الشخصية لرواد الأعمال

ت	الخاصية	المفهوم
1	تحمل المخاطرة	المجازفة في استثمار فرصة معينة، مع تحمل مسؤولية نتائجها.
2	الإبداع والابتكار	تقديم حلول غير مألوفة وغير معروفة للمشكلات التي تواجه العمل.
3	الإصرار والمثابرة	التزام طويل الأجل لتحقيق الطموحات بأفضل صورة ممكنة.
4	التواصل والإقناع	نقل الأفكار والآراء والمعلومات إلى الآخرين بأفضل طريقة ممكنة.
5	المبادرة والاستباقية	السبق بأعمال معينة، قبل أن تفرضها الأحداث والظروف المحيطة.
6	الطموح والإرادة	الرغبة الجامحة والعزيمة القوية لتحقيق ما يصبو إليه رائد الأعمال.
7	الثقة والاستقلالية	الشجاعة والثقة العالية بالنفس والاعتماد على النفس.
8	الانتباه للفرص	التركيز والاستعداد وإحداث وخلق الفرص الواعدة.
9	السلوك الأخلاقي	الأحاسيس والأقوال والأفعال الجيدة والمناسبة والمقبولة مجتمعياً.

المصدر: إعداد الباحث استناداً على الدراسات السابقة.

-2-3- المهارات الأساسية لرواد الأعمال:

تُمثل المهارات؛ القدرات التي يمتلكها الفرد لأداء الأعمال أو تحقيق الأهداف باستخدام أساليب وطرق تتسم بالكفاءة بما يحقق نتائج أعلى وأفضل، والتي تتميز بكونها مكتسبة ونامية، حيث يكتسبها الفرد عن طريق التعلم من خبراته السابقة. بينما يمكن القول أن المواهب تمثل؛ القدرات التي تسمح لبعض الأفراد دون غيرهم القيام بأداء الأعمال وتنفيذ المهام أو تحقيق الأهداف بدون تكلف وجهد كبير منهم، وتتميز بأنها فطرية أو موروثه، ومع ذلك قد تحتاج غالباً إلى الاكتشاف والصقل والتطوير تحت إشراف من هم أكثر علماً وخبرة (55).

لذا، لكي يكون الفرد رائد أعمال ناجح؛ يجب أن يتوفر لديه الحد الكافي من المواهب أو الخصائص الشخصية التي تسمح له باكتساب المهارات الأساسية لريادة الأعمال. ويجب التنويه هنا، أن مزيج المهارات اللازمة لرائد الأعمال، يجب أن يتناسب مع طبيعة ونوع العمل الذي يقوم به، والظروف التي يعمل بها، حيث يتطلب كل عمل وموقف مهارات معينة (56). ويمكن تصنيف المهارات اللازمة لرائد الأعمال إلى ثلاثة أنواع أساسية. هي كما يلي:

أولاً- المهارات الإنسانية والاجتماعية:

يتصل هذا النوع من المهارات بكيفية التعامل مع غيره، حيث يستند رائد الأعمال وفقاً لهذا النوع من المهارات في التأثير على الآخرين بجاذبية الخصائص الكاريزمية لشخصيته، ومهاراته الاجتماعية والعاطفية التي تؤدي إلى إحداث مناخ عاطفي جذاب بين العاملين والمتعاملين مع مشروعه (57)، الأمر الذي يبني الروح المعنوية ويشبع الحاجات النفسية والاجتماعية لدى مرؤوسيه وعملائه، وبالتالي يحتاج رائد الأعمال هذه المهارات بشكل كبير عند التعامل مع كافة الأطراف ذات العلاقة بمشروعه الخاص (58). ولعل من أهم المهارات الإنسانية والاجتماعية المطلوبة في هذا الصدد ما يلي:

مهارة تشجيع العمل الجماعي، وبناء فرق العمل المتعاونة لتحقيق الأهداف المشتركة، حيث يُعد تشجيع العمل الجماعي النواة الأساسية لريادة الأعمال، فقد أصبح تكوين فرق العمل المتجانسة أقوى وأهم الممارسات التي تهتم بها المؤسسات الحديثة، التي تعتمد على تجميع المعارف والمهارات المتباينة لإنجاز المهام بشكل جماعي (59).

مهارة التواصل مع الآخرين: أي يجب أن تكون لدى رائد الأعمال مهارة تفاوضية متميزة، وقدرة عالية على إقناع الآخرين بأفكاره وأعماله سواء شفاهة أو تحريراً (60)، ويستخدم في ذلك أساليب مدروسة للتواصل والتأثير في الآخرين وإقناعهم واكتساب ثقتهم وتعاونهم، أو قبول وشراء منتجاته أو تقديم التمويل اللازم لمشروعه (61). كما يمتلك قدرة عالية على بناء وتنمية علاقات عامة طيبة مع كافة الأطراف ذات العلاقة بالمشروع، وتوظيفها بما يحقق المصالح المشتركة (62).

مهارة تحفيز الآخرين: وذلك يتم من خلال معرفة وتحديد الحوافز المناسبة التي تحرك دوافعهم الداخلية وتشبع حاجاتهم ورغباتهم، وبالتالي تؤثر على سلوكياتهم الشخصية، فكل شخص لديه دوافع وحاجات خاصة تختلف عن الآخرين، ومهارة رائد الأعمال تتمثل في معرفتها بشكل دقيق واستخدام الحافز المناسب لتوجيه سلوكهم كما يريد (63).

ثانياً- المهارات الفنية والإدارية:

يتمثل هذا النوع من المهارات في مدى قدرة رائد الأعمال على استخدام الأساليب والإجراءات والمعرفة المتعلقة بتخصصه، حيث يجب على رائد الأعمال أن يكون ملماً بشكل كافي بجميع النواحي الفنية والإدارية بمجال عمله، التي تمكنه من الإبداع فيه والقيام بعملية التخطيط والإشراف والتوجيه اللازم لمرؤوسيه وتوزيع المهام عليهم (64). وبذلك، فإن رائد الأعمال وفقاً لهذا النوع من المهارات يؤثر في الآخرين ليس فقط بسبب خصائصه وجاذبيته الشخصية (المهارات الإنسانية والاجتماعية)، بل أيضاً بسبب كفاءته؛ أي مهاراته الفنية والإدارية (65). ومن أهم المهارات الإدارية المطلوبة في هذا الصدد، ما يلي (66):

مهارة إدارة المعرفة: تمثل إدارة المعرفة أو المعلومات الأساس لنجاح رائد الأعمال، حيث تساعد بشكل كبير على فهم الواقع والظروف القائمة، وإدراك الفرص والمخاطر في البيئة المحيطة، وتزداد أهمية هذه المهارة في ظل عصر يتسم بسرعة التغيير والتراكم المعرفي الكبير وثورة المعلومات والاتصالات، الأمر الذي يزيد من أهمية إجادة وإتقان مهارة إدارة المعرفة خاصة عند القيام بعملية التخطيط واتخاذ القرارات.

مهارة إدارة الوقت: تمثل مهارة إدارة الوقت من أهم المهارات الإدارية التي يجب على رائد الأعمال إتقانها وإجادتها، فالشخص الذي لا يستطيع إدارة وقته وذاته لا يستطيع إدارة الآخرين. وترجع أهمية الوقت لكونه مورد مهم جداً من الموارد المتاحة إن لم يكن أهمها، حيث لا يمكن بيعه وشراؤه أو استبداله بشيء آخر، ولا يمكن تخزينه ولا تجزئته ولا تعويضه. وبذلك، يمكن تعريف إدارة الوقت هنا، بأنه مدى قدرة الشخص على تحقيق أهدافه المنشودة، من خلال استغلال واستثمار الوقت بأعلى كفاءة ممكنة. والمشكلة التي تواجه رائد الأعمال غالباً ليس في مقدار الوقت المتاح، ولكن في كيفية إدارته واستثماره.

مهارة تنظيم العمل: يمثل تنظيم العمل وتوزيعه على العاملين أو أعضاء فريق العمل بعناية من أهم مقومات نجاح رائد الأعمال في تحقيق أهدافه، وذلك من خلال القيام بما يلي:

توضيح المطلوب من العاملين من حيث طبيعة العمل ومتطلباته وكميته وتوقيت أدائه.

تحديد معايير العمل المقبولة من حيث مستوى الجودة والأخطاء المسموح بها.

توفير أماكن العمل المناسبة والموارد والأدوات والمستلزمات اللازمة لأداء العمل.

توضيح الصلاحيات والمنافع للعاملين للقيام بالعمل، وتبيان المسؤوليات الواجبة.

ثالثاً- المهارات الفكرية أو التصورية:

ويقصد بها مدى قدرة رائد الأعمال على التفكير المجرد والرشيد، أي التفكير بطريقة واقعية وموضوعية أو عقلانية وغير عاطفية، التي تمكنه من استشراف المستقبل وتطوير رؤية واضحة للمستقبل البعيد، وفهم العلاقات بين القوى والمتغيرات البيئية المختلفة، وبالتالي يقوده إلى تبني مفهوم شامل لعلاقة مشروعه بالبيئة المحيطة، والقدرة على الإحساس بالمشكلات المتوقعة وإيجاد الحلول المبدعة لها، والتوصل إلى أساليب مبتكرة في العمل (67). وهذا ما يؤكد كل من (Santiago & Perles 2002) ، بأن القائد الريادي يجب أن يتحلى بمجموعة من القدرات الفكرية، التي تتمثل بقدرته على التأثير في الآخرين من خلال أفكاره المبدعة وأساليبه وطرقه المبتكرة في إنجاز العمل (68). ولعل من أهم المهارات في هذا الصدد ما يلي:

مهارة اتخاذ القرارات الرشيدة: تعتبر هذه المهارة من أهم المهارات التي تميز رائد الأعمال عن غيره، وهي تمثل جوهر العملية الريادية، والمحور الأساسي الذي تدور حوله جميع أبعاده. ويقصد بعملية اتخاذ القرار هنا؛ المفاضلة بين البدائل أو السبل واختيار أفضلها لتحقيق الأهداف المنشودة. وبالتالي، فإن العمل الريادي ما هو إلا مجموعة من القرارات الصائبة التي تسعى لتحقيق الأهداف المحددة، وعلى ذلك فإن القرار الصائب هو الذي يحقق الغرض، ويتفق مع الأهداف المنشودة، ويأخذ في الحسبان إمكانية وطريقة تنفيذه، ويراعي تأثيره على الآخرين، ويحظى بقبول القائمين على تنفيذه (69).

مهارة التخطيط الاستراتيجي: الطموح العالي- كما أسلفنا - يمثل القوة الدافعة لبناء المشروع الريادي (70)، ولكن هذا الطموح يجب أن يرافقه تخطيط لجميع جوانب العمل. بمعنى يجب أن تكون لدى رائد الأعمال قدرة عالية على التفكير واستشراف المستقبل، وقدرة عالية لرؤية الأحداث المختلفة، والجاهزية الكافية والمناسبة للتفاعل معها (71). كما يجب أن تتوفر لديه القدرة على صياغة رؤية واضحة وطموحة، تنبع منها أهداف محددة، وخطط محكمة تتسم بالمرونة والقابلية للتطوير (72).

3- استنتاجات وتوصيات الدراسة:

استناداً على الإطار النظري والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة، توصلت الدراسة لعدة استنتاجات، كما خلصت إلى بعض التوصيات المقترحة. لعل من أهمها ما يلي:

3-1- استنتاجات الدراسة:

تم تعريف مصطلح رائد الأعمال بأنه؛ ذلك الشخص الذي لديه القدرة على إدراك الفرص الواعدة في مجال عمله، وبيادر باستغلالها واستثمارها من خلال التفاعل بين خصائصه ومهاراته الشخصية، والعوامل البيئية، والموارد المتاحة، وذلك لتأسيس وإدارة أعمال ريادية يتحمل مخاطرها ويستفيد من منافعها. كما تُمثل ريادة الأعمال؛ أي مبادرات فردية أو جماعية لتقديم منتجات محددة لغرض تحقيق مكاسب ومنافع مناسبة.

أن رواد الأعمال كما قد يكتشفون قدراتهم ومواهبهم بأنفسهم؛ يمكن اكتشافهم وإعدادهم من خلال مبادرات معينة توفر مناخ الرعاية اللازمة، من خلال مؤسسات ومراكز متخصصة.

إن نجاح رائد الأعمال لا يتوقف على مجرد امتلاكه مجموعة من السمات أو الخصائص الشخصية، ولا التوجهات والسلوكيات الإيجابية فقط، بل أيضاً على مدى امتلاكه مجموعة من المهارات التي يمكن تعلمها وتعليمها واستثمارها لصالح تطوير مشروعه الريادي. وهذا ما يؤكد على ضرورة أن يتعلم رواد الأعمال القدرات الاحترافية لريادة الأعمال منذ اللحظة الأولى للتفكير في إنشاء المشروع الريادي.

لكي يكون الفرد رائد أعمال ناجح؛ يجب أن يتوفر لديه الحد الكافي من المواهب أو الخصائص الشخصية التي تسمح له باكتساب المهارات الأساسية لريادة الأعمال.

يتناسب مزيج المهارات اللازمة لرائد الأعمال، مع طبيعة ونوع العمل الذي يقوم به، والظروف التي يعمل بها، حيث يتطلب كل عمل وموقف مهارات معينة.

باستخدام أسلوب تحليل المضمون لعدد من الدراسات السابقة، تم تحديد بعض الخصائص الشخصية الأساسية لرواد الأعمال، تم ترتيبها تنازلياً حسب نسبة تكرارها في؛ تحمل المخاطرة، الإبداع والابتكار، الإصرار والمثابرة، التواصل والإقناع، المبادرة والاستباقية، الإرادة والطموح، الثقة والاستقلالية، الواقعية والعقلانية، الانتباه للفرص، السلوك الأخلاقي.

يمكن تصنيف المهارات المطلوبة لرواد الأعمال في ثلاثة أنواع أساسية هي؛ المهارات الإنسانية والاجتماعية، المهارات الفنية والإدارية، المهارات الفكرية والتصورية. وتتمثل أهم المهارات المطلوبة لرائد الأعمال في كل من؛ مهارة تشجيع العمل الجماعي، ومهارة التواصل مع الآخرين وتحفيزهم، فضلاً عن مهارة إدارة المعرفة، ومهارة إدارة الوقت، ومهارة تنظيم العمل، بالإضافة إلى مهارة اتخاذ القرارات الرشيدة، ومهارة التخطيط الاستراتيجي.

-2-3 التوصيات المقترحة:

استناداً على الاستنتاجات السابقة، توصي الدراسة بما يلي:

الاستفادة من نتائج هذه الدراسة في تصميم وتطوير برامج تدريبية وتعليمية لإعداد وتأهيل رواد الأعمال، خاصة الأعمال الصغيرة.

العمل على تأسيس حاضنات أعمال ومؤسسات متخصصة لدعم ومساندة رواد الأعمال.

ضرورة العمل على إعداد وتطوير مناهج ومقررات دراسية تتضمن تنمية اتجاهات ومهارات طلبة الجامعات حول موضوع ريادة الأعمال، خاصة طلبة كليات الاقتصاد وإدارة الأعمال.

حث مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، ومنابر المساجد، المؤسسات التعليمية، وسائل الإعلام المختلفة) لنشر وتعزيز ثقافة ريادة الأعمال وأهمية العمل الحر سواء على المستوى الفردي، من حيث تحقيق الاستقلالية ومكانة اجتماعية أفضل ومستوى دخل أعلى من العمل الوظيفي الحكومي. أو على المستوى المجتمعي من حيث المساهمة في زيادة الناتج المحلي الإجمالي للاقتصاد الوطني، وتخفيض مستوى الفقر والبطالة، الأمر الذي يساهم في تحسين مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة للمجتمع.

القيام بمزيد من الدراسات العلمية الميدانية حول موضوع ريادة الأعمال في البيئة الليبية خاصة على طلبة مؤسسات التعليم العالي، لمعرفة وتحديد أهم العوامل والمتغيرات البيئية والخصائص الشخصية والمهارات المطلوبة لإعداد ونجاح رواد الأعمال الليبيين، وربطها ببعض المتغيرات الشخصية والسلوكية.

الهوامش

1. حامد و ارشيد (2007). نحو سياسات لتعزيز الريادة بين الشباب في الضفة الغربية وقطاع غزة، منشورات معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، ص 10.
2. رمضان (2012). تأثير موقف الطلاب من ريادة الأعمال في نيتهم للشروع بأعمال ريادية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد (2)، ص ص 367 - 368.
3. اكريم (2017). مزايا ومعوقات تطوير المشاريع الصغرى في ليبيا، مجلة البحوث العلمية، البيضاء، العدد (2).
4. البدرى وآخرون (2017). مدى توافر السمات الريادية لدى أصحاب المشروعات الصغيرة بمدينة بنغازي، تحرير: وائل جبريل، وقائع المؤتمر العلمي الأول ريادة الأعمال في ليبيا: الواقع والمأمول، دار الثقافة، سوسة، ليبيا، ص 228.
5. الفرغاني والشيخي (2017). خصائص ومعوقات ريادة الأعمال النسائية، تحرير: وائل جبريل، وقائع المؤتمر العلمي الأول ريادة الأعمال في ليبيا: الواقع والمأمول، دار الثقافة، سوسة، ليبيا، ص 251.
6. الحدراوي (2014). الريادة كمدخل لمنظمات الأعمال المعاصرة في ظل تبني مفهوم رأس المال الفكري، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، العدد (27)، ص 119.
7. الدويبي (2014). ثقافة المبادرة توجهات اجتماعية سلوكية في الريادة وتأسيس المشروعات الصغرى، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، الرياض، السعودية، ص 262.
8. المبيريك والجاسر (2014). النظام البيئي لريادة الأعمال في المملكة العربية السعودية، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، الرياض، السعودية، ص 33.
9. عبدالرحيم (2014). دور ريادات الأعمال في تطوير الأبداع المؤسسي بالتطبيق علي البورصة المصرية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للدراسات، العدد (32)، ص 85 - 86.
10. عبدالله وحتاوي (2014). سياسات تطوير المرأة في ريادة الأعمال في دولة فلسطين، منشورات معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، ص 55.
11. عيد (2014). التعليم الريادي مدخل لتحقيق الاستقرار الاقتصادي والأمن الاجتماعي، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، الرياض، ص 162- 163.
12. مهدي (2014). متطلبات وتحديات ريادة الأعمال بالمملكة العربية السعودية، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، الرياض، ص ص 118- 119.
13. المري (2013). ريادة الأعمال الصغيرة والمتوسطة ودورها في الحد من البطالة في المملكة العربية السعودية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم العلوم الإدارية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ص 236 - 245.
14. رمضان (2012). مرجع سابق، ص ص 380 - 381.

15. محمد وعبدالكريم (2011). واقع ريادة الأعمال الصغيرة والمتوسطة وسبل تعزيزها في الاقتصاد الفلسطيني، مجلة جامعة القدس المفتوحة للدراسات، العدد (23)، ص 75.
16. حامد و ارشيد (2007). مرجع سابق، ص 61 - 65.
17. موقع روح الإسلام (2017). موسوعة الحديث النبوي الشريف: الصحاح والسنن والمسانيد، الإصدار (2)، متاح بتاريخ (15/3/2017) على الرابط: WWW.Islamspirit.com.
18. الحدراوي (2014). مرجع سابق، ص 95.
19. المري (2013). مرجع سابق، ص 8.
20. القحطاني (2015). القيادة الريادية وتطبيقاتها في الجامعات، مجلة الإدارة العامة، العدد (3)، ص 441.
21. عبدالرحيم (2014). مرجع سابق، ص 54.
22. المبيريك والجاسر (2014). مرجع سابق، ص 8.
23. مهدي (2014). مرجع سابق، ص 109.
24. حامد و ارشيد (2007). مرجع سابق، ص 6.
25. عبدالله وحتاوي (2014). مرجع سابق، ص 3.
26. الدغيشم ومحمد (2014). مدخل مقترح لتفعيل مساهمة منشآت الأعمال في دعم صناعة ريادة الأعمال، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، الرياض، السعودية، ص 43.
27. المري (2013). مرجع سابق، ص ص 37-40.
28. الصويعي (2017). واقع التفكير الريادي لدى العاملين بمصرف التجارة والتنمية بمدينة بنغازي، تحرير: وائل جبريل، وقائع المؤتمر العلمي الأول لريادة الأعمال في ليبيا: الواقع والمأمول، دار الثقافة، سوسة، ليبيا، ص 61.
29. الضاوي (2017). مدى تأثير الخصائص الريادية في تبني التوجهات الاستراتيجية للعاملين بالمدراس الثانوية العامة بمدينة درنة، تحرير: وائل جبريل، وقائع المؤتمر العلمي الأول لريادة الأعمال في ليبيا: الواقع والمأمول، دار الثقافة، سوسة، ليبيا، ص ص 358-359.
30. المري (2013). مرجع سابق، ص ص 26-36.
31. أبوبكر (2014). منظومة ريادة الأعمال والبيئة المحفزة لها، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، الرياض، السعودية، ص 65.
32. عيد (2014). مرجع سابق، ص 152.
33. الحدراوي (2014). مرجع سابق، ص 98.
34. عبدالرحيم (2014). مرجع سابق، ص 54.
35. الدغيشم ومحمد (2014). مرجع سابق، ص 43.

36. الحدراوي (2014). مرجع سابق، ص 99.
37. قنديل (2010). القيادة الإدارية وإدارة الابتكار، دار الفكر العربي ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ص 125.
38. أبوبكر (2014). مرجع سابق، ص 65.
39. المرعي (2013). مرجع سابق، ص 33.
40. أبوبكر (2014). مرجع سابق، ص 65.
41. حامد و ارشيد (2007). مرجع سابق، ص 8.
42. قنديل (2010). مرجع سابق، ص 70.
43. حامد و ارشيد (2007). مرجع سابق، ص 7.
44. المرعي (2013). مرجع سابق، ص 32.
45. عيد (2014). مرجع سابق، ص 152.
46. المرعي (2013). مرجع سابق، ص 33.
47. أبوبكر (2014). مرجع سابق، ص 65.
48. حامد و ارشيد (2007). مرجع سابق، ص 8.
49. المرعي (2013). مرجع سابق، ص 36.
50. المرجع السابق، ص 33.
51. الحدراوي (2014). مرجع سابق، ص 100.
52. أبوبكر (2014). مرجع سابق، ص 66.
53. المرعي (2013). مرجع سابق، ص 36.
54. موقع روح الإسلام (2017). مرجع سابق.
55. قنديل (2010). مرجع سابق، ص 67.
56. المرجع السابق، ص 68.
57. Santiago, Perles (2002). The Ethical Dimension Leadership In The Programs Of Total Quality Management, **Journal Of Business Ethics**, Vol.39,P. 59
58. قنديل (2010). مرجع سابق، ص 70.
59. عبدالله والأمير (2009). نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة - دراسة تطبيقية على الموظفين بجامعة البحرين، **المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة**، العدد الأول، ص 273.

60. المري (2013). مرجع سابق، ص 36.
61. حامد و ارشيد (2007). مرجع سابق، ص 9.
62. أبوبكر (2014). مرجع سابق، ص 66.
63. قنديل (2010). مرجع سابق، ص 70.
64. المرجع السابق، ص 70.
65. Santiago, Perles (2002).op. cit. ,P. 60.
66. قنديل (2010). مرجع سابق، ص 89.
67. المرجع السابق، ص 70.
68. Santiago, Perles (2002).op. cit. ,P. 61 .
69. قنديل (2010). مرجع سابق، ص 89.
70. عيد (2014). مرجع سابق، ص 152.
71. أبوبكر (2014). مرجع سابق، ص 65.
72. حامد و ارشيد (2007). مرجع سابق، ص 9.

قائمة المراجع

1. أبوبكر، مصطفى محمود(2014). منظومة زيادة الاعمال والبيئة المحفزة لها، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز زيادة الأعمال، المنعقد بتاريخ (9- 11 سبتمبر)، الرياض، السعودية.
2. اكريم، محمد سليمان (2017). مزايا ومعوقات تطوير المشاريع الصغرى في ليبيا، مجلة البحوث العلمية، البيضاء، العدد (2).
3. البدري، أحمد سعد؛ منير سليمان البدري؛ عبد الكريم فرج الدرسي (2017). مدى توافر السمات الريادية لدى أصحاب المشروعات الصغيرة بمدينة بنغازي، تحرير: وائل جبريل، وقائع المؤتمر العلمي الأول زيادة الأعمال في ليبيا: الواقع والمأمول، المنعقد بتاريخ (12-11 نوفمبر)، دار الثقافة، سوسة، ليبيا.
4. الحدراوي، حامد كريم(2014). الريدة كمدخل لمنظمات الأعمال المعاصرة في ظل تبني مفهوم رأس المال الفكري، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، العدد (27)، ص ص 85-128.
5. الدويبي، عبد السلام بشير (2014). ثقافة المبادرة توجهات اجتماعية سلوكية في الريادة وتأسيس المشروعات الصغرى، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز زيادة الأعمال، المنعقد بتاريخ (9- 11 سبتمبر)، الرياض، السعودية.
6. الدغيشم، محمد عبد العزيز؛ محمد، حسين السيد (2014). مدخل مقترح لتفعيل مساهمة منشآت الأعمال في دعم صناعة زيادة الأعمال، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز زيادة الأعمال، المنعقد بتاريخ (9- 11 سبتمبر)، الرياض، السعودية.
7. الشمري، تركي؛ الشراح، رمضان(2014). نموذج مقترح من التجارب الدولية لأدوار الجهات في دعم زيادة الأعمال، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز زيادة الأعمال، المنعقد بتاريخ (9- 11 سبتمبر)، الرياض، السعودية.
8. الصويغي، هند خليفة (2017). واقع التفكير الريادي لدى العاملين بمصرف التجارة والتنمية بمدينة بنغازي، تحرير: وائل جبريل، وقائع المؤتمر العلمي الأول زيادة الأعمال في ليبيا: الواقع والمأمول، المنعقد بتاريخ (12-11 نوفمبر)، دار الثقافة، سوسة، ليبيا.
9. الضاوي، أشرف عبد الحميد(2017). مدى تأثير الخصائص الريادية في تبني التوجهات الاستراتيجية للعاملين بالمدراس الثانوية العامة بمدينة درنة، تحرير: وائل جبريل، وقائع المؤتمر العلمي الأول زيادة الأعمال في ليبيا: الواقع والمأمول، المنعقد بتاريخ (12-11 نوفمبر)، دار الثقافة، سوسة، ليبيا.
10. الفرجاني، فاطمة علي؛ الشيخ، نورية سعد (2017). خصائص ومعوقات زيادة الأعمال النسائية، تحرير: وائل جبريل، وقائع المؤتمر العلمي الأول زيادة الأعمال في ليبيا: الواقع والمأمول، المنعقد بتاريخ (12-11 نوفمبر)، دار الثقافة، سوسة، ليبيا.
11. القحطاني، سالم سعيد(2015). القيادة الريادية وتطبيقاتها في الجامعات، مجلة الإدارة العامة، العدد(3)، ص ص 435-500.
12. القحطاني، سالم سعيد(2012)، الريادة الاستراتيجية كمدخل لتطوير المنظمات الحكومية، المؤتمر الثاني لمعاهد الإدارة العامة والتنمية الإدارية في دول مجلس التعاون الخليجي.

13. المبيريك، وفاء ناصر؛ والجاسر، نوره جاسر (2014). النظام البيئي لريادة الأعمال في المملكة العربية السعودية، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، المنعقد بتاريخ (9- 11 سبتمبر)، الرياض، السعودية.
14. المبيريك، وفاء ناصر؛ الشميمري، أحمد عبدالرحمن (2016). مبادئ ريادة الأعمال لغير المتخصصين. بدون ناشر، الرياض، السعودية.
15. المري، ياسر سالم (2013). ريادة الأعمال الصغيرة والمتوسطة ودورها في الحد من البطالة في المملكة العربية السعودية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم العلوم الإدارية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية.
16. حامد، مهند؛ ارشيد، فوزي (2007). نحو سياسات لتعزيز الريادة بين الشباب في الضفة الغربية وقطاع غزة، منشورات معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس).
17. رمضان، ريم (2012). تأثير موقف الطلاب من ريادة الأعمال في نيتهم للشروع بأعمال ريادية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 28، العدد (2)، ص ص 361- 385.
18. عبدالرحيم، عاطف جابر (2014). دور ريادات الأعمال في تطوير الأبداع المؤسسي بالتطبيق علي البورصة المصرية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد (32)، ص ص 47- 90.
19. عيد، أيمن عادل (2014). التعليم الريادي مدخل لتحقيق الاستقرار الاقتصادي والأمن الاجتماعي، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، المنعقد بتاريخ (9- 11 سبتمبر)، الرياض، السعودية.
20. عبد الله، سمير؛ حتاوي، محمد (2014). سياسات تطوير المرأة في ريادة الأعمال في دولة فلسطين، منشورات معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس).
21. عبد الله، حسن صادق؛ الأمير، السيد علي (2009). نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة - دراسة تطبيقية على الموظفين بجامعة البحرين، المنجلة العلمية للاقتصاد والتجارة، العدد (1)، ص ص-269 298.
22. قنديل، علاء محمد (2010). القيادة الإدارية وإدارة الابتكار، دار الفكر العربي ناشرون وموزعون، عمان، الأردن.
23. محمد، رسلان؛ عبد الكريم، نصر (2011). واقع ريادة الأعمال الصغيرة والمتوسطة وسبل تعزيزها في الاقتصاد الفلسطيني، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد (23)، ص ص 43- 82.
24. مهدي، سيف الدين علي (2014). متطلبات وتحديات ريادة الأعمال بالمملكة العربية السعودية، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، المنعقد بتاريخ (11-9 سبتمبر)، الرياض، السعودية.
25. موقع روح الإسلام (2017). موسوعة الحديث النبوي الشريف: الصحاح والسنن والمسانيد، الإصدار الثاني، متاح بتاريخ (15/3/2017) على الرابط: www.Islamspirit.com.

26. Santiago, Gines;Perles,Marco (2002). The Ethical Dimension Leadership In The Programs Of Total Quality Management, **Journal Of Business Ethics**, Vol.39,PP.59-66.

* هو مشروع بحثي تم تأسيسه عام (1999) من قبل مدرسة لندن للأعمال، يهدف بشكل أساسي إلى تحليل سنوي لمستوى النشاط الريادي، والمؤشرات ذات العلاقة لعدد كبير من دول العالم.

* يقصد بالخصائص هنا؛ صفات شخصية معينة تعني بأن سلوك الفرد عبارة عن عادات أو أنماط متوقعة.

قواعد النشر

أولاً ضوابط الطباعة

سعيًا منا للوصول إلى صورة متميزة لبحوثكم التي ستساهمون بها في الأعداد المقبلة للمجلة ، فإننا نأمل منكم التكرم باتباع بعض الملاحظات الخاصة بطباعة العمل :

1. ترسل المادة العلمية إلى المجلة على قرص مضغوط ، مطبوعة بخط نوع Simplified Arabic ، مع نسخة واحدة ورقية وبحجم 13 ، وحجم الحواشي السفلية 11 ، وتباعداً الأسطر (مفرد) .
2. في حالة اختيار الصفحة مقاس A 4 ، تكون هوامش الصفحة يمين ويسار (4.2) ، أعلى وأسفل موحد (4 سم)
3. يؤخذ بعين الاعتبار أن المجلة غير ملونة ، لذا يجب الابتعاد على الصور الملونة ذات الألوان الفاقعة ، وكذلك التظليل الزائد عن الحد في الجدول
4. عرض النص في المجلة هو 12.6 سم ، لذا يجب الابتعاد عن الجداول الكبيرة ، والصور غير القابلة للتصغير .
5. عند طباعة النصوص يرجى التقييد بالآتي : —

- ترك مسافة بادئة في أول كل فقرة (1.27 سم) مع اختيار خاصية (ضبط) للنصوص
- عدم ترك فراغات بين النصوص وعلامات الترقيم التي تليه ، مثل : الفاصلة والفاصلة المنقوطة والقاطع والشارحة والشرطة المائلة وعلامة الاستفهام والتعجب ، وما على شاكلتها من علامات الترقيم الفردية ، على أن يترك الفراغ بعدها مباشرة
- مثال : — مجلة البحوث العلمية ، — مجلة البحوث العلمية ؛ — مجلة البحوث العلمية .
— مجلة البحوث العلمية : — مجلة البحوث العلمية / — مجلة البحوث العلمية ؟
- ترك فراغات قبل الأقواس العادية وعلامات الاقتباس وبعدها، وما على شاكلتها من علامات الترقيم المزدوجة ، ولا تترك فراغات ملاصقة لهذه العلامات من الداخل . وتجنب ترك فراغات متتالية .
- مثال : — مجلة البحوث العلمية (مجلة محكمة) تصدر من مركز البحوث. — مجلة البحوث العلمية " مجلة محكمة " تصدر من مركز البحوث

1. التقيد بأصول البحث العلمي وقواعده .
2. ألا تكون المادة العلمية المقدمة للنشر قد سبق نشرها أو كانت جزءاً من رسالة علمية .
3. يكتب في أول صفحة من البحث عنوان البحث واسم معده وعنوان العمل .
4. تخضع كل المواد العلمية المقدمة للتحكيم العلمي من أساتذة متخصصين .
5. يخضع نشر المواد العلمية لأولويات تتفق وسياسة النشر بالمجلة .
6. هيئة التحرير ليست ملزمة برد المواد العلمية التي لا تنشر لأصحابها .
7. على الباحث التأكد من أن دراسته كاملة ، ومدققة لغوياً وخالية من الأخطاء الإملائية والنحوية وعدم مخالفة لأي نظام للحماية الفكرية .
8. أن يكون البحث المقدم للمجلة مستوفياً شروط البحث العلمي من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية والمنهجية والتوثيق ودقة التعبير .
9. عدد صفحات البحث لا تقل عن خمسة عشرة صفحة ولا تزيد عن ثلاثين صفحة بما في ذلك الأشكال والفهارس .
10. تخريج الآيات القرآنية في صلب النص أما تخريج الاحاديث النبوية يكون ضمن تسلسل الهامش .
11. تكون الهوامش ذات أرقام تسلسلية توضع في نهاية البحث و عدم استخدام ” إدراج هامش ” عند الطباعة .

ويرتب البحث على النحو الآتي : ملخص البحث – مقدمة تتضمن أهمية البحث وأهدافه – مواد وطرائق البحث (منهجية البحث) – النتائج والمناقشات – الاستنتاجات والتوصيات – المراجع – وأن يشير الباحث في المقدمة أو أي مكان آخر مناسب إلى مكان إجراء البحث وفترة تنفيذه إذا لزم الأمر .

إذا استخدم الباحث استبياناً أو غيره من أدوات جمع البيانات ، فعليه أن يقدم نسخة كاملة من تلك الأداة إذا لم ترد في صلب البحث أو في ملاحقه . كما يجب على الباحث إخفاء شخصيته في الدراسة وتجنب وضع أي إشارة تكشف هويته من خلال الدراسة ، أما المعلومات الشخصية ومكان العمل فتوضع في صفحة منفصلة . ويتم ترقيم الجداول والأشكال ترقيماً متسلسلاً مستقلاً لكل منها ، مع إعطاء عنوان قصير لكل منها تتم كتابته (أعلى) الشكل ، ويكون المصدر أسفله . وترقم جميع الصفحات تسلسلياً .

إن التزامكم بالملاحظات المذكورة أعلاه سيسهم بلا شك في تسهيل إنجاز العمل على الشكل المطلوب .

The Scientific Researches journal

Periodical Scientific journal

Published by the Centre of Scientific Researches and studies

in the university of mohamad bin ail sanosi

Al bayda - Libya

Vol . 1

No :6

sept . 2018



جَامِعَةُ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السَّنُوسِيِّ

مَجَلَّةُ الْمَحْوَثِ الْعِلْمِيَّةِ

مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات العلمية
بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

العدد السادس

2018